

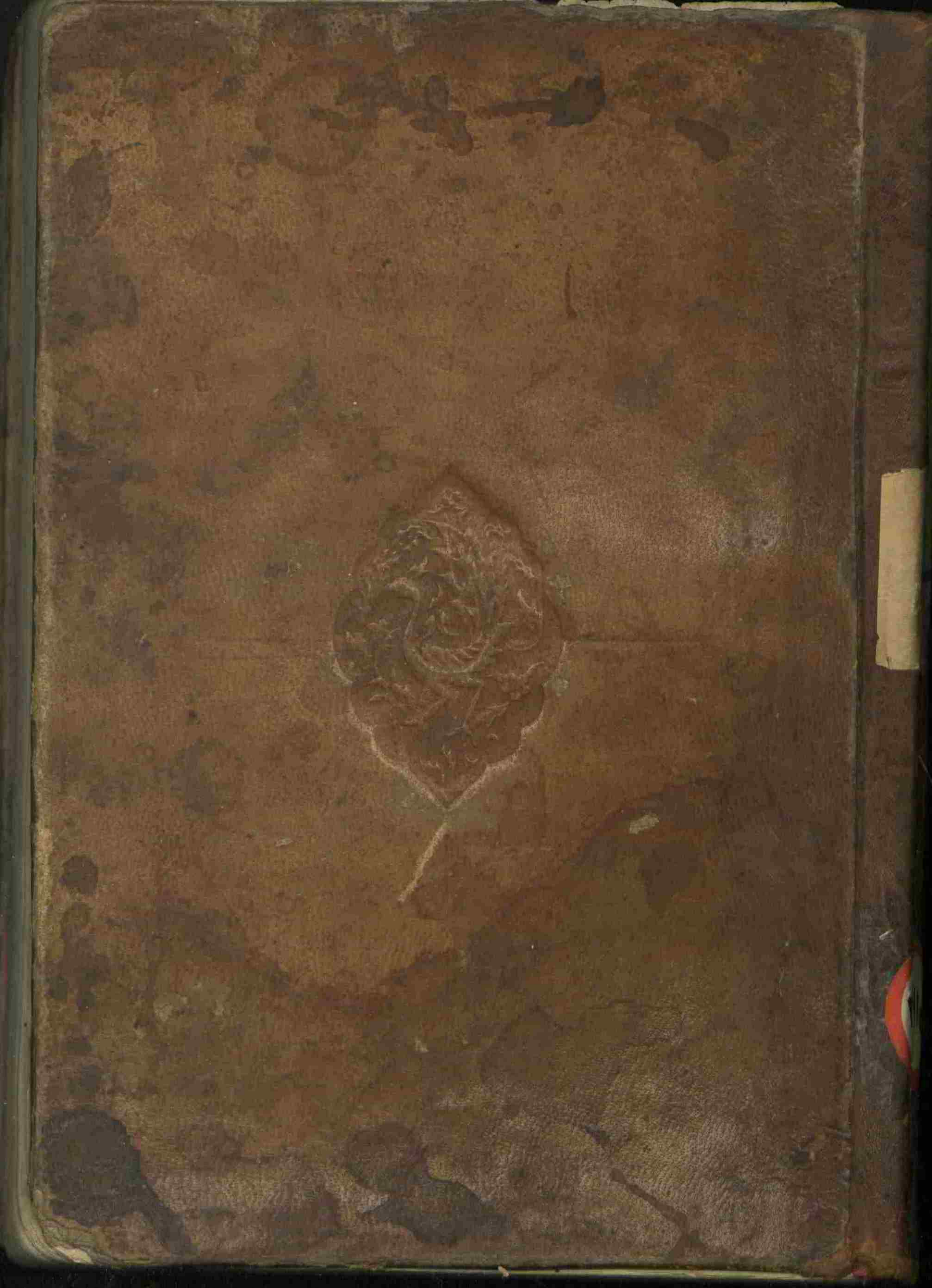
نام کتاب: مفتاح العلوم

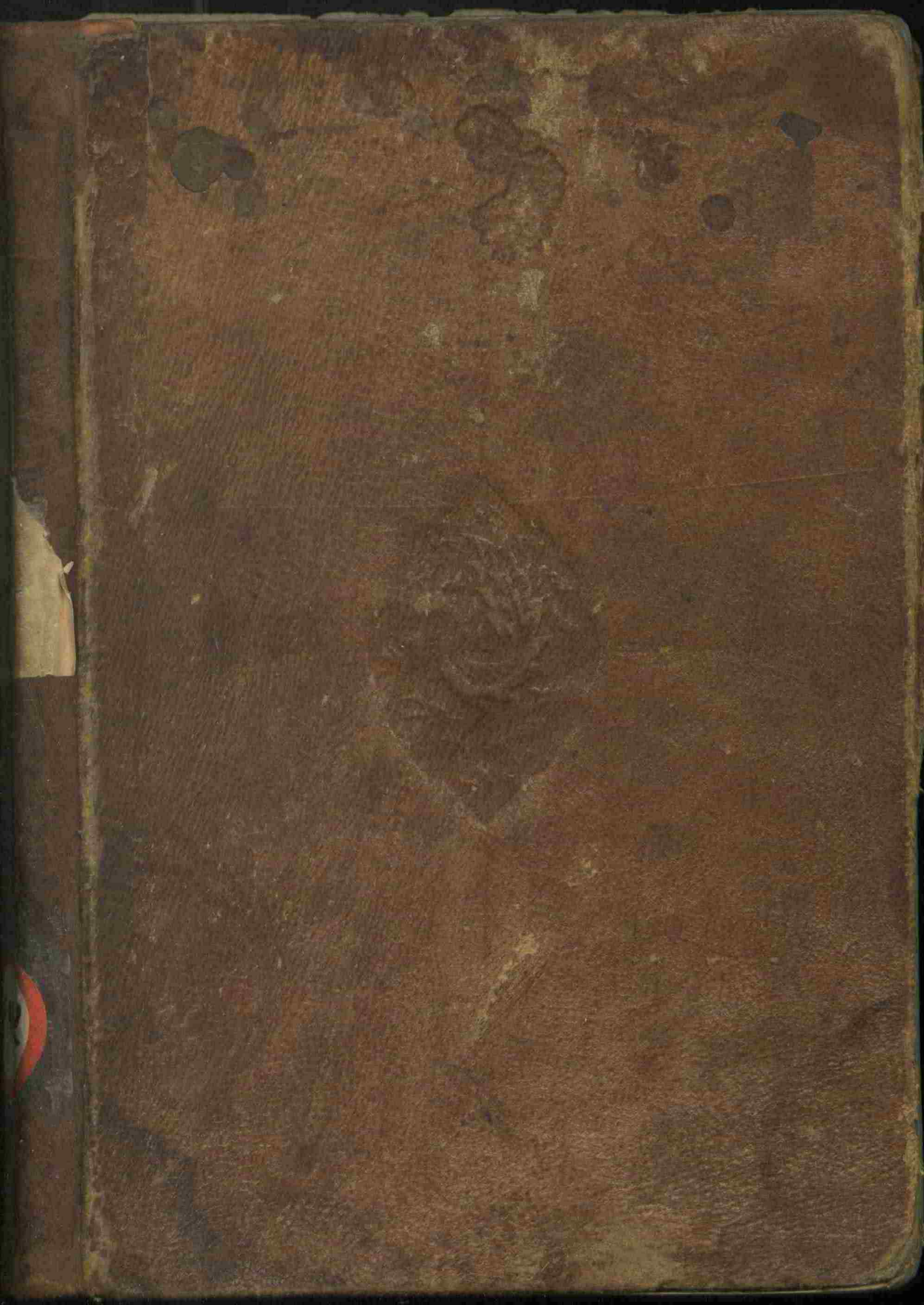
مؤلف: سراج الدین ابی یعقوب یوسف سکاکی

شمارهٔ کتاب: ۴۹۱۳

اندازه: ۲۴x۱۷

تاریخ تصویربرداری: دی ۸۹





کسی کو مراد دل خود حداست اوربانسان کندی ذات

[illegible]

[illegible] والمعنى الملهم [illegible] الفطرة السليمة [illegible] اعني بالالهام الذي اورده في صدر جواهر المراكب فهم البليغ الذي [illegible]
[illegible] من العوارض التي [illegible] القوة [illegible] الاصلية [illegible] الاشيا وغيرها [illegible] معاني مثل ما سبق اي [illegible] من سماع [illegible]
[illegible] الكلام اي العارف [illegible] الكلام على ما [illegible] مقصود المتكلم [illegible]
[illegible] ما سبق الى فهمك من سماع مركب [illegible] المؤكدات [illegible]
[illegible] اورد [illegible] او [illegible] ما سبق الى [illegible] من سماع مركب [illegible] المسند اليه [illegible]
[illegible] الكلام [illegible] الاختصار [illegible] اللطايف التي [illegible]
[illegible] الكتاب [illegible] سبق الى [illegible] من سماع تركيب البليغ [illegible] المسند اليه [illegible]
[illegible] المسند اليه على [illegible] المسند على [illegible] الكلام في [illegible]
[illegible] والتعريف والتنكير [illegible] على الاطلاع اي اطلاعا [illegible]

معما

صاحبه محمد عسكر

صدر [illegible] ١١٩٥

تاريخ كتابت ٧٤٢

١٥

٣٢٣٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

القسم الثالث من الكتاب في علمي المعاني والبيان وفيه مقدمة لبيان
حدي العلمين والغرض فيهما وفصلان لضبط معاقدهما والكلام فيهما المقدمة

اعلم أن علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل
بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على
ما يقتضي الحال ذكره وأعني بتراكيب الكلام التراكيب الصادرة عمن له فضل تمييز
ومعرفة وهي تراكيب البلغاء لا الصادرة عمن سواهم لنزولها في صناعة البلاغة
منزلة أصوات حيوانات تصدر عن محالها بحسب ما يتفق وأعني بخاصية التركيب
ما يسبق منه إلى الفهم عند سماع ذلك التركيب جاريا مجرى اللازم له لكونه صادرا
عن البليغ لا لنفس ذلك التركيب من حيث هو هو أو لازما لما هو هو حينا وأعني بالفهم فهم ذي
الفطرة السليمة مثل ما يسبق إلى فهمك من تركيب إن زيدا منطلق إذا سمعته
عن العارف بصياغة الكلام من أن يكون مقصودا به نفي الشك أو رد الإنكار أو من
تركيب زيد منطلق من أنه يلزم مجرد القصد إلى الإخبار أو من نحو منطلق بترك
المسند إليه من أنه يلزم أن يكون المطلوب به وجه الاختصار مع إفادة لطيفة
مما يلوح بها مقامها وكذا إذا لفظ بالمسند إليه وهكذا إذا عرف أو نكر أو
قيد أو أطلق أو قدم أو أخر على ما يطلعك على جميع ذلك شيئا فشيئا مساق
الكلام في العلمين بإذن الله تعالى وأما علم البيان فهو معرفة إيراد المعنى
الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف
على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه وفيما ذكرنا ما ينبه على أن
الواقف على تمام مراد الحكيم تعالى وتقدس من كلامه مفتقر إلى هذين العلمين كل
الافتقار فالويل كل الويل لمن تعاطى التفسير وهو فيهما راجل ولما كان علم البيان

شعبة من علم المعاني لا ينفصل عنه إلا بزيادة اعتبار جرى منه مجرى المركب من المفرد
لا جرم آثرنا تأخيره الفصل الأول في ضبط معاقد علم المعاني والكلام
فيه اعلم أن مساق الحديث يستدعي تمهيد أصل وهو أن مقتضى الحال عند المتكلم
يتفاوت كما ستقف عليه إذا انتهت النوبة إلى التعرض له من هذا الكتاب بإذن
الله تعالى فتارة يقتضي ما لا يفتقر في تأديته إلى أزيد من دلالات وضعية وألفاظ
كيف كانت ونظم لها لمجرد التأليف ينبئها يخرجها عن حكم النعيق وهو الذي سميناه في
علم النحو أصل المعنى ونزلناه ههنا منزلة أصوات الحيوانات وأخرى يقتضي
ما يفتقر في تأديته إلى أزيد وظاهر أن الخطأ الذي نحن بصدده لا يتأتى في الأول من له
أدنى التمييز فضلا أن يقع فيه من العاقل المتقن وإنما مثار الخطأ هو الثاني وإن اختلج
في وهمك أن الاحتراز عن الخطاء في الثاني إن لم يتوقف على علم المعاني استغني عنه
وإن توقف عليه ولا شبهة في أن الكلام فيه كلام من المثل الثاني فيتوقف تعريفه
على تعريف لسابق ويتسلسل أو يدور فاستوضح ما أجبنا به عن تعلم علم الاستدلال
وعلم العروض إذ قيل إن كان العقل أو الطبع يكفي في البابين فليستغن عن تعلمهما وإلا كان
تعليمهما موقوفا على تعليم سابق والمآل إما الدور أو التسلسل ...ينتظم لك
هذين العلمين في سلك التعرض لهما إذا حان وقته بإذن الله تعالى وإذ قد عرفت
هذا فنقول إن التعرض لخواص تراكيب الكلام موقوف على التعرض لتراكيبه ضرورة
لكن لا يخفى عليك حال التعرض لها منتشرة فيجب المصير إلى إيرادها تحت الضابط
بتعيين ما هو أصل لها وسابق في الاعتبار ثم حمل ما عداه عليه شيئا فشيئا
على موجب المساق والسابق في الاعتبار في كلام العرب شيئان الخبر والطلب
المنحصر بحكم الاستقراء في الأبواب الخمسة التي يأتيك ذكرها وما سوى ذلك
نتائج امتناع إجراء الكلام على الأصل وعساك فيما نرى أن تقيم لعساك لتذكر

اذا اجتليته او ان كشف القناع عنه وجدت من نفسك الشأن بخلافه
فلنعيّنهما اعني الخبر والطلب لافتتاح الحديث لما نحن له والله المستعان
اعلم ان المعنيين يتشابهان ففرقتان فرقة تخرجهما الى التعريف وفرقة
تغنيهما عن ذلك واختيارنا قول هؤلاء اما في الخبر فلما ان كل احد من العقلاء
ممن لم يمارس الحدود والرسوم بل الصغار الذين لهم ادنى تمييز يعرفون
الصادق والكاذب بدليل انهم يصدّقون ابدا في مقام التصديق ويكذّبون
ابدا في مقام التكذيب فلولا انهم عارفون للصادق والكاذب لما تأتّى منهم ذلك
لكن العلم بالصادق والكاذب كما تشهد له عقلك موقوف على العلم بالخبر
الصدق والخبر الكذب هذا والحدود التي تذكر كقول لهم الخبر هو الكلام
المحتمل للصدق والكذب او التصديق والتكذيب وقولهم هو الكلام المفيد بنفسه
اضافة امر من الامور الى امر نفيا او اثباتا وقول بعضهم الكلام بانه المنتظم من الحروف
المسموعة المتميزة وكقول من قال هو القول المقتضي بصريحه نسبة
معلوم الى معلوم بالنفي او الاثبات ليس لها محل للتعويل اما ترى الحد الاول
كيف عرّف صاحبه الصدق بانه الخبر عن الشيء على ما هو به كيف دار فخرج عن كونه
معرّفا ومن ترك الصدق والكذب الى التصديق والتكذيب ما زاد على ان وسّع الدائرة
والحد الثاني حين اوجب ان يكون قولنا في باب الوصف الغلام الذي لزيد او ليس
لزيد خبرا لكونه كلاما على قول صاحبه ومفيدا بصريحه اضافة امر وهو الغلام
الى امر وهو زيد بالاثبات في احدهما والنفي في الاخر مع انتفاء كونه خبرا بدليل انتفاء
لازم الخبر وهو صحة احتمال الصدق والكذب فلا نزاع في كون ذلك لازم الخبر
انما النزاع في كونه حدا او الحال ما تقدم وكذا قولنا ان زيدا علامة او ليس عالما
يمتنع ان كيف خرج عن ان يكون مطّردا والحد الثالث حين اوجب ان لا يكون

فقلنا

ووالله لقد عرفت او لا عرفت في الاثبات وفي النفي لكون التركيب غير ملائم
ومقصورا على كلمة النفي مرة كنحو ليس زيد منطلقا وما زيد منطلقا ولا رجل عندي
ومترددا مرة اخرى كنحو ليس زيد منطلقا ليس زيد منطلقا وغير مقصور على كلمة النفي
كنحو ليس زيد بمنطلق وما ان يقوم زيد ووالله ما زيد قائما فهذه ترجع الى
نفس الاسناد الخبري واما الاعتبار الراجع الى المسند اليه في التركيب من حيث
هو مسند اليه من غير التعرض لكونه حقيقة او مجازا فككونه محذوفا كقولك عارف
وانت تريد زيد عارف او ثابتا معرّفا من احد المعارف وستعرفها مصحوبا بشيء من
التوابع او غير مصحوب مفصولا بفصل او غير مقرون او منكّرا مخصّصا او غير مخصّص
مقدّما على المسند او مؤخّرا عنه واما الاعتبار الراجع الى المسند من حيث هو
مسند ايضا فككونه متروكا او غير متروك وكونه مفردا او جملة وفي افراده من كونه فعلا
او اسما منكّرا او معرّفا مقيّدا كل ذلك بنوع قيد او غير مقيّد وفي كونه جملة من كونها
اسمية او فعلية او شرطية او ظرفية وكونه مقدّما او مؤخّرا هذا اذا
كانت الجملة الخبرية مجرّدة اما اذا انتظمت مع اخرى فتتبع اذ ذاك اعتبارات
سوى ما ذكر فن رابع ولا يتضح الكلام في جميع ذلك فصاحة الا بالتعرض لمقتضى الحال
فبالحري ان لا نتجاوزه ظهريا فنقول والله الموفق للصواب لا يخفى عليك ان مقامات
الكلام متفاوتة فمقام الشكر يباين مقام الشكاية ومقام التهنئة يباين مقام التعزية
ومقام المدح يباين مقام الذم ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب ومقام الجد
في جميع ذلك يباين مقام الهزل وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على
الاستخبار او الانكار ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الانكار وجميع
ذلك معلوم لكل لبيب وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع
الغبي ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الاخر ثم اذا شرعت في الكلام فلكل كلمة

مع صاحبتها مقام ولكل حد ينتهي اليه الكلام مقام وارتفاع شأن الكلام في باب
الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة المقام لما يليق به
وهو الذي نسميه مقتضى الحال فان كان مقتضى الحال اطلاق الحكم فحسن الكلام
تجريده عن مؤكدات الحكم وان كان مقتضى الحال بخلاف ذلك فحسن الكلام تحليه
بشيء من ذلك بحسب المقتضي ضعفا وقوة وان كان مقتضى الحال طي ذكر المسند اليه
فحسن الكلام تركه وان كان المقتضي اثباته على وجه من الوجوه المذكورة فحسن
الكلام وروده على الاعتبار المناسب وكذا ان كان المقتضي ترك المسند فحسن
الكلام وروده عاريا عن ذكره وان كان المقتضي اثباته مخصصا بشيء من التخصيصات
فحسن الكلام نظمه على الوجوه المناسبة من الاعتبارات المقدم ذكرها وكذا ان
كان المقتضي عند انتظام الجملة مع اخرى فصلها او وصلها والايجاز معها او الاطناب
اعني طي جمل عن البين ولا طيها فحسن الكلام تأليفه مطابقا لذلك وما ذكرناه حديث
اجمالي لا بد من تفصيله فاستمع لما يتلى عليك باذن الله تعالى وقد ترتب الكلام ههنا
كاينة على فنون اربعة الفن الاول في تفصيل اعتبارات الاسناد الخبري الفن
الثاني في تفصيل اعتبارات المسند اليه الفن الثالث في تفصيل اعتبارات المسند
الفن الرابع في تفصيل اعتبارات الفصل والوصل والايجاز والاطناب وقبل ان نشرع
في هذه الفنون نتعرض في الذكر ننبه على اصل لا بد من علم ذلك منك وهو انه ليس من
الواجب في صناعة وان كان المرجع في اصولها وتفاريعها الى مجرد العقل ان يكون الدخيل
فيها كالناشئ عليها في استفادة الذوق منها فكيف اذا كانت الصناعة مستندة
الى تحكمات وضعية واعتبارات الفية فلا على الدخيل في صناعة علم ان يقلد
صاحبها في بعض فتاواه ان فاته الذوق هناك الى ان يتكامل له على مهل موجبات
ذلك الذوق وكان شيخنا الحاتمي تغمده الله برضوانه يستحسن كثيرا من مستحسنات

الكلام اذا راجعنا فيها على الذوق ونحن حينئذ ممن نبغ في عدة شعب من علم الادب
وصبغ بها يده وكانا فيها وكرة وكرة وها هو الامام عبد القاهر قدس الله روحه
في دلائل الاعجاز كم يعيد هذا

الفن الاول

من المعلوم لكل عاقل ان حكم العقل
حال اطلاق اللسان هو ان يفرغ المتكلم في قالب الافادة ما يتكلم به تحاشيا
عن وصمة اللاغية فاذا اندفع في الكلام مخبرا لزم ان يكون قصده في حكمه
بالمسند للمسند اليه في خبره ذاك افادته للمخاطب متعاطيا مناطها بقدر
الافتقار فاذا القى الجملة الخبرية الى من هو خالي الذهن عما يلقى اليه ليحضر طرفاها
عنده وينتقش في ذهنه استناد احدهما الى الآخر ثبوتا او نفيا كفى في ذلك
الانتقاش حكمه ويتمكن لمصادفته اياه خاليا اتاني هواها قبل ان اعرف
الهوى فصادف قلبا فارغا فتمكنا فتستغني الجملة عن مؤكدات الحكم ويسمى
هذا النوع من الخبر ابتدائيا واذا القاها الى طالب لها متحير طرفاها عنده دون
الاستناد فهو منه بين بين لينقذه عن ورطة الحيرة استحسن تقوية
المنفذ بادخال اللام في الجملة او ان كقولك لزيد عارف او ان زيدا عارف ويسمى
هذا النوع من الخبر طلبيا واذا القاها الى حاكم فيها بخلافه ليرده الى
حكم نفسه استوجب حكمه ليترجح تأكيدا بحسب ما اشرب المخالف الانكار
في اعتقاده كقولك اني صادق لمن ينكر صدقك انكارا او اني لصادق لمن يبالغ في انكار
صدقك ووالله اني لصادق على هذا وان شئت فتأمل كلام رب العزة
علت كلمته اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم
مرسلون قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء ان انتم الا
تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون حيث قالوا اولا انا اليكم
مرسلون وثانيا انا اليكم لمرسلون كيف يقرر ما القي اليك ويسمى هذا

النوع من الخبر انكاريا واخراج الكلام في هذه الاحوال على الوجوه المذكورة
يسمى اخراج مقتضى الظاهر وانه في علم البيان نسمى التصريح كما ستقف عليه
والذي اريناك اذا امعنت فيه البصيرة استوثقت من جواب ابي العباس
للكندي حين سأله قائلا اني اجد في كلام العرب حشوا يقولون عبد الله قائم
ثم يقولون ان عبد الله قائم ثم يقولون ان عبد الله لقائم والمعنى واحد وحاصله
ان ما ذكر المعاني مختلفة فقولهم عبد الله قائم اخبار عن قيامه وقولهم ان عبد الله
قائم جواب عن سؤال سائل وقولهم ان عبد الله لقائم جواب عن انكار منكر قيامه
هذا ثم انك ترى المفلقين السحرة في هذا الفن ينفثون الكلام لا على مقتضى
الظاهر كثيرا وذلك اذا احلوا المحيط بفائدة الجملة الخبرية وبلازم فائدتها
عالما محل الخالي الذهن عن ذلك لاعتبارات خطابية مرجعها تجهيله بوجوه
مختلفة وان شئت فعليك بكلام رب العزة ولقد علموا لمن اشتراه ما له
في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون كيف تجد صدره
يصف اهل الكتاب بالعلم على سبيل التوكيد القسمي وآخره ينفيه حيث
لم يعملوا بعلمهم ونظيره في النفي والاثبات وما رميت اذ رميت وقوله وان
نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان
لهم فيسوقون الكلام الى هذا مساقه الى ذلك وهلا قد يقيمون من لا يكون
سائلا مقام من يسئل فلا يميزون في صياغة التركيب للكلام بينهما وانما
يقيمون لهما في قالب واحد اذا كانوا قدموا اليه ما يلوح للنفس المتقطي
بحكم ذلك فيتركها مستشرفة له لاستشراف الطالب المتحير يتميل بين
اقدام للتلويح واحجام لعدم التصريح فيخرجون الجملة اليه مصدرة ويرون
سلوك هذا الاسلوب في امثال هذه المقامات من كمال البلاغة واصابة

اليه ورداه فقال هي عصاي اتوكأ عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى ونظيره في
في البسط قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين فقد بسطوا الكلام ابتهاجا منهم
بعبادة الاصنام وافتخارا بها والمعتبر ما يعين من الجواب المطابق المختصر وهو اصناما
او لان الاصل في المسند اليه هو كونه مذكورا وما جرى هذا المجرى واما الحالة
التي تقتضي تعريفه فهي اذا كان المقصود من الكلام افادة السامع فائدة يعتد بمثلها
والسبب في ذلك هو ان فائدة الخبر لما كانت هي الحكم او لازمه كما عرفت في اول
قانون الخبر ولازم الحكم وهو انك تعلم حكمه ايضا ولا شبهة ان احتمال تحقق الحكم
الحكم متى كان ابعد كانت الفائدة في تعريفه اقوى ومتى كان اقرب كانت اضعف
وبعد تحقق الحكم بحسب تخصيص المسند اليه والمسند كلما ازداد تخصصا ازداد
الحكم بعدا وكلما ازداد عموما ازداد الحكم قربا وان شئت فاعتبر حال الحكم
في قولك شيء ما موجود وفي قولك فلان بن فلان حافظ للتوراة والانجيل يتضح لك ما ذكرت
ثم ان تخصيص المسند اليه اما ان يكون لكونه احد اقسام المعرفات فحسب وهي
المضمرات الاعلام المبهمات اعني الموصولات واسماء الاشارة المعرفات باللام
المضافات الى المعارف اضافة حقيقية مع القيد المذكور في علم النحو او المراد
بها خلافه من كونه معمولا لشيء من التوابع الخمسة والضمير المسمى فصلا واما ان يكون
لما ذكر كما ستقف عليه ولقصد من ذلك حالة نبينه اما الحالة التي تقتضي كونه
مضمرا فهي اذا كان المقام مقام حكاية كقولك انا الذي يحذو بي في هذه
لا ان تبين صدرا منها ولا آية ٥ وقوله انا المرعث لا اخفى على احد ذرت بي الشمس
للقاصي وللداني ٥ وقوله ونحن التاركون لما سخطنا ونحن الآخذون لما رضينا ٥
وقوله ونحن بنو عم على ذاك بيننا زرابي فيها بغضة وتنافس ٥
ونحن هدمع العشران يعط سا عابدعة وفيه غيبة متنا حس ٥

او مقام خطاب كقوله يا ابن الاكارم من عدنان قد علموا ۞ و تالد المجد بين العم والخال ۞
انت الذي تنزل الايام منزلها ۞ و تمسك الارض من خسف و زلزال ۞
وقوله قد كان قبلك اقوام فجعت بهم ۞ خلى لنا اهلكهم سمعا و ابصارا ۞
انت الذي لم يدع سمعا و لا بصرا ۞ الا شفا فامر العيش امرارا ۞
وقوله وانت التي كلفتني دلج السرى ۞ وجون القطا بالجلهتين جثوم ۞
وقولها وانت الذي اخلفتني ما وعدتني ۞ واشمت بي من كان فيك يلوم ۞
وحق الخطاب ان يكون مع مخاطب معين ثم قد يترك الى غير معين كما تقول فلان لئيم ان اكرمته
اهانك وان احسنت اليه اساء اليك فلا تريد مخاطبا بعينه كانك قلت ان اكرم او احسن
اليه فقصدا الى ان سوء معاملته لا يختص واحدا دون واحد وانه في القران كثير نحو قوله
ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم على العموم قصدا الى تفظيع حال المجرمين وانه قد بلغت
من الظهور الى حيث يمتنع خفاؤها البتة فلا يختص رؤيته راء بل كل من يتاتى منه الرؤية
فله مدخل في هذا الخطاب وكذا امثاله او كان المسند اليه في ذهن السامع لكونه
مذكورا او في حكم المذكور لقرائن الاحوال ونريد الاشارة اليه كقوله
من البيض الوجوه بني سنان ۞ لو انك تستضيء بهم اضاؤا ۞
هم حلوا من الشرف المعلى ۞ ومن حسب العشيرة حيث شاؤا ۞ وقوله
يمن لي لشيء طالت يد العلى ۞ وقامت قناة الدين واشتد كاهله ۞
هو البحر من اي النواحي اتيته ۞ فلجته المعروف والبر ساحله ۞ وقوله
ارى الصبر محمودا وعنه مذاهب ۞ فكيف اذا ما لم يكن عنه مذهب ۞
هو المهرب المنجي لمن احدقت به ۞ مكاره دهر ليس عنهن مهرب ۞

واما الحالة التي تقتضي كونه علما فهي اذا كان المقام مقام احضار له بعينه في ذهن السامع
ابتداء بطريق يخصه نحو زيد بن لك وعمرو عدو لك وفي قوله

ابو مالك قاصر فقره ۞ على نفسه و مشيع غناه ۞ وقوله
الله يعلم ما تركت قتالهم ۞ حتى علوا فرسي باشقر مزبد ۞ قال الله تعالى
تبت يدا ابي لهب او مقام تعظيم والاسم صالح لذلك كما في الكنى والالقاب المحمودة او
اهانة والاسم صالح كالاسامي المذمومة او كناية مثل قوله تبت يدا ابي لهب اي يدا جهنمي
او مقام ايهام انك تستلذ اسمه العلم او تتبرك به او ما شاكل ذلك مما له مدخل في الاعتبار

فاما الحالة التي تقتضي كونه موصولا فهي متى صح احضاره في ذهن السامع بواسطة ذكر جملة
معلومة الانتساب الى مشار اليه واتصل باحضاره بهذا الوجه غرض مثل ان لا يكون
لك منه الا ما هو معلوم سواه او لمخاطبك فتقول الذي كان معنا امس لا اعرفه او الذي كان معنا
امس رجل عالم فاعرف او الذين في بلاد الشرق لا اعرفهم او لا نعرفهم او ان
تستهجن التصريح بالاسم او ان تقصد زيادة التقرير كما في قوله عز وعلا وراودته التي
هو في بيتها عن نفسه والعدول عن التصريح باب من البلاغة يصار اليه كثيرا وان اوجب
تطويلا يحكى عن شريح ان رجلا اقر عنده بشيء ثم رجع ينكر فقال له شريح شهد عليك
ابن اخت خالتك آثر شريح التطويل ليعدل عن التصريح بنسبة الحماقة الى المنكر لكون الانكار
بعد الاقرار ادخالا للعنق في ربقة الكذب لا محالة او للتهمة وكذا ما يحكى عنه ان عدي
بن ارطاة اتاه ومعه امراة له من اهل الكوفة يخاصمها فلما جلس بين يدي شريح قال
عدي اين انت قال بينك وبين الحائط قال اني امرؤ من اهل الشام قال بعيد سحيق قال
واني قدمت العراق قال خير مقدم قال وتزوجت هذه قال بالرفاء والبنين قال وانها
ولدت غلاما قال ليهنك الفارس قال واردت ان انقلها الى داري قال المرء احق باهله
قال وقد كنت شرطت لها دارها قال الشرط املك قال اقض بيننا قال فعلت قال
فعلى من قضيت قال على ابن امك عدل عن ان يقول عليك لئلا يواجهه بالتصريح بما لا يشق على
الخصم من القضاء عليه ۞ او ان تومي بذلك الى وجه بناء الخبر الذي تبنيه عليه

فيقول الذين امنوا لهم درجات النعيم والذين كفروا لهم دركات الجحيم ثم يتفرع على
هذا اعتبارات لطيفة فربما جعل ذريعة الى التعريض بالتعظيم كقولك الذي يرافقك
يستحق الاجلال والرفع والذي يفارقك يستحق الاذلال والصفع ومنه قولهم جاء
بعد اللتيا والتي وسيأتيك في فصل الايجاز معناه او بالاهانة كما اذا قلبت
الخبر في الصورتين وربما جعل ذريعة الى تعظيم شان الخبر كقوله ان الذي سمك السماء
بنى لنا بيتا دعائمه اعز واطول ۵ وربما جعل ذريعة الى تحقيق الخبر كقوله
ان التي ضربت بيتا مهاجرة بكوفة الجند غالت ودها غول ۵ وربما جعل ذريعة الى التنبيه
للمخاطب على خطا كقوله ان الذين ترونهم اخوانكم يشفي غليل صدورهم ان تصرعوا ۵
او على معنى آخر كقوله ان الذي الوحشة في داره تؤنسه الرحمة في لحده ۵
وربما قصد بذلك ان يتوجه ذهن السامع الى ما سيخبر به عنه منتظرا لوروده عليه
حتى ياخذ منه مكانه اذا ورد كقوله والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد ۵
وفي هذه الاعتبارات كثرة فحكم لها بحول ذكائك واما الحالة التي تقتضي كونه اسم
اشارة فهي متى صح احضاره في ذهن السامع بوساطة الاشارة اليه حسا واتصل بذلك
داع مثل ان لا يكون لك او للسامع طريق اليه سواها او ان يقصد بذلك
اكمل تمييز له وتعيين كقوله هذا ابو الصقر فردا في محاسنه من نسل شيبان بين الضال
والسلم ۵ وقوله واذا تامل شخص ضيف مقبل متسربل سربال ليل اغبر ۵
اومى الى الكوماء هذا طارق نحرتني الاعداء ان لم تنحري ۵
وقوله ولا يقيم على ضيم يراد به الا الاذلان عير الحي والوتد ۵
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يرثي له احد ۵
وقوله اولئك قوم ان بنوا احسنوا البنى وان عاهدوا اوفوا وان عقدوا شدوا ۵
او ان يقصد بذلك بيان حاله في القرب والبعد والتوسط كقولك هذا وذلك وذاك

ثم يتفرع على ما ذكر وجوه من الاعتبار مثل ان يقصد بذلك كمال العناية بتمييزه وتعيينه
كقوله عز من قائل اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون او ان يقصد ان السامع
غبي لا يتميز الشيء عنده الا بالحس كقول الفرزدق في خطابه جريرا اولئك آبائي
فجئني بمثلهم اذا جمعتنا يا جرير المجامع ۵ او ان يقصد بقربه تحقيره واسترذاله كما
قالت عائشة رضي الله عنها يا عجبا لابن عمرو هذا محتقرة له وهو عبد الله بن عمرو بن العاص
وكما يحكيه عز وعلا عن الكفار ماذا اراد الله بهذا مثلا وفي موضع آخر اهذا الذي
بعث الله رسولا وفي موضع آخر اهذا الذي يذكر آلهتكم ومنه وما هذه الحيوة الدنيا
الا لهو ولعب وكما يحكيه عن القائل عن امراته تقول وقد قدرها بسمينها ابعلي هذا بالرحى
المتقاعس ۵ وببعده تعظيمه كما تقول في مقام التعظيم ذلك الفاضل واولئك الفحول
وكقوله عز وعلا الم ذلك الكتاب لا ريب فيه ذهابا الى بعده درجة وفي قوله فيما يحكيه
جل وعلا فذلكن الذي لمتنني فيه لم تقل فهذا وهو يوسف حاضر رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق
ان يحب ويفتتن به واستبعادا لمحله ومن التبعيد لقصد التعظيم قوله تعالى وتلك
الجنة التي اورثتموها او بخلاف تعظيمه كما تقول ذلك اللعين او ما سوى ذلك مما له
انخراط في هذا السلك ولطائف هذا الفصل لا تكاد تنضبط واما الحالة التي تقتضي
التعريف باللام فهي متى اريد بالمسند اليه نفس الحقيقة كقولك الماء مبدأ كل حي
فانا عز من قائل وجعلنا من الماء كل شيء حي اي جعلنا مبدأ كل شيء حي هذا الجنس الذي
هو جنس الماء يروى في الروايات ان الله جل وعلا خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء والجن
من نار خلقها منه وآدم من تراب خلقه منه وكقولك الرجل افضل من المراة والدينار
خير من الدرهم والكل اعظم من الجزء ونعم الرجل وبئس الرجل ومن تعريف الجنس
قوله والخل كالماء يبدي لي ضمائره مع الصفا ويخفيها مع الكدر ۵
وقوله الناس ارض بكل ارض وانت من فوقهم سماء ۵

وقوله عز من قائل اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ولقرب المسافة
اذا تأملت تبين ان تعريف الاسم هذا التعريف وتبين ان تنزل غير معرف به منزلة
معرفة لتنزيل معاملة غير المعرف باللام ولقد امر على اللئيم يسبني فمضيت ثمت
قلت لا يعنيني ٥ فعرف اللئيم والمعنى ولقد امر على لئيم من اللئام ولذلك تقدر
يسبني وصفا لا حالا واما في القران غير نظيره او العموم والاستغراق كقوله عز وعلا
ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وكقوله والسارق والسارقة
فاقطعوا ايديهما وقوله ولا يفلح الساحر حيث اتى ٥ او كان المسند اليه حصة
معهودة من الحقيقة كما اذا قال لك قائل جاءني رجل من قبيلة كذا او رجلان او رجال فتقول
له الرجل الذي جاءك اعرف او الرجلان اللذان جاءاك او الرجال الذين جاؤك وفي
التنزيل وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم فجمع السحرة وفي موضع آخر
كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول ونظير ما ذكرنا من افادة اللام ٥
الاستغراق يذكر في الفن الثالث لشيئة تعالى **واما** الحالة التي تقتضي التعريف بالاضافة
فهي متى لم يكن للمتكلم الى احضاره في ذهن السامع طريق سواها اصلا كقولك غلام زيد ان لم يكن
عندك منه شيء سواه او عند سامعك او طريق سواها اخصر والمقام مقام اختصار
كقوله هواي مع الركب اليمانين مصعد جنيب وجثماني بمكة موثق ٥
او لانه في اضافته حصول مطلوب آخر مثل ان تغني عن التفصيل المتعذر او الاولى
تركه لجهة من الجهات كقوله بنو مطر يوم اللقاء كانهم اسود لها في غيل خفان اشبل ٥
وقوله اولاد جفنة حول قبر ابيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل ٥
وقوله قومي هم قتلوا اميم اخي فاذا رميت يصيبني سهمي ٥
وقوله قبائلنا سبع وانتم ثلاثة وللسبع خير من ثلاث واكثر ٥
او مثل ان يتضمن اعتبارا لطيفا مجازيا كقوله اذا كوكب الخرقاء لاح بسحرة سهيل اذاعت غزلها في القرائب ٥

وقوله

وقوله اذا قال قد بي قال بالله حلفة لتغني عني ذا انائك اجمعا ٥ او مثل ان
يتضمن نوع تعظيم باعتبار كما تقول عبدي حضر فتعظم شانك ان لك عبدا او كما
تقول عبد الخليفة حضر فتعظم شان العبد او كما تقول عبد الخليفة عند فلان فتعظم
شان فلان او نوع تحقير كما تقول ولد الحجام عندك او غير ذلك من الاغراض مما يتعلق بالاضافة
واما الحالة التي تقتضي وصف المعرف فهي اذا كان الوصف مبينا له كاشفا عنه
كما اذا قلت الجسم الطويل العريض العميق يحتاج الى فراغ يشغله او قلت المتقي الذي يؤمن
ويصلي ويزكي على هدى من ربه فتبينت بالوصف على اللطف وجه ان المتقي هو الذي
يفعل الواجبات باسرها ويجتنب الفواحش والمنكرات عن آخرها وكشفته كشفا
كانك حددته ووجه اللطافة هو انك خالفت اساس الحسنات ومنبعها وهو الايمان
وعقبته باُمي العبادات البدنية والمالية المستتبعين لسائر العبادات وهما
الصلوة والزكوة فاوذنت بذلك بفعل الواجبات باسرها وذكرت الناهي عن الفحشاء
والمنكر وهو الصلوة فاوذنت بذلك اجتناب الفواحش عن آخرها ونظيره في تنزيل
الوصف منزلة الكاشف للمعرى عليه قول اوس الالمعي الذي يظن بك الظن كان قد راى
وقد سمعا ٥ حكي عن الاصمعي انه سئل عن الالمعي فانشده ولم يزد وقوله تعالى
هذا او قوله جل وعلا ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه
الخير منوعا عن احمد بن يحيى قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر ما الهلع فقد فسره الله
او مدحا له كقولك الله الخالق البارئ المصور او كما اذا قلت المتقي الذي يؤمن ويصلي
ويزكي على هدى ولم ترد الا مدحه او ذما له كقولك ابليس اللعين ضال مضل او مخصصا
له زيادة تخصيص مفيدا اخبر ما ابرة اللبس او المدح كقولك زيد التاجر عندنا او كما
اذا قلت المتقي الذي يؤمن ويصلي ويزكي على هدى وانت تريد بالمتقي المجتنب عن
المعاصي او تاكيدا له مجردا كقولك امس الدابر لا يعود وكان مانعلق بالوصف مطلوبا

ولما ترى من طلب التمييز بالوصف وامتناع ان تميز شيئا عن شيء لما لا تعرفه لم يمكنك
ان تتوصل به الى ان حق الوصف كونه عند السامع معلوم الثبوت للموصوف ولعلمك
بان تحقق الشيء للشيء فرع على تحققه في نفسه لا يشتبه عليك ان حق كل وصف هو
ان يكون في نفسه ثابتا متحققا وان حق كل ما يقصد ثبوته للغير ان يكون في نفسه
ثابتا وعندك ما لا يكون ثابتا كذلك او متحققا فيمتنع منك جعله وصفا وكذا خبرا
ايضا بحكم عكس النقيض وعسى اذا استوضحت ما اريناك ان تجرب بنفسك في ترتيب
قياس من لا يرى العقبة معلومة وان تحقق ان محاولة اثبات الثابت في نفسه
لشيء آخر يستدعي ثبوت ذلك الشيء الآخر في نفسه لا محالة ثم يعلمك ان الطلب
سعي في التحصيل وان تحصيل الحاصل ممتنع كما سيأتيك كل ذلك في قانون الطلب
تعلم ان مطلوبك مثله في نحو هل رأيت كذا او في نحو اضرب يمتنع ان يكون ثابتا عندك
او متحققا فيمتنع ان يجعل مثله وصفا او خبرا ولذلك تسمعنا في مثل قوله جاؤوا
بمذق هل رأيت الذئب قط نقول بتقدير جاؤوا بمذق مقول عنده هذا القول
اي بمذق يحمل رائيه ان يقول لمشاهده هل رأيت الذئب قط لابرازه في خيال
الرائي لون الذئب بورقته لكونه سمارا او في مثل زيد اضربه وتفسيرنا قراءة ابن عباس
رضي الله عنه ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من فرعون على لفظ من الاستفهامي
ورفع فرعون بانه لما وصف الله تعالى العذاب بكونه مهينا بيانا للشدة وفظاعة
امره واراد ان تصور كنهه قال من فرعون هل تعرفونه من هو في فرط عتوه وشدة
شكيمته في تفرعنه فما ظنكم بعذاب يكون المعذب به مثله ثم عرف حاله في ذلك
قائلا انه كان عاليا من المسرفين وستطلع من كتابنا هذا على حد متحقق حد منه
على تمام لك بمحضه في احكامه **وأما** الحالة التي تقتضي تأكيده فهي اذا كان المراد
ان لا يظن بك السامع في حكمك ذلك تجوزا او سهوا او نسيانا كقولك عرفت انا

وعرفت

وعرفت انت وعرف زيد زيد او نفسه او عينه وربما كان القصد مجرد التقرير
كما يطلعك عليه فصل اعتبار التقديم والتأخير مع الفعل او خلاف الشمول
والاحاطة كقولك عرفني الرجلان كلاهما او الرجال كلهم ومنه كل رجل عارف وكل
انسان حيوان **وأما** الحالة التي تقتضي بيانه وتفسيره فهي اذا كان المراد
زيادة ايضاح بما يخصه من الاسم كقولك صديقك خالد قدم وقوله
علت كلمته لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد من هذا القبيل شفع الالهين
باثنين والاله بواحد لان لفظ الالهين يحتمل معنى الجنسية ومعنى التثنية
وكذا لفظ الاله يحتمل الجنسية والوحدة والذي له الكلام مسوق هو العدد
في الاول والوحدة في الثاني ففسر الالهين باثنين والاله بواحد بيانا لما هو الاصل
في الغرض ومن هذا من وجه قوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير
بجناحيه ذكر في الارض مع دابة ويطير بجناحيه مع طائر لبيان ان القصد
من لفظ دابة ولفظ طائر انما هو الى الجنسين والى تقريرهما **وأما** الحالة التي تقتضي
البدل عنه فهي اذا كان المراد تكرير الحكم وذكر المسند اليه بعد توطئة ذكره
لزيادة التقرير والايضاح كقولك سلب زيد ثوبه وجاء القوم اكثرهم وقوله [illegible]
الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم من الانواع الثلاثة من البدل دون
الرابع فليتأمل **وأما** الحالة التي تقتضي العطف فهي اذا كان المراد تفصيل المسند
اليه مع اختصار كقولك جاء زيد وعمرو وخالد او تفصيل المسند اليه مع اختصار
كقولك جاء زيد فعمرو فخالد او ثم عمرو ثم خالد او جاء القوم حتى خالد ولا بد في
حتى من التدريج كما ينبئ عنه قول من قال ... وكنت فتى من جند ابليس فارتقى
بي الحال حتى صار ابليس من جندي او كان المراد رد السامع عن الخطأ في الحكم
الى الصواب كقولك جاءني زيد لا عمرو لمن في اعتقاده ان عمرا جاءك دون زيد

او انهما جاءاك معا وكقولك ما جاءني زيد لكن عمرو لمن يعتقد ان زيدا جاءك
دون عمرو او كان المراد صرف الحكم عن محكوم له الى آخر كقولك جاءني زيد بل عمرو
او كان المراد الشك فيه او التشكيك كقولك جاءني زيد او عمرو او اما زيد واما
عمرو او كان المراد التفسير كقولك جاءني اخوك اي زيد على قول وفي العطف
لا سيما العطف بالواو كلام يأتيك في الفن الرابع واما الحالة التي تقتضي الفصل فهي
اذا كان المراد تخصيصه للمسند بالمسند اليه كقولك زيد هو المنطلق زيد هو
افضل من عمرو او خير منه زيد هو يذهب واما الحالة التي تقتضي تنكيره فهي
اذا كان المقام للافراد شخصا او نوعا كقولك جاءني رجل اي فرد من اشخاص الرجال
وقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء اي من نوع من الماء مختص بتلك الدابة او من
ماء مخصوص وهي النطفة او كان المقام غير صالح للتعريف اما لانك لا تعرف منه حقيقة
الا ذلك القدر وهو انه رجل او تجاهل فترى انك لا تعرف منه الا جنسه كما اذا سمعت
شيئا في اعتقادك فاسدا عمن هو عندك معين كذلك واردت ان تظهر لاصحابك انك
سوء اعتقادك فيه فقلت هل لكم في حيوان على صورة انسان يقول كيت وكيت متماديا
ان يقول فلان فتسميه كانك لست تعرف منه ولا احاطك الا تلك الصورة ولعله
عندكم اشهر من الشمس وعليه ما حكي عن علماء الكفار في حق النبي صلى الله عليه وسلم
هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد كأن لم يكونوا يعرفون
منه الا انه رجل ما وباب التجاهل في البلاغة والى سحرها وان شئت فانظر لفظ كان
في قول الحارثية ايا شجر الخابور ما لك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طريف ▲
او الاستحضار في قول علام الغيوب فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض
وتقطعوا ارحامكم متضمنا للتوبيخ لهم على ما يريبهم ورخاوة عقدهم في الايمان
ناعيا عليهم ان يتوقع من امثالهم ان تولوا امور الناس وتأمروا عليهم ان يفسدوا
في

في الارض ويقطعوا ارحامهم تناحرا في الملك وتهالكا على الدنيا لينبهم بهم
الناس ممن في المتوقع على ما يتمثل من اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم لئلا
يلبسوا المس اذا اعرض لهم بذلك على سبيل النصيحة جلد النمر وان لا سقلب له ظهر المجن
واما لانه لا طريق لك الى تعريف الزائد على هذا القدر لسامعك واما لان في تعيينه
ما يقلقا بمنعك واما لا تهويل شانه او ارتفاعا او انحطاطا واصلا الى حد يوهم انه لا يمكن
ان يعرف فتقول في جميع ذلك عندي رجل او حضر رجل وقولهم شر اهر ذا ناب
من اعتبار الاخير وستسمع في مثل هذا التركيب اعني نحو رجل جاء وامرأة حضرت
مو ابيد وكذا في قولك في حق من تحقق عندك انه في نوع من الانواع عندك شقة قال تعالى
ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ومنه ان نظن الا ظنا وقول ابن ابي السمط
له حاجب في كل امر يشينه وليس له عن طالب العرف حاجب ▲ منه ايضا
انظر كيف يجد الفهم والذوق لعصابتك كمال ارتفاع شان حاجب الاول وكمال
انحطاط حاجب الثاني وقال تعالى وعلى ابصارهم غشاوة فان التهويل امرها
وقال ولكم في القصاص حيوة فانك على ما نعني في هذا الجنس من الكلام الذي هو القصاص
حيوة ما عظيمة لمنعه عما كانوا عليه من قتل الجماعة بواحد متى اقتدروا او نوع من الحيوة
وهي الحيوة الحاصلة بالارتداع عن القتل لمكان العلم بالاقتصاص او ما ترى اذا هم
بالقتل فتذكر القصاص فارتدع ان يرتدع كيف يسلم صاحبه من القتل وهو من
القود فيتسبب لحيوة نفسين ولمعنى طلب التعظيم والتهويل بالتنكير قال تعالى
فاذنوا بحرب من الله ورسوله دون ان يقول بحرب الله ورسوله ولخلاف ذلك قال
وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن
طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر دون ان يقول ورضوان الله فقصدا
الى افادة وقدر يسير من رضوانه خير من ذلك كله لان رضاه سبب كل سعادة

وولاح واما قوله اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن بالتنكير دون عذاب الرحمن
بالاضافة فاما للتهويل واما لخلافه بمعنى اخاف ان يصيبك نصيب من عذاب
الرحمن وقوله وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك المعنى رسل اي رسل ذوو عدد
كثير واولو آيات ونذر واهل اعمار طوال واصحاب صبر وعزم وما اشبه ذلك
واما الحالة التي تقتضي تقديمه على المسند فهي متى كان ذكره اهم ثم ان كونه
اهم يقع باعتبارات مختلفة اما لان اصله التقديم ولا مقتضى للعدول عنه وستسمع
كلامنا في هذا المعنى في آخر الفن الثالث لتنالته تعالى واما لانه متضمن للاستفهام كقولك
ايهم منطلق وستقف عليه في القانون الثاني واما لانه ضمير الشان والقصة كقولك هو
زيد منطلق وعن قريب تعرف السر في التزام تقديمه واما لان في تقديمه تشويقا
للسامع الى الخبر ليتمكن في ذهنه اذا اورده كما اذا قلت صديقك فلان الفاعل
الصانع رجل صدوق وهو احدى خواص تراكيب الاخبار في باب الذي كما اذا قلت بدل
قولك زيد منطلق الذي زيد هو منطلق او بدل قولك سرني مقدمك سرني الذي هو
سرني خبر مقدمك او الذي خبره سرني مقدمك وهو السبب في التزام تاخير
الخبر في هذا الباب وامتناع الاخبار عن ضمير الشان والمراد بالاخبار في عرف
النحويين رحمهم الله في هذا الباب هو ان تعمد الى اي اسم شئت في الكلام فتزحلقه
الى العجز وتصير ما عداه صلة للذي ان كانت الجملة اسمية واما ان كانت فعلية
فللذي او للالف واللام بمعناه واضعا مكانه المزحلق ضميرا واقعا عائدا الى الموصول
مراعيا في ذلك ما افادك علم النحو مثل ان ضمير الشان ملتزم التقديم وان
الضمير لا ينصب مفعوله وان الحال لا يكون معرفا وان ربط المعنى بالمعنى اذا كان
بسبب عود الضمير فلا بد منه واما الضرب لذلك امثلة لتتحقق جميع ذلك هو مثل الاخبار
عن ضميرك في قولك الذباب يطير في الجو فيغضب ابا زيد الذي يطير الذباب فيطيره

في الجو فيغضب ابا زيد انا والطائر الذباب وعن الذباب الذي انا طائره يطير في الجو
فيغضب ابا زيد الذباب وعن الجو الذي الطائر الذباب يطير فيه فيغضب ابا زيد
الجو وعن زيد الذي الطائر الذباب يطير في الجو فيغضبه ابو زيد وعن زيد الذي
الطائر الذباب يطير في الجو فيغضب اباه زيد ولا تخبر في قولك هو اكرامي زيدا قائما
واجب عن ضمير الشان لئلا يلزم تاخيره الممتنع ولا عن الاكرام لئلا يلزم اعمال
الضمير الذي يقع موقعه في زيدا ولا عن قائما لئلا يلزم وقوع الضمير الذي هو معرفة
موقع الممتنع عن التعريف وهو الحال ولا عن الضمير في واجب لئلا يلزم رجوع الضمير
الغائب منه اذا عاد الى الموصول كما بحث ترك ربط الخبر بالمبتدا واما لان يتوهم
استناد الخبر اليه على الطائف كما ستعرفه في الفن الثالث واما لان اسم المسند
اليه يصلح للتفاؤل فتقدمه الى السامع لتسره او تسوءه مثل ان تقول سعد بن سعيد
في دار فلان وسفاك بن الجراح في دار صديقك واما لان كونه متصفا بالخبر يكون هو
المطلوب لا نفس الخبر كما اذا قيل لك كيف الزاهد فتقول الزاهد يشرب
ويطرب واما لتوهم انه لا يزول عن الخاطر او انه يستلذ فهو الى الذكر اقرب واما
لان تقديمه ينبئ عن التعظيم والمقام يقتضي ذلك واما لانه يفيد زيادة تخصيص
كقوله متى تهزز بني قطن تجدهم ۵ سيوفا في عواتقهم سيوف
جلوس في مجالسهم رزان ۵ وان ضيف الم فهم خفوف
والمراد هم خفوف وقوله يحسبك في القوم ان يعلموا ۵ بانك فيهم غني مضر
مسيخ مليح كلحم الحوار ۵ فلا انت حلو ولا انت مر
واشباه ذلك واما الحالة التي تقتضي تاخيره عن المسند فهي اذا استعمل المسند
على وجه من وجوه التقديم كما ستقف عليه في الفن الثالث لتنالته تعالى واما
الحالتان المقتضيتان لاطلاق المسند اليه او تخصيصه بحال التنكير فانت اذا

مهرت فيما تقدم استغنيت عن التعريف فيهما   الحالة المقتضية لقصر
المسند اليه على المسند فمتى اذا استعمل المسند ان يكون عند السامع حكم
مشوب بصواب وخطاء وانت تريد تقرير صوابه ونفي خطائه مثل ان يكون عند
السامع ان زيدا متمول وجواد فتقول له زيد متمول لا جواد لتعرف ان زيدا
مقصور على التمول وعليه ما يحكى عن رجل في حق يوسف عليه السلم ما
هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم اي مقصور على الملكية لا يتخطاها الى البشرية
وما يحكى عن اليهود في قوله واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون
اي يقولون نحن مقصورون على الصلاح لا يتأتى منا امر سواه واعلم ان القصر
كما يكون للمسند اليه على المسند يكون ايضا للمسند على المسند اليه ولكن ليس
هو مختصا بهذا الباب بل له شيوع وله تعريفات ما الاولى ان يورد للكلام
في ذلك فصلا ونؤخره الى تمام الغرض لما سواه في فانيها هذا ليكون الى الوقوف
عليه اقرب واعلم ان جميع ذلك هو مقتضى الظاهر ثم قد يخرج المسند اليه
لا على مقتضى الظاهر فيوضع اسم الاشارة موضع الضمير وذلك اذا كملت العناية
بتمييزه واما لانه اختص بحكم بديع عجيب الشان كقوله ٥

كم عاقل عاقل اعيت مذاهبه ٥ وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا ٥
هذا الذي ترك الاوهام حائرة ٥ وصير العالم النحرير زنديقا ٥

واما لانه قصد التهكم بالسامع والسخرية منه كما اذا كان فاقد البصر او
لم يكن ثمة مشار اليه اصلا او الندآء على كمال بلادته بانه لا يتميز المحسوس
بالبصر وبين غيره او على كمال فطانته وبعد غور ادراكه بان غير المحسوس
بالبصر عنده كالمحسوس عند غيره او قصدا ادعاء انه ظهر ظهور المحسوس بالبصر
كقوله تعالى ذلكن الذي لمتنني وما ملك عليه يوم بن قتيل قد طرقت بذلك

وما

لا يتعدى به الى الجود او
تقول له ما زيد الا متمول
او انما زيد متمول صح

اول موضعها
سبحان الذي وضع الاشياء موضعها
وفرق العز والاذلال تفريقا

لو نظما

وما شاكل ذلك وقد يوضع المضمر موضع المظهر كقولهم ابتدآء من غير جري ذكر لفظا
او قرينة حال ربه رجلا زيد وبئس رجلا عمرو مكان رب رجل ونعم الرجل
وبئس الرجل على قول من لا يرى الاصل زيد نعم رجلا وعمرو بئس رجلا وقولهم
هو زيد عالم وهي هند مليحة مكان الشان زيد عالم والقصة هند مليحة ليتمكن في ذهن السامع
ما يعقبه وذلك ان السامع متى لم يفهم من الضمير معنى بقي منتظرا لعقبى الكلام
كيف تكون فيتمكن المسموع بعده فضل تمكن في ذهنه وهو السر في التزام تقديمه
قال الله تعالى قل هو الله احد وقال فانها لا تعمى الابصار كما يوضع المظهر موضع المضمر
اذا اريد تمكين نفسه زيادة تمكين كقوله ان تسألوا الحق نعطي الحق سائله ٥
وقوله عز قائلا الله الصمد دون هو الصمد بعد قوله هو الله احد ونظيره خارج
باب المسند اليه وبالحق انزلناه وبالحق نزل وكذا فبدل الذين ظلموا قولا غير
الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا وتترك الحكاية الى المظهر اذا تعلق به غرض
فعل الخلفاء حيث يقولون امير المومنين يرسم لك مكان انا ارسم وهو ادخال
الروعة في ضمير السامع وتربية المهابة او تقوية داعي المامور وعليه قوله
تعالى فاذا عزمت فتوكل على الله او فعل المستضعف حيث يقول اسيرك يتضرع
اليك مكان انا اتضرع اليك ليكون ادخل في الاستضعاف وعليه قوله
الهي عبدك العاصي اتاكا وما جرى مجرى هذا الاعتبار واعلم ان هذا
النوع اعني نقل الكلام عن الحكاية الى الغيبة لا يختص المسند اليه ولا هذا
القدر بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها الى الآخر
ويسمى هذا النقل التفاتا عند علماء علم المعاني والعرب يستكثرون
منه ويرون الكلام اذا انتقل من اسلوب الى اسلوب ادخل في القبول عند
السامع واحسن تطرية لنشاطه واملأ باستدرار اصغائه وهم احرياء

الشيب قرى الاضياف سجيتهم ونحر العشار للضيف دابهم وهجيراهم لا تنزفت
ايدي الادوار لهم اديما ولا اباحت لهم حريما اقراهم يحسبون قرى الاشباح
فيخالفون فيه بين لون ولون وطعم وطعم ولا يحسبون قرى الارواح فلا يخالفون
فيه بين اسلوب واسلوب وايراد وايراد فان الكلام المفيد عند الانسان
لكن بالمعنى لا بالصورة اشهى غذاء له واطيب قرى لها قال ربيعة بن مقروم

بانت سعاد فامسى القلب معمودا واخلفتك ابنة الحر المواعيدا ۞
ثم قال مالم الاق امرءا اجزل مواهبه سهل الفناء رحيب الباع محمودا ۞
وقد سمعت بقوم يحمدون فلم اسمع بمثلك لا حلما ولا جودا ۞

فالتفت كما ترى حيث لم يقل بمثله وقال تذكرت والذكرى تهيجك زينبا واصبح
باقي وصلها قد تقضبا ۞ وحل بفلج والاباتر اهلنا وشطت فحلت غمرة فمثقبا ۞
فالتفت في البيتين وقال عوف بن الاحوص لهدمت الحياض فلم يغادر لحوض من نصائبه
اراء ۞ بحولة ادهم معنى واهلي واهلك ساكنون وهم رباح ۞ فالتفت في الثاني
وقال عبد الله بن عنمة ما ان نرى السيد زيدا في نفوسهم كما نراه بنو كوز ومرهوب ۞
ان تسألوا الحق نعط الحق سائله والدرع محقبة والسيف مقروب ۞
فالتفت في تسألوا وقال الحارث بن حلزة طرق الخيال ولا كليلة مدلج سدكا بارحلنا ولم يتعرج ۞
اني اهتديت لنا وكنت رجيلة والقوم قد قطعوا متان السجسج
فالتفت في الثاني وقال علقمة بن عبدة طحا بك قلب في الحسان طروب وعادت عواد
بيننا وخطوب ۞ فالتفت في البيتين وقال امرؤ القيس

تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد ۞
وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العائر الارمد ۞
وذلك من نبأ جاءني وخبرته عن ابي الاسود ۞

بعيد الشباب عصر حان مشيب تكلفني ليلى وقد شط وليها

فالتفت في الابيات الثلاثة وامثال ما ذكر اكثر من ان يضبطها القلم وهذا
النوع قد تختص مواقعه بلطائف معان قلما تتضح الا لافراد بلغائهم او للحذاق
المهرة في هذا الفن والعلماء النحارير ومتى اختص موقعه بشيء من ذلك كساه
فضل بهاء ورونق واورث السامع زيادة هزة ونشاط ووجد عنده من القبول
ارفع منزلة ومحل ان كان ممن يسمع ويعقل وقليل ما هم ام تحسب ان اكثرهم
يسمعون او يعقلون ولامر ما وقع التباين الخارج عن الحد بين مفتتحي كلام رب
العزة ومفتتح بين غواص في بحر فرائده وغواص وكل الالتفات وارد في القرآن متى
صرت من سامعيه عرفك ما موقعه ثم اذا احببت ان تصير فاصغ ثم لتتلى
عليك قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين فلعلك الست مما يشهد له الوجدان
بحيث يغنيه عن شهادة ما سواه ان المرء اذا اخذ في استحضار جنايات
جان متنقلا فيها عن الاجمال الى التفصيل وجد من نفسه تفاوتا في الحال بينا لا
يكاد يشتبه آخرها هناك واولها او ما تراك اذا كنت في حديث مع انسان وقد
حضر مجلسكما من له جنايات في حقك كيف تصنع تحول عن الجاني وجهك وتأخذ
في الشكاية عنه الى صاحبك تبثه الشكوى معددا جناياته واحدة فواحدة
وانت فيما بين ذلك واجد مزاجك يحمى على تزايد يحس كل حالة لك غضبية تدعوك
الى ان تواثب ذلك الجاني وتشافهه بكل سوء وانت لا تجيب ان تغلب فتقطع
الحديث مع الصاحب وتباشر اياه وترجع الى الجاني مشافها له يا لله قل لي هل
عاملك احد مثل هذه المعاملة هل يتصور معاملة اسوأ مما فعلت اما كان
لك حياء يمنعك اما كانت لك مروءة تردعك على هذا واذا كان الحاضر لمجلسكما
ذا نعم عليك كثيرة فاذا اخذت في تعديد نعمه عند صاحبك مستحضرا لتفاصيلها
احسست من نفسك بحالة كأنها تطالبك بالاقبال على منعمك وتزين لك ذلك

في الكلام

الى

ولا تزال تتزايد ما دمت في تعداد نعمه حتى تحملك من حيث لا تدري الى
ان تجدك وانت معه في الكلام تثني عليه وتدعو له وتقول بأي لسان اشكر
صنائعك الروائع وبأية عبارة احصر عوارفك الذوارف وما جرى مجرى ذلك
المجرى فاذا وعيت ما قصصته عليك وتأملت الالتفات في اياك نعبد واياك
نستعين بعد ملاحظتك لما قبله من قوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم
مالك يوم الدين على الوجه الذي يجب وهو التأمل القلبي علمت ما موقعه
وكيف اصاب المحز وطبق مفصل البلاغة لكونه منبها على ان العبد المنعم عليه
بتلك النعم العظام الفائتة للحصر اذا قدر انه ماثل بين يدي مولاه من حقه
اذا اخذ في القراءة ان تكون قراءته على وجه يجد معها من نفسه شيئا محركا
الى الاقبال على من يحمد صائرا في اثناء القراءة الى حالة شبيهة بايجاب ذلك عند
ختم الصفات مستدعيا انطباقا على المنزل على ما هو عليه والا لم يكن قاريا
والوجه هو اذا افتتح التحميد ان يكون افتتاحه عن قلب حاضر ونفس ذاكرة
يعقل فيم هو وعند من هو فاذا انتقل من التحميد الى الصفات ان يكون انتقاله
محذوا به حذو الافتتاح فانه متى افتتح على الوجه الذي عرفت مجريا على
لسانه الحمد لله افلا يجد محركا للاقبال على من يحمد من معبود عظيم الشان
حقيق بالثناء والشكر مستحق للعبادة ثم اذا انتقل على نحو الافتتاح الى قوله
رب العالمين واصفا له بكونه ربا مالكا للخلق لا يخرج شيء من ملكوته وربوبيته
افترى ذلك المحرك لا يقوى ثم اذا قال الرحمن الرحيم فوصفه بما ينبئ عن كونه
منعما على الخلق بانواع النعم جلائلها ودقائقها مصيبا اياهم بكل معروف
افلا تتضاعف قوة ذلك المحرك عند هذا ثم اذا آل الامر الى خاتمة هذه الصفات
وهي مالك يوم الدين المنادية على كونه مالكا للامر كله في العاقبة يوم الحشر

للثواب

للثواب والعقاب فما ظنك بذلك المحرك أيسع ذهنك ان لا يصير الى حد يوجب
عليك الاقبال على مولى شأن نفسك معه منذ افتتحت التحميد ما تصورت فتستطيع
ان لا تقول اياك يا من هذه صفاته نعبد ونستعين لا غيرك فلا تطبق على المنزل
على ما هو عليه ولبئس ابن حجر الكندي بيعه وهو المشهود له في البلاغة والحائز
لقصبات السبق في درك اللطائف والمتنبه للاناسي عن عيون النكت في
افتنانه في الكلام اذا التفت تلك الالتفاتات وكان يمكنه ان لا يلتفت
البتة وحاذر ان يسوق الكلام على الحكاية في الابيات الثلاثة فيقول
تطاول ليلي بالاثمد ونام الخلي ولم ارقد وبت وباتت لنا ليلة كليلة
لبيد فوقفت اسائلها وكيف سؤالنه او ان يلتفت نوعا واحدا فيقول
وبت وباتت لكم وذلك من نبإ جاءكم وخبرتموا عن ابي الاسود ان يكون حين
قصد تهويل الخطب واستفظاعه في النبإ الموجع والخبر المفجع للواقع
الثابت في العضد المحرق للقلب والكبد فعل ذلك منبها في التفاتة الاول
على ان نفسه وقت ورود ذلك النبإ عليها ولهت له وله الثكلى
فاقامها مقام المصاب الذي لا يتسلى بعض التسلي الا بتفجع الملوك له
وتحزنهم عليه واخذ يخاطبه بتطاول ليلك تسلية او تنبيه على ان
نفسه لفظاعة شان النبإ واستشعارها معه كمدا وارتما ضابالد
قلقا لا يبلغه كبد وتحيرا لا يفجره مرتمص وكان من حقها ان تتثبت وتتصبر
فعل الملوك وجريا على سنن المسلوك عند طوارق النوائب وبوارق المصائب
فحين لم تفعل شككته في انها نفسه فاقامها مقام مكروب ذي حرق فاطلا له
تطاول ليلك مسليا وفي التفاتة الثاني على ان التحزن تحزن صدق ولذلك لا
يتفاوت الحال خاطبتك ام لم اخاطبك وفي التفاتة الثالث على ان جميع ذلك

انما هو لما خصه ولم يتعده الى من سواه او تنبيه في الكناية الاولى على ان ذلك لنبا
الطائر قلبه وابار لبه وتركه حائرا بائرا فما فطن معه لمقتضى الحال من الحكاية
فجرى على لسانه ما كان الفه من الخطاب الدائر في مجاري امور الكبار امرا ونهيا
والانسان اذا دهمه ما يحار له العقول ويطير له الالباب وتدهش معه الفطن
لا يكاد يتسلم كلامه عن امثال ذلك وفي الكناية الثاني على انه بعد الصدمة الاولى
حين افاق شيئا مدركا لبعض الادراك ما وجد النفس معه فبنى الكلام على
الغيبة فابلاوبات وباتت له وفي الكناية الثالث على ما سبق او تنبيه في الكناية
الاول على ان نفسه حين لم تثبت ولم تصبر غائطة ذلك فاقام مقام المستحق
للعتاب مايلا له على سبيل التوبيخ والتعبير تطاول ليلك وفي الكناية الثاني
على ان الحامل على الخطاب والعتاب لما كان هو الغيظ والغضب فحين سكت
عنه الغضب بالعتاب الاول فان سورة الغضب بالعتاب تنكسر وولى عنها
الوجه وهو يقدم فابلاوبات وباتت له وفي الكناية الثالث على ما تقدم
وانما ذكرت لك ما ذكرت ليقف على ان الفحول البزل لا يعترفون بالبلاغة لامرئ
ولا يقيمون لكلامه وزنا ما لم يعثروا من مطاوي امتنانه على لطائف اعتبارات
والتفاضل بين الكلامين فيما يتبع الا باشباهها واعلم ان لطائف الاعتبارات
المرفوعة لك في هذا الفن من تلك المطامح النازحة من مقاملك لا يتنزاح انبائها
ما لم تمتد بصيرتك في الاستشراف لما هنالك اطناب المجهود ولم تتخلف
في السعي للتنقير عنها وتراك كل جد مجهود ماد افتعال صدق همة تنطش
في منوجاك بباع بسيط ان لا تنزل عن مرمى غرضك ولو مقدار فسيط مستطها
من طباعك ان تستشعرها بنفس لك يقظى وطبع لطيف مع فهم متسارع و
وخاطر معوان وعقل دراك وعلما هذه الطبقة الناظرة بانوار البصائر

المخصوصون

المخصوصون بالعناية الالهية المدلون بما اوتوا من الحكمة وفصل الخطاب على ان كلام
رب العزة وهو قرآنه الكريم وفرقانه العظيم لم يكتس تلك الطلاوة ولا استودع
تلك الحلاوة وما اغدقت اسافله ولا اثمرت اعاليه وما كان بحيث يعلو ولا
يعلى الا لانصبابه في تلك القوالب ولوروده على تلك الاساليب

الفن الثالث

للوجه الذي علمت تتلاطم ادنى فكره دون ابناء جنسه المستودع في استكشافه
عن اسرار البلاغة كل ابنه النقاب المحدث فلا يحتجب عنه شيء من بدايع النكت
من مكامنها المستخرج للطايف السحر البياني عن معادن نظم المستطلع طلع الاعجاز
التنزيلي باستغراق طوقه المالك لزمام الحكم كفا المتحدين بعجيب فهمه وغريب
ذوقه بهو الطلبة وما عداه ذرايع اليه وهو المرام وما سواه اسباب للتسلق
عليه ان لا بد من التصفح لمقتضيات الاحوال في ايراد المسند اليه على تلك الصور
والكيفيات تعلم لك ايضا ان لا بد من التفحص عن الاحوال المقتضية لانواع التفاوت
في المسند من كونه متروكا تارة وغير متروك اخرى ومن كونه مفردا او جملة
وفي افراده من كونه فعلا نحو قام زيد ويقوم وسيقوم او اسما منكرا او معرفا
من جملة المعرفات متبعا كل ذلك بنوع قيد نحو ضربت يوم الجمعة وزيد رجل عالم من
وعمرو اخوك الطويل او غير مقيد وفي كونه جملة من كونها اسمية او فعلية
او شرطية او ظرفية ومن كونه مؤخرا او مقدما حتى تهيا لك ان تتسنم لكل
مقام سمته وان تجري الى حد مقتضاه على اقوم سمته فهو المطارح الذي
تراد فيه قوى القرائح والمطارد الذي يمتاز فيه الجذع عن القارح **واما**
الحالة المقتضية لترك المسند فهي متى كان ذكر المسند اليه بحال يعرف
منه المسند وتعلق بتركه غرض اما اتباع الاستعمال كقولهم ضربي زيدا قائما
واكثر شربي السويق ملتوتا واخطب ما يكون الامير قائما وقولهم كل رجل

وصيغته وقولهم لولا زيد لكان كذا ونحو ذلك واما قصد الاختصار والاحتراز
عن العبث كما اذا قلت خرجت فاذا زيد او قلت زيد منطلق وعمرو او قوله
عز من قائل الا فانبئكم بشر من ذلكم النار اذا حملته على تقدير النار شر من ذلكم واما
ضيق المقام مع قصد الاختصار والاحتراز عن العبث كنحو قوله

قالت وقد رأت اصفرارى من به ۞ وتنهدت فاجبتها المتنهد ۞

اذا حمل على تقدير المتنهد هو المطالب دون هو المتنهد وستعرف في الحالة
المقتضية لكونه اسما معرفا ان التقدير اولى وقوله

نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف ۞

اى نحن راضون واما تخييل ان العقل عند الترك هو معرفة من حيث الظاهر
وبين المعرفتين بون ولذا ان تاخذ من هذا القبيل قوله عز وعلا والله
ورسوله احق ان يرضوه واما ان يخرج ذكره على ما ليس بمراد كما اذا قلت
في ازيد عندك ام عمرو ام عندك عمرو فانه يخرج ام عن كونها متصلة الى انها
منقطعة واما اختبار السامع هل يتنبه عند قرائن الاحوال او ما مقدار
تنبهه عندها واما طلب تكثير الفائدة بالمذكور من حمله عليه تارة وحمله
على غيره اخرى كقوله فصبر جميل وقوله طاعة معروفة لحملها تارة على
فصبر جميل اجمل وطاعة معروفة امثل وحملها اخرى على فامرى صبر
جميل وطاعتكم طاعة معروفة اى معروفة بالقول دون الفعل واما الحالة
المقتضية لذكره فهى ان لا يكون ذكر المسند اليه يفيد المسند بوجه تام من
الوجوه كما اذا قلت ابتداء زيد عالم او ان يكون في ذكر المسند غرض وهو
اما زيادة التقرير او التعريض بغباوة سامعك او استلذاذه او قصد التعجيب
من المسند اليه بذكره كما اذا قلت زيد يقاوم الاسد مع دلالة قرائن الاحوال

او

او تعظيمه او اهانته او غير ذلك مما يصلح للقصد اليه في حق المسند ان كان
صالحا لذلك او بسط الكلام بذكره والمقام مقام بسط او لان الاصل في
الخبر هو ان يذكر كما سبق امثال ذلك في اثبات المسند اليه او ليتعين بالذكر
لكونه اسما كنحو زيد عالم فيستفاد الثبوت فاصل الاسم صفة وغير صفة الدلالة
على الثبوت او كونه فعلا كنحو زيد علم فيستفاد التجدد او ظرفا كنحو
زيد في الدار فيورث احتمال الثبوت والتجدد بحسب التقديرين وهما كائن
او حصل وبابك فيه كلام الله ويصلح لشمول هذه الاعتبارات قولك عند الحالف
لله الحمد ومحمد نبينا والاسلام ديننا والتوحيد والعدل مذهبنا والخلفاء
الراشدون ائمتنا والتابرؤ لدين الله خليفتنا والدعاء له والثناء عليه وظيفتنا
واما الحالة المقتضية لافراد المسند فهى اذا كان فعليا ولم يكن المقصود من نفس
التركيب تقوى الحكم واعنى بالمسند الفعلي ما يكون مفهومه محكوما به بالثبوت
للمسند اليه او بالانتفاء عنه كقولك ابو زيد منطلق والكر من البر بستين
وضرب اخي عمرو ويشكرك بكر ان تعطه وفي الدار خالد اذ تقديره استقر
او حصل في الدار على اقوى الاعتبارين لتمام الصلة بالظرف كقولك الذي في الدار
اخوك كما تقرر ايمته علم النحو وتفسيره تقوي الحكم يذكر في حال تقديم المسند
على المسند اليه واما الحالة المقتضية لكونه فعلا فهى اذا كان المراد تخصيص
المسند باحد الازمنة على اخصر ما يمكن مع افادة التجدد كقوله عز وعلا فويل
لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون اى فويل لهم مما اسلفت ايديهم
من كتبة ما لم يكن حلالا لهم وويل لهم مما يكسبون بذلك بعد من اخذ الرشى وقوله
تعالى ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون اى فريقا كذبتموه على التمام وفرغتم
من تكذيبه ما بقي منه غير مكذب اى ما بقيتم لم تقتلوه على التمام وانما تقتلون

حذرا ان تتموا افسلة فنحو قول حول قبل محمد فانتم تعذ على الفعل وقوله تعالى
فسيكفيكهم الله وقوله تعالى سيقول السفهاء وقوله سنسند زحمهم والمراد بالزمان
الماضي ما وجد قبل زمانك الذي انت فيه وبالمستقبل ما يترقب وجوده وبزمان
الحال اجزاء من الطرفين تعقب بعضها بعضا من غير فرط مهلة وتراخ والحاكم في ذلك
هو العرف لا غير **واما** الحالة المقتضية لتقييده فهي اذا كان المراد تربية الفائدة
كما اذا قيدته بشيء مما يتصل به من نحو المصدر كنحو ضربا شديدا او ظرف الزمان كنحو
ضربت يوم الجمعة او ظرف المكان كنحو ضربت امامك او السبب الحامل كنحو ضربت
تاديبا وقعدت جبنا او المفعول به بدون حرف كنحو ضربت زيدا او بحرف كنحو
مررت بالسوط او ما ضربت الا زيدا او المفعول معه كنحو جلست والسارية
او الحال كنحو جاء زيد راكبا او التمييز كنحو طاب زيد نفسا او الشرط كنحو تضرب زيدا
ان ضربت عمروا او ان يضرب زيد تضرب عمروا اخرت او قدمت فهذه كلها تقييدات
للمسند وتفاصيل يزداد الكلام بها تعددا ولم ادخل الخبر في نحو كان زيد منطلقا
لان الخبر هناك هو نفس المسند لا تقييد للمسند انما تقييده هو كان فتامل
وقد ظهر لك من هذا ان الجملة الشرطية جملة خبرية مقيدة بقيد مخصوص
محتملة في نفسها للصدق والكذب واعلم ان للفعل ولما يتصل به من المسند
اليه وغير المسند اليه اعتبارات في الترك والاثبات والاظهار والاضمار
والتقديم والتاخير وله اعني الفعل بتقييده بالقيد الشرطي على الخصوص
اعتبارات لطائف لذكر جميع ذلك في اخر هذا الفن في فصل له على حدة
واما الحالة المقتضية لترك تقييده فهي اذا منع عن تربية الفائدة مانع
فوت او بعيد **واما** الحالة المقتضية لكونه اسما فهي اذا لم يكن المراد افادة
التجدد والاختصاص باحد الازمنة الثلاثة افادة الفعل لاغراض تتعلق
بذلك

بذلك **واما** الحالة المقتضية لكونه منكرا فهي اذا كان الخبر واردا على حكاية
المنكر كما اذا اخبر عن رجل في قولك عندي رجل تصديقا لك فقيل الذي عندك
رجل او كان المسند اليه نكرة كقولك رجل من قبيلة كذا حاضر فان كون المسند
اليه نكرة والمسند معرفة سواء قلنا يمتنع عقلا او يقبح عقلا ليس في كلام العرب
وتحقيق الكلام فيه ليس مما يهمنا الان فاما ما جاء من نحو قوله ولا يك موقف منك
الوداعا وقوله يكون مزاجها عسل وماء وبيت الكتاب اظبي كان امك ام حمار
فمحمول على سؤال عرضت الناقة على الحوض واصل الاستعمال ولا يك موقف منك
الوداعا ويكون مزاجها عسلا وماء واظبيا كان امك ام حمارا ولا تظن بيت الكتاب
خارجا عما نحن فيه ذهابا الى ان اسم كان انما هو الضمير والضمير معرفة فليس المراد
كان امك انما المراد ظبي بناء على ان ارتفاعه بالفعل المفسر لا بالابتداء ولذلك
قدرنا الاصل على ما ترى وفي البيت اعتبارات سوى الاخر اباه فلا علينا ان
نتاملها واياك والتبحث في خطبة احد هنالك فيخطا ابن اخت خالتك وان
النمط مسمى فيما بيننا بالقلب وهي شعبة من الاخراج لا على مقتضى الظاهر ولها
شيوع في التراكيب وهي مما يورث الكلام ملاحة ولا يشجع عليها الا كمال البلاغة
تاتي في الكلام وفي الاشعار وفي التنزيل يقولون عرضت الناقة على الحوض يريدون
عرضت الحوض على الناقة قال القطامي كما طينت بالفدن السياعا
اراد كما طينت الفدن بالسياع وقال الشماخ كما عصب العلباء بالعود
اراد كما عصب العود بالعلباء وقال خداش وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر
اراد وتشقى الضياطرة الحمر بالرماح ولك ان لا تحمله على القلب بوساطة
استعارة الشقاء لكسرها بالطعان وقال رؤبة ومهمه مغبرة ارجاؤه
كان لون ارضه سماؤه اراد كان لون سمائه من غبرتها لون ارضه وقال الاخر

يمشي فيتعس او يكلب فيعقر اراد وبعض فيكلب وفي التنزيل وكم من قرية اهلكناها
على احد الوجهين وفيه اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون
على ما يحمل من القه اليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم وفيه ثم دنى فتدلى على احد
تدلى فدنا ﻫ او كان المسند اليه معرفة لكن المراد بالمسند ومتعلقه غير معهود
ولا مقصود الانحصار بالمسند اليه كقولك زيد كاتب وعمرو شاعر واذا تاملنا
في تعريف المسند باللام اتضح عندك ما ذكرنا او كان يبغي تنكيره عما تقدم
في تنكير المسند اليه من ارتفاع الشان او انحطاطه كما قال لله تعالى هدى
للمتقين مريدا بتنكيره انه هدى لا يكتنه كنهه وكما قال ان زلزلة الساعة شيء
عظيم واما الحالة المقتضية للتخصيص اما بالاضافة كقولك زيد ضارب غلام
او بالوصف كقولك زيد رجل عالم فهي اذا كان المراد كون الفائدة اتم لما عرفت
في فصل تعريف المسند اليه واما الحالة المقتضية لترك التخصيص فظاهرة لك
ان كان ما سبق على ذكر منك واما الحالة المقتضية لكونه اسما معرفا فهي اذا
كان عند السامع متشخصا باحدى طرق التعريف معلوما له وكان يريد استعلامه
تقول فالمسند اذا كان متشخصا عند السامع معلوما له استلزم لا محالة كون
المسند اليه معلوما له ايضا لما قدمنا انتم واذا كانا معلومين عنده جاز ان يستفيد
بتعريفه فانا تقول بتعريفه اما لازم الحكم كما ترى في قولك لمن اثنى عليك بالغيب
الذي اثنى علي بالغيب انت معرفا له انك عالم بذلك او الحكم كما ترى في قولك لمن
يعرف ان له اخا ويعرف انسانا يسمى زيدا او يعرفه بحفظ التوراة او يراه
بين يديه لكن لا يعرف ان ذلك الانسان هو اخوه اذا قلت له اخوك زيد او اخوك
الذي يحفظ التوراة او اخوك هذا فقدمت الاخ او اذا قلت زيد اخوك او
الذي يحفظ التوراة اخوك او هذا اخوك فاخرت الاخ معرفا له في جميع ذلك ان ابا هذا

الاخر ولا تقدم فيما نحن فيه ما تقدم بسلامة الاخبار لكن اذا اثنى عليك بالغيب
انسان وعلم ان الثناء نقل اليك وانت تتصوره كالمستخبر عن حالك هل تعلم ان
ذلك المثني عليك هو وهل تحكم على ذلك المثني به فتقول الذي اثنى علي بالغيب
انت فتأتي بالحكم على الوجه المتصور او كان اثنى عليك هو وغيره وعلم ان ثناءهما
نقل اليك وانت تتصوره كالطالب ان تبين له كيف حكمك عليه وعلى ذلك الاخر
فتقول له الذي اثنى علي بالغيب انت فتأتي بالحكم على ما تتصوره وتفيده انك
انما اعتبرت ثناءه دون ثناء غيره واذا قلت انت الذي اثنى علي بالغيب قلته
اذا كان اثنى عليك ونقل اليك الثناء بحضرته ومحضر غيره فتتصوره كالطالب
ان تبين له كيف حكمك عليه فاتيت بالحكم على الوجه المطلوب واذا قلت
اخوك زيد قلته لمن يعتقد اخا لنفسه لكن لا يعرفه على التعيين فتتصوره طالبا
منك الحكم على احد بالتعيين واذا قلت زيد اخوك قلته لمن يعلم زيدا وهو
طالب ان يعرف حكما له وانه معتقد ان له اخا لكن لا يعلمه على التعيين وكذلك
اذا قلت اخوك الذي يحفظ التوراة او الذي يحفظ التوراة اخوك او اخوك هذا
او هذا اخوك واذا قلت زيد المنطلق قلته لمن يطلب ان يعرف حكما لزيد
اما باعتبار تعريف العهد ان كان المنطلق عنده معهودا واما باعتبار تعريف
الحقيقة واستغراقها واذا قلت المنطلق زيد قلته للمتشخص في ذهنه المنطلق
باحد الاعتبارين وهو طالب لتعيينه في الخارج واذا تاملت ما تلونا عليك
اعثرك على معنى قول النحويين لا يجوز تقديم الخبر على المبتدا اذا كانا معرفتين
معا بل ايهما قدمت فهو المبتدا وما قد يسبق الى بعض الخواطر من ان المنطلق
دال على معنى نسبي فهو في نفسه متعين للخبرية وان زيدا دال على الذات
فهو متعين للمسندالية تقدم او تاخر ولا معرج عليه فان المنطلق لا يجعل مسندا

الا معنى الشخص الذي له الانطلاق صاحب اسم زيد فيكون المراد من قولنا
المنطلق زيد الشخص الذي له الانطلاق صاحب اسم زيد واما ما قد يقع من نحو قوله
نحن وانت لما ادري كما كما لعاب الافاعي القاتلات لعابه مما لا يستقيم معناه
الا بالتقديم والتأخير فحقه الحمل على القلب المذكور حكم ما عرفه واعلم
ان القول بتعريف الحقيقة باللام وباستغراق مشكل اذا قلنا المراد بتعريف
الحقيقة القصد اليها وتمييزها من حيث هي هي لزم ان تكون اسماء الاجناس
معارف فانها موضوعة لذلك وانه قول لم يقل به احد ولئن التزمه ملتزم
فلا ريب في امتناع نحو رجعى الشبعة او البطنة وذكرى الحسنة او
السيئة وانما المراد رجوعا الشبع وذكرا الحسن فمن المسافة في التجنب
عن حديث التنوين ما هي ولئن ذهبت الى ان في نحو رجل وفرس ونحو اعتبار الوحدة
فليس فيها القصد الى الحقيقة اذن من حيث هي هي ليلزم تلك المصادر من نحو ضرب
وقتل وقيام ونحو رجعى وذكرى فليس فيها ذلك بالاجماع ولزم ان يكون
اللام في نحو الرجل وفي القرب لتأكيد تعريف الحقيقة اذا لم يقصد العهد
وانه قول لم يقل به احد واذا قلنا المراد بتعريف الحقيقة الاشارة الى حال
حضورها او تقدير حضورها لم يتميز عن تعريف العهد الوارد بالتحقيق
او بالتقدير لان تعريف العهد ليس شيئا غير القصد الى الحاضر في الذهن حقيقة
او مجازا كقولك جاءني رجل فقال الرجل كذا وقولك انطلق رجل الى موضع كذا
والمنطلق ذو جاه قال الله تعالى وليس الذكر كالانثى اي وليس الذكر
الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها واذا قلنا المراد بتعريف الحقيقة هو
الاستغراق لزم في اللام كونها موضوعة لغير التعريف اذا تأملت ولزم مع ذلك
ان يكون الجمع بينها وبين لفظ المفرد جمعا بين المتنافيين وان يمتنع الجمع

بينهما

بينهما في نحو الجمع بين المفرد وبين الواو والنون في نحو المسلمون امتنع لوجوه
كثيرة لا تخفى على متتبعي انواع الادب اذ ناها وجوب نحو الرجل الطوال والفرس
الدهم او صحته لا اقل على الاطراد وكل ذلك على ما ترى فاسد والاقرب بنا ان نعلق
قول بعض ائمة اصول الفقه بان اللام موضوعة لتعريف العهد لا غير هو
ان يقال المراد بتعريف الحقيقة احد قسمي التعريف وهو تنزيلها منزلة المعهود
بوجه من الوجوه الخطابية اما لان ذلك الشيء محتاج اليه على طريق التحقيق
فهو لذلك حاضر في الذهن فكانه معهود او على طريق التهكم وستعرف معنى هذا
في علم البيان واما لانه عظيم الخطر معقودة به الهمم على احد الطريقين فيبنى
على ذلك انه قلما ينسى فهو لذلك بمنزلة المعهود الحاضر واما لانه لا يغيب عن
الحس على احد الطريقين فيبنى على ذلك حضوره وينزل منزلة المعهود واما
لانه جار على الالسن كثير الدور في الكلام على احد الطريقين فيقام لذلك مقام
المعهود واما لان اسبابا في شأنه متاخذة او غير ذلك مما يجري مجرى هذه الاعتبارات
فيقام الحقيقة لذلك مقام المعهود ويقصد اليها بلام التعريف ثم ان الحقيقة
لكونها من حيث هي هي لا متعددة لتحققها مع المتعدد ولا لا متعددة لتحققها
مع الوحدة وان كانت لا تنفك في الوجود عن احدهما صالحة للتوحد والتكثر
فكون الحكم استغراقا او غير استغراق الى مقتضى المقام فاذا كان خطابيا
مثل المؤمن غر كريم والمنافق خب لئيم حمل المعرف باللام مفردا كان او جمعا
على الاستغراق بعلة ايهام ان القصد الى فرد دون آخر مع تحقق الحقيقة فيهما
ترجيح لاحد المتساويين واذا كان استدلاليا حمل على اقل ما يحتمل
وهو الواحد في المفرد والعدد الزائد على الاثنين بواحد في الجمع فلا يوجب في
مثل حصل الدرهم الا واحدا وفي مثل حصل الدراهم الا ثلاثة وسنقف على هذا

في نوع الاسناد لا اذا انتهينا اليه باذن الله تعالى ومبنى كلامه هنا على ان الاثنين
ليسا بجمع فان عدّ العالم الواقف على هاتيك القضية يسوا نفرا ولو احقر الاثنين
جمعا غير منفي منه وههنا دقيقة وهي ان الاستغراق نوعان عرفي وعقلي
عرفي فلا بد من رعاية ذلك فالعرفي نحو قولنا جمع الامير الصاغة اذا جمع صاغة
بلده او اطراف مملكته فحسب لا صاغة الدنيا وغير العرفي نحو قولنا الله غفار
الذنوب اي كلها واستغراق المفرد يكون اشمل من استغراق الجمع ويتبين ذلك
بان ليس يصدق لا رجل في الدار في نفي الجنس اذا كان فيها رجل او رجلان ويصدق
لا رجال في الدار ومن هذا يعرف لطف ما يحكيه تعالى عن زكريا عليه السلام رب
اني وهن العظم مني دون وهن العظام حيث توصل باختصار اللفظ الى الاطناب
في معناه واذا عرفت هذا فنقول متى قلنا زيد المنطلق او المنطلق
زيد في المقام الخطابي يلزم ان لا يكون غير زيد منطلقا ولذلك ينهى ان يقال
زيد المنطلق وعمرو بالواو ولا ينهى ان يقال زيد المنطلق لا عمرو بحرف لا ثم
اذا كان الامر في نفسه كذلك كما اذا قلت الله العالم الذات حمل على
الانحصار حقيقة والا كما في قولك حاتم الجواد وخالد الشجاع وقوله عز وعلا
الم ذلك الكتاب حمل على الانحصار مبالغة وتنزيلا لجود غير حاتم وشجاعة غير
خالد وكون غير الكتاب كتابا منزلة العدم لجريان اعتباره واما الحالة
المقتضية لكونه جملة فهي اذا اريد تقوي الحكم بنفس التركيب كقولك انا عرفت
وانت عرفت وهو عرف او زيد عرف كما سيأتيك تقرير هذا المعنى وفي قولك
بكر يشكرك ان تعطه او بكر ان تعطه يشكرك لما عرفت ان الجملة الشرطية
ليست الا جملة خبرية مقيدة بقيد مخصوص وكقولك خالد في الدار او
اذا كان المسند سببيا وهو ان يكون مفهومه مع الحكم بالثبوت لما هو
مبنى عليه

مبنى عليه او بالانتفاء عنه مطلوب التعلق بغير ما هو مبنى عليه تعليق اثبات
له بنوع ما او نفي عنه بنوع ما كقولك زيد ابوه انطلق او منطلق والبر الكر
منه بستين او يكون المسند فعلا يستدعي الاسناد الى ما بعده بالاثبات او
بالنفي بسبب ما قبله نحو عمرو ضرب اخوه لا شيئا متصلا بالفعل نحو زيد ضارب
اخوه او مضروب او كريم لسبق تطلعك عليه وما ذكرت لك اذا حققت مضمونه
اقفك على وجه حكم النحويين رحمهم الله انه لا بد في الجملة الواقعة خبرا من ذكر
يرجع الى المسند اليه لفظا او تقديرا واعثرك على ان الجملة بعد ضمير الشأن
في نحو هو زيد منطلق او انه زيد منطلق مستثناة عن هذا الحكم لكونها نفس
المخبر عنه واعثرك على وجه نيابة تعريف الجنس عن الضمير في نعم الرجل زيد على
قول من يرى المخصوص مبتدأ ونعم الرجل خبره ونيابة العموم عنه في مثل
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا واما الحالة
المقتضية لكون الجملة فعلية فهي اذا كان المراد التجدد كقولك زيد انطلق او ينطلق
فالفعل موضوع لافادة التجدد ودخول الزمان الذي من شأنه التغير في مفهومه
مؤذن بذلك واما الحالة المقتضية لكونها اسمية فهي اذا كان المراد خلاف
التجدد كقولك زيد ابوه منطلق فالاسم ان دل على التجدد لم يدل عليه الا بالعرض
ومن يسمع من تفاوت الجملتين الاسمية والفعلية تجددا او ثبوتا هو يطلعك
على انه حين ادعى المنافقون الايمان بقولهم امنا بالله وباليوم الاخر جاءوا
به جملة فعلية على معنى احدثنا الدخول في الايمان واعرضنا عن الكفر
ليروج ذلك عنهم كيف طبق المفصل في رد دعواهم الكاذبة بقوله تعالى
وما هم بمؤمنين حيث جيء به جملة اسمية ومع الباء وعلى تفاوت كلام المنافقين
مع المؤمنين ومع شياطينهم فيما يحكيه جل وعلا عنهم وهو واذا لقوا الذين

امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم تفاوتا الى الجملة فعلية
وهي امنا والى اسمية مع ان وهي انا معكم كيف اصاب سابكة الزمخشري وعلى
ان ابراهيم حين اجاب الملائكة عليهم السلام عن قولهم له سلاما بالنصب
بقوله لهم سلام بالرفع كيف كان عاملا بالذي يتلى عليك في القرآن المجيد من قوله
واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها **واما** الحالة المقتضية لكونها شرطية
فستقف عليها في موضعها **واما** الحالة لكونها ظرفية فهي اذا كان المراد اختصار
الفعلية كقولك زيد في الدار بدل استقر فيها او حصل فيها على اقوى الاحتمالين
على ما تقدم ويظهر لك من هذا ان مرجع الجمل الاربع الى اثنتين اسمية وفعلية
واما الحالة المقتضية لتاخير المسند فهي متى كان ذكر المسند اليه اهم كما
مضى في فن المسند اليه واياك ان تظن كون الكلام على المسند اليه مطلوبا هو
استيجاب صدر الكلام فليس هو هنا كل فلا تغفل **واما** الحالة المقتضية لتقديمه
فهي ان يكون متضمنا للاستفهام كنحو كيف زيد واين عمرو ومتى الجواب والقتال
الثاني موضع تقريره او ان يكون المراد تخصيصه بالمسند اليه كقوله عز وجل
لكم دينكم ولي دين وكقولك لمن يقول زيد اما قائم واما قاعد فيردده بين القيام
والقعود من غير ان يخصه باحدهما قائم هو وقولهم تميمي انا وارد على هذا
وسيأتيك هذا المعنى في فصل القصر كلام او ان يكون المراد التنبيه على
انه خبر لا نعت كقولها بعث راسي سرح وعلى البيد درع

وقوله له همم لا منتهى لكبارها ۞ وهمته الصغرى اجل من الدهر
وقوله لها خلق ضيق لو ان ۞ ومثله قوله اذا لم يخط بفلك هاجس
وقوله لكل جديد لذة غير انني ۞ وجدت جديد الموت غير لذيذ
وقوله عند الملوك مضرة ومنافع ۞ وارى البرامك لا تضر وتنفع

فصل

العلوي

المقتضية

له ... للتخصيص

وقولها الخرق ابلج ياتم الهداة به ۞ كانه علم في راسه نار
وقوله تعالى ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين وما شاكل ذلك فان
النعت لا يتقدم على المنعوت ولذلك يقال جاءني راكبا رجل وانما يصار الى هذا
التنبيه لان الظرف بتاخره عن المنكر يكون بالحمل على الوصف اولى منه بالحمل على
الخبر لامرين يتعاضدان في ذلك استدعاء المنكر في مقام الابتداء ان يوصف ليتوقى
بذلك فائدة الحكم كما سبق في الفن الثاني وملاحة الظرف ان يكون من صفاته ولذلك
لا يحسن تقديم الظرف على المنكر اذا كان موصوفا قال تعالى واجل مسمى عنده وان
هذا التقديم ملتزم مع مبتدا غير مصدر اما مع المصدر كنحو سلام عليكم
وويل لك فلا وههنا بين ظرف له حق في التاخير عن مبتدائه حال قبل مصيره
مبتدا وحاله قولك سلاما عليك بالنصب متى لا منزلة لسلم عليك مقيدا
التجدد كذلك وبين ظرف ليس له ذلك او ان يكون قلب السامع معقودا به
كقولك قد هلك خصمك لمن يتوقع ذلك او لانه صالح للتفاؤل او لانه اهم عند
القائل كما اذا قلت عليه من الرحمن ما يستحقه او كقوله
سلام الله يا مطر عليها ۞ وليس عليك يا مطر السلام وقوله
وليس معن في المودة شافع ۞ اذا لم يكن بين الضلوع شفيع
او ان يكون المراد بتقديمه نوع التشويق الى ذكر المسند اليه كقوله
ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها ۞ شمس الضحى وابو اسحق والقمر وقوله
وكالذر المعتوه فمن زمان اواخرها ۞ واولها دخان
وحق هذا الاعتبار تطويل الكلام في المسند والا لم يحسن ذلك الحسن او يكون
المراد بالجملة افادة التجدد دون الثبوت فيجعل المسند فعلا ويقدم المسند
على ما يسند اليه في الدرجة الاولى ونعني في الدرجة الاولى احترازا عن نحو انا عرفت

يعني في اعتبار اسناد الفعل الى الضمير العائد الى المسند اليه الذي هو الاسم المتقدم في الفعل لان اعتبار اسناد الفعل اليه اعني الاسم المتقدم بعد اعتبار اسناده الى الضمير مرتبة ثانية وهي في افادة المستفادة تقوى الحكم من هذا التركيب

وانت عرفت وزيد عرف فان الفعل فيه يستند الى ما بعده من الضمير ابتداء ثم
بوساطة عود ذلك الضمير الى ما قبله يستند اليه في الدرجة الثانية واذا
سلكت هذه الطريقة سلكت باعتبارين مختلفين احدهما ان تجري الكلام على الظاهر
وهو ان انا مبتدا وعرفت خبره وكذا انت عرفت وهو عرف ولا ابعد في تقدم
وتاخير كما اذا قلنا زيد عارف او زيد عرف اللهم الا في اللفظ وثانيهما ان تقدر
اصل النظم عرفت انا وعرفت انت وعرف هو ثم يقال قدم انا وانت وهو فنظم
الكلام بالاعتبار الاول لا يفيد الا تقوي الحكم وسبب تقويه هو ان المبتدا لكونه
مبتدا يستدعي ان يسند اليه شيء فاذا جاء بعده ما يصلح ان يسند اليه صرفه
المبتدا الى نفسه فينعقد بينهما حكم سواء كان خاليا عن ضمير المبتدا نحو زيد غلامك
او كان متضمنا له نحو انا عرفت وانت عرفت وهو عرف او زيد عرف ثم ان كان
متضمنا لضميره صرفه ذلك الضمير الى المبتدا ثانيا فيكتسي الحكم قوة فاذا قلت
هو يعطي الجزيل كان المراد تحقيق اعطائه الجزيل عند السامع دون تخصيص اعطاء
الجزيل به وعليه قوله عز وجل واتخذوا من دونه الهة لا يخلقون شيئا وهم
يخلقون ليس المراد ان شيئا سواهم لا يخلق انما المراد تحقيق انهم يخلقون وقوله
ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين وقوله تعالى وحشر لسليمان
جنوده من الجن والانس فهم يوزعون وقوله تعالى واذا جاؤكم قالوا امنا وقد دخلوا
بالكفر وهم قد خرجوا به وكذا اذا قلت انت لا تكذب كان اقوى للحكم بنفي
الكذب عن المخاطب من قولك لا تكذب من غير شبهة ومن قولك لا تكذب انت فان انت
هنا لتاكيد المحكوم عليه بنفي الكذب بانه هو لا غيره لا لتاكيد الحكم وتقريره وعليه
قوله تعالى والذين هم بربهم لا يشركون وقوله لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون
وقوله تعالى فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون وقوله تعالى ان شنئك الدولب

على

عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ويقرب من قبيل انا عرفت وانت عرفت وهو عرف
في اعتبار تقوي الحكم زيد عارف وانما قلت يقرب دون ان اقول نظيره لانه
لما لم يتفاوت في الحكاية والخطاب والغيبة في انا عارف وانت عارف وهو عارف
اشبه الخالي عن الضمير ولذلك لم يحكم على عارف بانه جملة ولا عومل معاملتها
في البناء حيث اعرب في نحو جاء رجل عارف رجلا عارفا برجل عارف كما عرف
في علم النحو واشبه في حكم الافراد نحو زيد عارف ابوه وبالاعتبار الثاني يفيد
(في انه ليس بجملة والمراد ههنا ما يعم ... للظاهر)
التخصيص قال تعالى ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم المراد لا
يعلمهم الا الله ولا يطلع على اسرارهم غيره لابطانهم الكفر في سويداوات قلوبهم
وسيأتيك بيانه في فصل التقديم والتاخير ونظيره قولنا انا عرفت في اعتبار
الابتداء الذي على سبيل القطع قولك زيد عرفت او عرفته وفي اعتبار التقديم
زيدا عرفت الرفع يفيد تحقيق انك عرفت زيدا والنصب يفيد انك خصصت زيدا
بالعرفان واما زيدا عرفته فانت بالخيار ان شئت قدرت المفسر قبل المنصوب
على نحو عرفت زيدا عرفته وحملته على باب التاكيد وان شئت قدرته بعده
على نحو زيدا عرفت عرفته وحملته على باب التخصيص واما نحو قوله تعالى واما ثمود
فهديناهم فيمن قرأ بالنصب فليس الا للتخصيص لامتناع اما فهدينا ثمود واما
نحو زيد عرف ورجل عرف فليسا من قبيل هو عرف في احتمال الاعتبارين على السواء
بل حق المعرف حمله على وجه تقوي الحكم وحق المنكر حمله على وجه التخصيص وانما
افترق الحكم بين الصور الثلاث لانا اذا قلنا عرف هو لم يكن هو فاعلا لما عرف
في علم النحو ان ضمير الفاعل لا ينفصل الا اذا جرى الفعل على غير ما هو له في
موضع الالتباس او اذا تقدم عليه الاصول كنحو ما ضرب الا هو او معنى كنحو انما
يدافع عنك انا اذ المعنى لا يدافع عنك (او لفظا) الا انا واذا لم يكن هو فاعلا احتمل

التقديم على الفعل فاذا قلنا هو عرف كان له حال الاحتمال مع احتمال الابتداء
لكونه في موضعه وكونه مع ذلك على شرطه في قوة الفائدة بالاخبار عنه وهو تعرفه
واذا قلنا عرف زيد كان زيد مرفوعا بما يعرفه لقلة نظائره واستمرار العرف الذي
طالما وحينئذ لا يكون له احتمال التقديم على الفعل كما سبق في علم النحو فلا يكون
لقولنا زيد عرف غير احتمال الابتداء اللهم الا بذلك الوجه البعيد فلا يرتكب
عند المعرفة لكونه على شرط المبتدأ وانما يرتكب عند المنكر لقولنا الشر اذا لم يمنع
عن التخصيص مانع كما اذا قلت رجل جاءني الهيئة ان يراد الجائي رجل لا امرأة او الساعي
دون قولهم شر اهر ذا ناب لامتناع ان يراد المهر لذي ناب شر لا خير اللهم
الا اذا جعلت التخصيص على وجه آخر وهو الافراد وشر اهر ذا ناب لا شران على
تقدير رجل جاء لا رجلان فانه يحمل نظائره كثيرا عند علماء هذا النوع وشر
اهر ذا ناب لا شران لكن بهذا الوجه يكون نائيا عن مظان استعماله واذا
صرح الائمة رحمهم الله بتخصيصه حيث تأولوه بما اهر ذا ناب الا شر فالوجه
تفظيع شان الشر بتنكيره كما سبق فهو مجرد ولما عرفت من ان بناء الفعل على
المبتدأ اقوى للحكم تراهم اذا استعملوا لفظ المثل ولفظ الغير بطريق الكناية
نحو مثلك لا يبخل بمعنى انت لا تبخل وغيرك لا يجود بمعنى انت تجود من غير ارادة
التعريض بغيره لمقتضى المثل والغير على الشائع تقصد اليهما لا يكادون يتركون تقديمهما
لكونه اعون للمعنى المراد بهما اذ ذاك وتحقيق هذا في علم البيان ان شاء الله تعالى

فصل واعلم ان للفعل ولما يتعلق به اعتبارات مجموعها راجع الى الترك والاثبات
والاظهار والاضمار والتقديم والتأخير فلا بد من الكلام هناك ومن التكلم على
المقصور في تفصيله اعني الفعل بالقيود الشرطية فنقول لما التمهد فلا
يتوجه الى فاعله كما عرفت في علم النحو وانما يتوجه الى نفس الفعل او الى غير الفاعل
لكنه

لكنه لا يصح انتصابا ظاهرا الا في المفعول به كما ستقف عليه اما الحالة المقتضية
لترك الفعل فهي ان تعين قرائن الاحوال عن ذكره ويكون المطلوب هو الاختصار
لترك الفعل او اتباع الاستعمال الوارد على تركه كما اذا اردت ضرب المثل بقولهم
الاحظية فلا الية او بقولهم لو ذات سوار لطمتني او غير ذلك مما هو مسلوك في
هذا القالب او تعليل على ترك نظائره كما اذا قلت ان زيدا جاء ولو عمرو ذهب وتلك
القرائن كثيرة وانا اضبط لك منها ههنا ما تستعين به على درك ما عسى يشتبه عليك
الضبط فاقول والله الموفق للصواب منها ان يكون الكلام نحو ان ذو لو تنون لانا ولو ذات
سوار لطمتني وهلا ابو لحضرة واذا السماء انشقت ونحو ان زيدا ذهب او ذهب
به او ذهب اخوه واباه فانهم لهم كما سبق التعرض له في علم النحو ومنها
ان يكون هناك حرف اضافة فان حروف الاضافة لو ضعها ان تفضي بمعاني الافعال
الى الاسماء لا تنفك عن الافعال الا ان دلالتها لا تتخطى الفعل المطلق فان اريد
تفسيره احتيج الى دلالة اخرى ثم هي تتفاوت فتارة تكون الشروع فيه كما
اذا قلت عند الشروع في القراءة بسم الله فانه يفيد ان المراد بسم الله اقرأ او عند
الشروع في القيام او القعود او اي فعل كان فانه يفيد ذلك وتارة تكون الاقتران
كقولك لمن اعرس بالرفاء والبنين او لمن قوض الملك ان يختار اليك الاختيار فانه يفيد
بالرفاء اعرست واليك يفوض وتارة تكون عموم الاستعمال كقولك في الدار او في
البلد او في كذا فانه لا يراد الا معنى الحصول وتارة يكون غير ذلك من مقتضيات
الاحوال فيقاس ومنها ان يكون الكلام جوابا لسؤال واقع نحو ان
يسمع منك يكتب القرآن لي فتسأل عمن يكتبه فتقول زيد فتكون مغنية
عن ذكر يكتب وعليه قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
وقوله تعالى ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله

او جوابا للسؤال المقدر مثل ان تقول كتب القرآن لي زيد وعليه بنيت الكتاب
ليبك يزيد ضارع لخصومة وقراءة من قرأ يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال
وكذلك يوحى اليك ببناء الفعل للمفعول في البيت والآيتين وعن البناء على
السؤال المقدر ارتفاع المخصوص في باب نعم وبئس على احد القولين وعسى
ان يتعرض في فضل الايجاز والاطناب لهذا الباب وان هذا التركيب متى وقع
موقعه رفع شان الكلام في باب البلاغة الى حيث يناطح السماك وموقعه ان
يقبل من بليغ عالم بمجاري البلاغة بصير بمقتضيات الاحوال ساحر في اقتضاب الكلام
ماهر في افانين السحر الى بليغ مثله مطالع من كل تركيب على حاق معناه وفصوص
مستتبعاته فان جوهر الكلام البليغ مثله مثل الدرة الثمينة لا ترى درجتها
تعلو ولا قيمتها تغلو ولا تشترى بثمنها ولا تجري في مساومتها على سعرها ما لم
يكن المستخرج لها بصيرا بشانها والراغب فيها خبيرا بمكانها وثمن الكلام ان
يوفى من ابلغ الاصغاء واحسن الاستماع حقه وان يتلقى من القبول له والاهتزاز
ما هو اهل ما استحقه ولا يقع ذلك ما لم يكن السامع عالما بجهات حسن الكلام ومعتقدا
بان المتكلم تعمدها في تركيبه للكلام عن علم منه فان السامع اذا جهلها لم يميز
بينه وبين ما دونه وربما انكره وكذلك اذا اساء بالمتكلم اعتقاده وربما نسبه
في تركيبه ذلك الى الخطأ وانزل كلامه منزلة ما يليق به من الدرجة النازلة
ومما يشهد لك بهذا ما روي عن علي عليه السلام انه كان يشيع جنازة فقال
له قائل من المتوفي بلفظ اسم الفاعل سائلا عن المتوفى فلم يقل فلان بل قال الله تعالى
ردا لكلامه عليه ومخطئا اياه منبها له بذلك على انه كان يجب ان يقول من
المتوفى بلفظ اسم المفعول ويقال ان هذا الواقع كان احد الاسباب التي
دعته الى استخراج علم النحو فامر ابا الاسود الدؤلي بذلك فاخذ فيه فهو اول

اسمه

اسمه علم النحو كرم الله وجهه وما فعل ذلك الا لانه عرف من السائل انه ما اورد
لفظ المتوفي على الوجه الذي يستوجب جزالة في المعنى وفخامة في الايراد وهو
وجه القراءة المنسوبة اليه والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا بلفظ بناء
الفعل للفاعل من ارادة معنى والذين يستوفون مدد اعمارهم واذ قد عرفت هذا
فنقول في التركيب الذي نحن فيه من مثل كتب القرآن لي زيد برفع زيد مع
بناء الفعل للمفعول جهات للحسن ومزايا نتلوها عليك لتكون لك ذريعة الى
درك ما سواها اذا استخدمتها بقريحتك منها ان الكلام متى نسج على هذا
المنوال ناب مناب الجمل الثلاث احدها يكتب القرآن لي والثانية المدلول
عليها بزيد وهي من يكتبه والثالثة زيد مع الرافع المقدر وهي يكتبه زيد لانه
اذا قيل يكتب القرآن لي زيد بلفظ المبني للفاعل ولا شبهة ان الكلام
متى كان اجمع للفوائد كان ابلغ ومنها ان الكلام متى سيق هذا المساق
كان كل واحد من لفظي القرآن وزيد مقصودا اليه في الذكر غير مستغنى عنه بخلافه
في التركيب الآخر فان لفظ القرآن فيه يعد فضلة والتوسط ظاهر ومنها
ان الكلام متى سلك به هذا المسلك لم يكن اوله مطمعا في ذكر الكاتب فاذا ورد
السامع فابدع حاله كانت حاله كمن تيسر له غنيمة من حيث لا يحتسب بخلافه
في النظم الآخر ومنها ان الكلام على ذلك النظم مؤذن بان مساس الحاجة اليه
دون مساس الحاجة الى الفاعل وكونه مقدما فيه على الفاعل يكون مؤذنا
بالاعتناء بشانه وان مساس الحاجة اليه فوق مساس الحاجة الى ما اخر عنه
في هذا النظم فانه لم يكن ساكتا عن ذلك وفي هذا الوجه نظر بيناه في الحواشي
ومنها ان الكلام في التركيب الذي نحن فيه يفيد اسناد الكتابة الى الفاعل
اجمالا اولا وتفصيلا ثانيا وفي غيره يفيد اسنادها اليه من وجه واحد

فيكون هذا التركيب ابلغ ومن قبيل ما نحن بصدده قوله تعالى وجعلوا لله شركاء
الجن فلله شركاء هما مفعولا جعلوا وانتصاب الجن بفعل مضمر دل عليه السؤال
المقدر وهو من جعلوا لله شركاء واما الحالة المقتضية لاثبات الفعل فاشتمال
المقام على جهة من جهات الاستدعاء له والتلفظ به فمما نبهت على امثاله غير مرة
واما الحالة المقتضية لترك مفعوله فهي القصد الى التعميم والامتناع عن
ان يقصره السامع على ما يذكر معه دون غيره مع الاختصار وانه احد انواع سحر
الكلام حيث يتوصل بتقليل اللفظ الى تكثير المعنى كقولهم في باب البلاغة فلان
يعطي ويمنع ويصل ويقطع ويبني ويهدم ويغني ويعدم وقوله عز وعلا والله
يدعو الى دار السلام القصد الى نفس الفعل بتنزيل المتعدي منزلة اللازم
ذهابا في نحو فلان يعطي الى معنى يفعل الاعطاء وتوجد هذه الحقيقة
ايهاما للمبالغة بالطريق المذكور في افادة اللام للاستغراق وعليه قوله عز وجل
فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون المعنى وانتم من اهل العلم والمعرفة او القصد
الى مجرد الاختصار لنيابة قرائن الاحوال عن ذكره كقوله عز وعلا اهذا الذي بعث
الله رسولا اذ لا يلتبس ان المراد اهذا الذي بعثه الله لاستدعاء الموصول
الراجع اليه من الصلة وقوله ارني انظر اليك لاتضاح ارني ذاتك وقوله تعالى
ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون ووجد من دونهم امراتين
تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء لانصباب الكلام
على الارادة يسقون مواشيهم وقوله تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين لظهور ان
المراد ولو شاء هدايتكم لهداكم ولك ان تنظم قوله فلا تجعلوا لله اندادا وانتم
تعلمون في هذا السلك على تقدير وانتم تعلمون انه لا يماثل او وانتم تعلمون
ما بينه وبينها من التفاوت او وانتم تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كقوله تعالى
هل

ان المراد هو

هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء واكثر فواصل القرآن على نحو تعقلون
تفقهون وابرع على ما سمعت من الاحتمالين وقول الشاعر

وقوله: اذا شاء طالع مسجورة ترى حولها النبع والساسما ۝

وقوله: فان شئت لم ترقل وان شئت ارقلت مخافة ملوي من القد محصد ۝

لو شئت عدت بلاد نجد عودة فحللت بين عقيقه وزروده ۝

او الرعاية على الفاصلة كنحو والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى او
استهجان ذكره كقول عائشة رضي الله عنها ما رأيت منه ولا رأى مني تعني العورة
او القصد الى اعتبار غير ذلك من الاعتبارات المناسبة للترك واما الحالة
المقتضية لاثباته فعراء المقام عما ذكر او القصد الى زيادة تقريره وبسط الكلام
بذكره او للرعاية على الفاصلة كقوله تعالى والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها
وما شاكل ذلك من الجهات المعتبرة في باب الاثبات واما الحالة المقتضية
لاضمار فاعله فهي كون المقام حكاية او خطابا كقولك عرفت وعرفت او كون
الفاعل مسبوقا بالذكر كقولك جاء في رجل وطلب مني كذا وكذا او في حكم
المسبوق به كنحو قوله في مطلع القصيدة زارت عليها للظلام رواق ومن النجوم قلائد ونطاق ۝
وقوله في الافتتاح فالت ولم تقصد لقيل الخنا مهلا فقد ابلغت اسماعي ۝
واما الحالة المقتضية لكونه مظهرا فهي كون المقام غير ما ذكر او كونه مستدعيا
للاثبات كقول الخلفاء يرسم امير المؤمنين كذا مكان ارسم كذا واما اعتبار
التقديم والتأخير مع الفعل فعلى ثلاثة انواع احدها ان يقع بين الفعل وبين ما
هو فاعل معنى كنحو انا عرفت وانت عرفت وهو عرف دون زيد عرف وثانيها
ان يقع بينه وبين غير ذلك كنحو زيدا عرفت ودرهما اعطيت وعمرا منطلقا
علمت وثالثها ان يقع بين ما يتصل به كنحو عرف زيد عمرا وعرف عمرا زيد وعلمت

زيدا منطلقا وعلمت منطلقا زيدا او كسوت عمرا جبة وجبة عمرا ولكل من ذلك
حالة تقتضيه **فالحالة** المقتضية للنوع الاول هي ان يكون هناك وجود
فعل وعالم به لكنه مخطئ في فاعله او في تفصيله وانت تقصد ان ترده الى
الصواب كما تقول انا سعيت في حاجتك انا كفيت مهمك تريد دعوى الانفراد بذلك
وتقرير الاستبداد به وترد بذلك على من زعم ان ذلك كان من غيرك او ان غيرك
فعل فيه ما فعلت ولذلك اذا اردت التاكيد قلت للزاعم في الوجه الاول
انا كفيت مهمك لا عمرو او لا غيري وفي الوجه الثاني انا كفيت مهمك وحدي
ومن قولهم في المثل اتعلمني بضب انا حرشته شاهد صدق على ما ذكر عند من له ذوق
وليس اذا قلت سعيت في حاجتك او سعيت انا في حاجتك يجب ان يكون ان عند
السامع وجود سعي في حاجته قد وقع خطا منه في من جاء او تفصيله فتقصد
ازالة الخطاء بل اذا قلته ابتداء مفيدا اياه وجود السعي في حاجته منك غير
مشوب بتجوز او سهو او نسيان صح ومنه ما حكيته عن كلمة قوم شعيب
عليه السلام وما انت علينا بعزيز اي العزيز علينا يا شعيب رهطك لا انت
لكونهم من اهل ديننا ولذلك قال عليه السلام في جوابهم ارهطي اعز عليكم من الله اي
من نبي الله ولو انهم كانوا قالوا وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب ولا طابق
ولذلك يشتهي ان يقال في النفي عند التقديم ما انا سعيت في حاجتك
ولا احد سواي لاستلزامه ان يكون سعي في حاجته غيرك لا انت وان لا يكون
سعي في حاجته غيرك ولا انت ولا يشتهي ان يقال ما سعيت في حاجتك ولا
احد غيري ولذلك ايضا يستهجن ان يقال في النفي عند التقديم ما انا رايت
احدا من الناس لاستلزامه ان يكون قد اعتقد فيك معتقد انك رايت كل
كل احد في الدنيا فنفيت ان تكون اياه ولم يستهجن ان يقال ما رايت احدا من
الناس

ولذلك اذا اكدت
فقلت انا سعيت
انا في حاجتك
ولا احد غيري ح

من الناس او ما رايت انا احدا من الناس ويجوز عن ان يقال عند التقديم
ما انا ضربت الا زيدا لان نقض النفي بالا يقتضي ان تكون ضربته ولا غيرك ان
يقال ما ضربت الا زيدا وما ضربت انا الا زيدا **والحالة** المقتضية للنوع
الثاني ان يكون هناك من اعتقد انك عرفت انسانا واصاب لكن اخطا فاعتقد
ذلك الانسان غير زيد وانت تقصد رده الى الصواب فتقول زيدا عرفت واذا
قصدت التاكيد والتقرير قلت زيدا عرفت لا غيره ولذلك يشتهي ان يقال ما
زيدا ضربت ولا احدا من الناس ويستهجن ان يقال ما انا ضربت زيدا ولا احدا غيرك
والنهي الواقع مقصور على الحالة المذكورة اما اذا ظن بك القائل ظنا فاسدا
انك تعتقده قد ضربت عمرا او انك تعتقد كون زيد مضروبا وبان ما قاله مدعيا
في الصورة الاولى زيدا ضربت وفي الثانية انا ضربت زيدا فالصحيح منك ان تقول
ما زيدا ضربت ولا احدا من الناس او ما انت ضربت زيدا ولا احد غيرك
فتامل فالفرق واضح وكذلك امتنعوا ان يقال ما زيدا ضربت ولكن اكرمته
فيعقب الفعل المنفي باثبات فعل هو ضده لان مبنى الكلام ليس على ان الخطاء
وقع في الضرب فترده الى الصواب في الاكرام وانما مبناه على ان الخطاء وقع
في المضروب حين اعتقد زيدا فرده الى الصواب ان تقول ولكن عمرا وكذلك
اذا قلت بزيد مررت افاد ان سامعك كان يعتقد مرورك بغير زيد
فازلت عنه الخطاء مخصصا مرورك بزيد دون غيره والتخصيص لازم للتقديم
ولذلك يسمع ائمة علم المعاني في معنى اياك نعبد واياك نستعين يقولون نخصك
بالعبادة لا نعبد غيرك ونخصك بالاستعانة لا نستعين احدا سواك
وفي معنى ان كنتم اياه تعبدون يقولون ان كنتم تخصونه بالعبادة وفي معنى
قوله وبالآخرة هم يوقنون يذهب الى انه تعريض بان الآخرة التي عليها اهل

الكتاب فيما يقولون انه لا يدخل الجنة غيرها الامر كان هودا او نصارى
وانه لا تمسهم النار الا اياما معدودة و ذلك وان اهل الجنة فيها لا يتلذذ دون
في الجنة الا بالنسيم والازواج العفيفة والسماع اللذيذ ليست بالاخرة وانما لهم
بمثله ليس من الايمان بالتي هي الاخرة عند الله في شيء وستعرف التعريض في
علم البيان وفي قوله لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا
يقولون اخرت صلة الشهادة اولا وقدمت ثانيا لان الغرض في الاول اثبات
شهادتهم على الامم وفي الاخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم وفي
قوله لالى الله تحشرون يقولون اليه لا الى غيره وتراهم في قوله وارسلناك
للناس رسولا وهم العرب والعجم لا للعرب وحدهم دون ان يحملوه على تعريف العهد
او تعريف الجنس لئلا يلزم من الاول اختصاصه ببعض الانس لوقوعه في مقابلة
لهم وفي الثاني اختصاصه بالانس دون الجن ولافادة التقديم عندهم التخصيص
تراهم يفرعون على التقديم ما يفرعون على نفس التخصيص فكما اذا قيل ما ضربت
اكبر اخوتك فيذهبون الى انه ينبغي ان يكون ضاربا للاصغر بدليل الخطاب
يذهبون ايضا اذا قيل ما زيدا ضربت الى انه ينبغي ان يكون ضاربا لانسان سواه
ولذلك يمتنعون ان يقال ما زيدا ضربت ولا احدا من الناس ولا يمتنعون ان
يقال ما ضربت زيدا ولا احدا من الناس وتسمعهم في قوله تعالى لا فيها غول ولا
هم عنها ينزفون يقولون قدم الظرف تعريضا بخمور الدنيا وان المعنى هو على
الخصوص لا تغتال العقول اغتيال خمور الدنيا ويقولون في قوله تعالى الم
ذلك الكتاب لا ريب فيه يمتنع تقديم الظرف على الاسم لا لانه اذا قدم افاد
تخصيص نفي الريب بالقران ويرجع دليل خطاب على ان ريبا في ساير كتب الله تعالى
وعلى هذا متى قلت اذا خلوت قرات القران افاد تقديم الظرف اختصاصا
وانك

وانك بدونه رجع الى معنى لا اقرأ الا اذا خلوت فافهم وانما لزم التقديم استدعاء
الحكم ثبوتا ونفيا حتى قامت الجملة في نحو انا ضربت زيدا مقام ضربت زيدا بضربه ولم
غيري وفي نحو ما زيدا ضربت مقام ما ضربت زيدا وضربت غيره وفي نحو اذا خلوت قرات
القران مقام اقرأ القران اذا خلوت ولا اقرأ اذا لم اخل لما عرفت ان حالة التقديم
هو ان ترى سامعك يعتقد وقوع فعل وهو مصيب في ذلك لكنه مخطئ في الفاعل
او المفعول او غير ذلك من متعلقات الفعل وانت تقصد رده الى الصواب فاذا
نفيت من كان اعتقده من الفاعل او المفعول استدعى المقام غير ذلك فيجتمع
لذلك نفيك للمنفي مع الاثبات لمن سواه واذا اثبت غير من كان اعتقده استدعى
المقام نفي من اعتقده لكونه خطأ فيجتمع اثباتك للمثبت مع النفي للمنفي ويفيد
التقديم جميع ذلك وانما سمعت نوع اهتمام بشان المقدم فعلى الوجه
في نحو بسم الله اذا اريد تقدير الفعل معه ان يؤخر الفعل على نحو بسم الله اقرأ او اكتب
وكان لك ان تقول فما بال اقرأ باسم ربك مقدم الفعل على المفعول وان كلام
الله تعالى احق برعاية ما يجب رعايته فالوجه فيه عندي ان يحمل اقرأ على
معنى افعل القراءة واوجدها على نحو ما تقدم في قولهم فلان يعطي ويمنع في
احد الوجهين غير معدى الى مقروء به وان يكون باسم ربك مفعول اقرأ الذي
بعده **و الحالة** المقتضية للنوع الثالث هي كون العناية بما تقدم اتم وايرادها
في الذكر اهم والعناية التامة بتقديم ما تقدم والاهتمام بشانه نوعان احدهما
ان يكون اصل الكلام في ذلك هو التقديم ولا يكون مقتضى الحال ما يدعو الى العدول
عنه كالمبتدا المعرف فان اصله التقديم على الخبر نحو زيد عارف وكذا الحال
المعرف فان اصله التقديم على الحال نحو جاء زيد راكبا وكالعامل فان اصله التقدم
على معموله نحو عرف زيد عمرا وكان زيد عارفا وان زيدا عارف ومر زيد وعلام عمرو

وكالفاعل فاصله التقديم على المفعولات وما يشبهها من الحال والتمييز نحو
ضرب زيد الجاني بالسوط يوم الجمعة امام بكر ضربا شديدا تاديبا له ممتليا
من الغضب وامتلأ الاناء ماء وكالذي يكون في حكم المبتدا من مفعولي باب علمت
نحو علمت زيدا منطلقا او في حكم الفاعل من مفعولي باب اعطيت وكسوت نحو
اعطيت زيدا درهما وكسوت عمرا جبة فزيد عاط وعمرو مكتس فحقهما التقدم
على غيرهما وكالمفعول المتعدي اليه بغير واسطة وكالتوابع فاصلها ان تذكر
مع المتبوع فلا يقدم عليها غيرها نحو جاء زيد الطويل راكبا وعرفت انا زيدا وكذلك
عرفت انا وفلان زيدا وغير ذلك مما عرفته في علم النحو موضع من الكلام يوصف
بالاصالة بالاطلاق وثانيهما ان تكون العناية بتقديمه والاهتمام بشانه
لكونه في نفسه نصب عينك وان التفات الخاطر اليه في التزايد كما تجدك اذا
وارى قناع الهجر وجه من روحك في خدمته وقيل لك ما الذي تتمنى تقول
وجه الحبيب اتمنى فتقدم او كما تجدك اذا قال لك احد عرفت شركاء لله
يعق شعرك وتقول لله شركاء وعليه قوله تعالى وجعلوا لله شركاء او لعارض
يورثه ذلك كما اذا احدثت في الحديث ملتفت الخاطر الى معنى يستطرف من سامك
الحديث المانك به فيبرز ذلك المعنى عندك في معرض امر يتجدد في شانه التقاضي
ساعة فساعة فكما تجد له مجالا في الذكر صالحا لا تتوقف ان تذكره مثل ما قد
تقول لصاحبك اعجبتني المسئلة الفلانية من كتابك وتاخذ في كتب ودبت وله
كتاب آخر فيه مسائل فتحدس ان كتابه الآخر واقع الآن في هذه وهو كالمنتظر
هل تورده في الذكر فتقول واعجبني من كتابك الآخر المسئلة الفلانية فتقدم
المجرور على المرفوع او كما اذا وعدت ما انت تستبعد وقوعه فانك حال التفات
خاطرك الى وقوعه من جهة تبعده ومن جهة اخرى انما مع تبعيده تجد تفاوتا

في امكان ايتائه ضعفا وقوة بالتشبه وامتناع انكاره بدون القصد اليه
يستتبع تفاوته ذاك تفاوتا في القصد اليه والاعتناء بذكره فانت في الاول
اذا انكرت او حيث البلاغة ان تقول شئ حاله في البعد من الوقوع هذه ان يكون
لقد وعدت انا وابي وجدي هذا ان هي الا من اختراعات المموهة واصحاب
التلبيس فتذكر المنكر بعد المرفوع في موضعه من الكلام وان تقول في الثاني شئ حاله
في البعد من الوقوع الى هذه الغاية على من يروج لقد وعدت هذا انا وابي وجدي
فتقدم المنكر على المرفوع او كما اذا عرضت في التاخير ما تعامل مثل الذي في قولك
رايت الجماعة من محبيك التي بانت ثم دنت اذا قدمت من محبيك افاد ان الجماعة
المرشدة جماعة من محبيك عن غير شبهة وهو مرادك واذا اخرت اورث الاشتباه
لاحتمال ان يكون من محبيك صلة دنت او مثل الذي في قوله الحمد لله الذي بعث
بالحق عيسى والذي يهدون موسى اذا اخرت المجرور بطل السجع ولهذا العارض
ما شئت تتفاوت حالة وحسنا لطيبا والطف والخواطر في مضمارها تتسابق
فمن ظالع لا يشق غباره ومن ظالع لا يومن عثاره وليس الشان هناك بمجرد الكد
بل الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ولله در امر التنزيل واحاطته على لطائف
الاعتبارات في ايراد المعنى على انحاء مختلفة بحسب مقتضيات الاحوال لا ترى
شيئا منها مراعى في كلام البلغاء من وجه لطيف الا عثرت عليه مراعى فيه من الطف وجوه
وانا القي عليك من القرآن عدة امثلة مما نحن فيه تستقصي بها فيما عسى يطلع
عليك من نظائرها اذا احببت ان تتخذها مسارح نظرك منها ان قال
عز من قائل في سورة القصص في قصة موسى وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى
فذكر المجرور بعد الفاعل وهو موضعه وقال في يس في قصة رسل عيسى وجاء
من اقصى المدينة رجل يسعى فقدم لما كان اهم يبين ذلك انه حين اخذ في قصة

الرسل وأنهم أصروا على تكذيبهم اشتمل الكلام على سوق معاملة أصحاب القرية
الرسل وأنهم أصروا على تكذيبهم وانهمكوا في غوايتهم مستشرين على ما طلبهم فكان
مظنة أن يلقى السامع على مجرى العادة تلك القرية فأيًّا ما أنكدها تربة وما أشرّها
منبتًا ويبقى مجيلًا فكره أكانت تلك المدرة كما هنالك أم كان هناك قطر دانٍ
أو قاصٍ منبت خير منشط المساعي الحديث هل يلم بذكره فكان لهذا العارض مهمًا
فلما جاء موضع له صالح ذكر بخلاف قصة موسى ومنها أن قال في سورة المؤمنين لقد
وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل بتقديم المرفوع وما يتبعه المنصوب وهو موضعه
وقال في سورة النمل لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا فقدم لكونه فيها أهمّ يدلك
على ذلك أن الذي قبل هذه الآية أئذا كنا ترابًا وآباؤنا والذي قبل الأولى أئذا
متنا وكنا ترابًا وعظامًا فالجهة المنظور فيها هناك هي كون أنفسهم ترابًا
وعظامًا والجهة المنظور فيها ههنا هي كون أنفسهم وكون آبائهم ترابًا لا جزء
هنالك من بناهم على صورة نفسه ولا شبهة أنها أدخل عندهم في تبعيد البعث
فاستلزم زيادة الاعتناء بالقصد إلى ذكره فصيّره هذا العارض أهمّ ومنها
أن قال في موضع من سورة المؤمنين فقال الملأ الذين كفروا من قومه فذكر المجرور بعد
صفة الملأ وهو موضعه كما تعرف وقال في موضع آخر منها وقال الملأ من قومه
الذين كفروا فقدم المجرور لعارض صيّره بالتقديم أولى وهو أنه لو أخّر عن الوصف
وأنت تعلم أن تمام الوصف بتمام ما يدخل في صلة الموصول وتمامه وأترفناهم
في الحيوة الدنيا لاحتمل أن يكون من صلة الدنيا واشتبه الأمر في القائلين أهم
من قومه أم لا ومنها أن قال في سورة طه برب هرون وموسى وفي سورة
الشعراء رب موسى وهرون للمحافظة على الفاصلة ولنقتصر من الأمثلة على ما ذكر فما كان
الغرض إلا مجرد التنبيه دون التتبع لتطايرها في القرآن ولتفصيل القول فيه
حاصل

حاصل الكلام بأن جميع ما وقعت إذا تأملت التفاصيل في هذه الأنواع الثلاثة من
فصل التقديم والتأخير هو مقتضى الظاهر فيها وقد عرفت فيما سبق أن إخراج
الكلام لا على مقتضى الظاهر طريق للبلغاء يسلك كثيرًا بتنزيل نوع مكان نوع باعتبار
من الاعتبارات فليبن على ذلك منك. **وأمّا** الحالات المقتضية لتقييد الفعل
بالشروط المختلفة كإن وأن ما وإذا وإذ ما وإذما ومتى ومتى ما وأين
وأينما وحيثما ومن وما ومهما وأي وأنّى وكلّما فالذي يكشف عنها القناع وقوفك
على ما تبين هذه الكلم من التفاصيل أما إن فهي للشرط في الاستقبال والأصل
فيها الخلو عن الجزم بوقوع الشرط كما يقول القائل إن تكرمني أكرمك وهو لا يعلم
أتكرمه أم لا فإذا استعملت في مقام الجزم لم تخل عن نكتة وهي إما التجاهل لاستدعاء
المقام إياه وإما أن المخاطب ليس بجازم كما تقول لمن يكذبك فيما أنت تخبر إن
صدقت فقل لي ماذا تفعل وإما تنزيل المخاطب منزلة الجاهل لعدم جريه على
موجب العلم كما قد تقول للابن لا يراعي حقه افعل ما شئت إن لم أكن لك أبًا
كيف تراعي حقي ولامتناع الجزم بتحقق المعلق بها في تحققه شبهة قلّما يترك المضارع
في بليغ الكلام إلى الماضي الموهم بالتحقق نظرًا إلى لفظه لغير نكتة مثل ما ترى في قوله
علت كلمته إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء
وودوا لو تكفرون ترك يودوا إلى لفظ الماضي إذ لم يكن يحتمل ودادتهم لكفرهم
من الشبهة ما كان يحتملها كونهم إن يثقفوهم أعداء لهم وباسطي الأيدي والألسن
إليهم بالقتل والشتم وإذا للشرط في الاستقبال قال الله تعالى ثم إذا
أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون على نحو وإن تصبهم سيئة
بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون بإدخال إذا في الجزاء والأصل القطع بوقوع
الشرط كما إذا قلت إذا طلعت الشمس فإني أفعل كذا قطعًا إما تحقيقًا

كما في المثال المضروب او باعتبار ما خطاب وهي النكتة في تغليب لفظ
الماضي مع ان على المستقبل في الاستعمال لكون الماضي اقرب الى القطع من
المستقبل في الجملة نظرا الى اللفظ قال الله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا
هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه بلفظ اذا في جانب الحسنة
حيث اريدت الحسنة المطلقة لا نوع منها كما في قوله وان تصبهم حسنة
يقولوا هذه من عند الله وفي قوله ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن لكون حصول
الحسنة المطلقة مقطوعا به كثرة وقوع واتساعا ولذلك عرفت ذهابا
الى كونها معهودة او تعريف جنس والاول اقضى لحق البلاغة وبلفظ ان في
جانب السيئة مع تنكير السيئة اذ لا تقع الا في الندرة بالنسبة الى الحسنة
المطلقة ولا يقع الا شيء منها ولذلك قيل قد عددت ايام البلاء فهل عددت
ايام الرخاء ومنه واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما
قدمت ايديهم اذا هم يقنطون بلفظ اذا في جانب الرحمة وكان تنكيرها هاهنا وقصد
النوع للنظر الى لفظ الاذاقة وهو المطابق للبلاغة واما قوله وان كنتم في ريب
مما نزلنا على عبدنا وان كنتم في ريب من البعث بلفظ ان مع المرتابين فاما لقصد
التوبيخ على الريبة لاشتمال المقام على ما يقلعها من اصلها وتصوير ان المقام
لا يصلح الا لمجرد الفرض للارتياب كما قد تفرض المحالات متى تعلقت بفرضها اغراض
كقوله تعالى ولو سمعوا ما استجابوا لكم والضمير في سمعوا للاصنام وتبيان
ان ينال واذا له نبينه ومثله افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين
فيمن قرأ ان بالكسر لقصد التوبيخ والتجهيل في ارتكاب الاسراف وتصوير
ان الاسراف من العاقل في مثل هذا المقام واجب الانتفاء حقيق ان لا يكون
ثبوته له الا على مجرد الفرض ومنه ما قد ينزل العالم عند التناهي بالعالم له اذا امتد

التسويف واستنزحهم عن الحرمان ان كنت لا اعمل فتقولوا اقطع الطمع تنزيلهم
لتوهمهم ان يحرموه منزلة من لا يعتقد انه عمل فيقول مجهلا ان اعتقدتم اني
لا اعمل فتقولوا ولكم واما التغليب غير المرتابين ممن خوطبوا على مرتابيهم وباب
التغليب باب واسع يجري في كل فن قال تعالى حكاية عن قوم شعيب لنخرجنك يا
شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا ادخل شعيب في
لتعودن في ملتنا بحكم التغليب والا فما كان شعيب في ملتهم كافرا مثلهم فان الانبياء
معصومون ان يقع منهم صغيرة فيها نوع نفرة فما بال الكفر وكذا قوله ان عدنا
في ملتكم وقال تعالى الا امرأته كانت من الغابرين وفي موضع آخر وكانت من القانتين
عدت الانثى من الذكور بحكم التغليب وقال تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
فسجدوا الا ابليس عد ابليس من الملائكة بحكم التغليب عد الانثى من الذكور ومن هذا
الباب قوله تعالى بل انتم قوم تجهلون بتاء الخطاب غلب جانب انتم على جانب قوم
وكذا وما ربك بغافل عما تعملون فيمن قرأ بتاء الخطاب اي انت يا محمد وجميع المكلفين
وغيرهم وكذا يذرؤكم في قوله تعالى جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا
يذرؤكم فيه خطابا شاملا للعقلاء والانعام مغلبا فيه المخاطبون على الغيب
والعقلاء على ما لا يعقل ومنه قولهم ابوان للاب والام وقمران للقمر والشمس
وخافقان للمشرق والمغرب واما قوله فاذا مس الانسان ضر دعانا بلفظ
اذا مع الضر فللنظر الى لفظ المس والى تنكير الضر المفيد في المقام التوبيخي القصد
الى اليسير من الضر والى الناس المستحقين ان يلحقهم كل ضر وللتنبيه على ان
مساس قدر يسير من الضر لامثال هؤلاء حقه ان يكون في حكم المقطوع به
واما قوله واذا مسه الشر فذو دعاء عريض بعد قوله واذا انعمنا على الانسان
اعرض ونأى بجانبه اي اعرض عن شكر الله وذهب بنفسه وتكبر وتعظم فالذي

تقتضيه البلاغة أن يكون الضمير في مسند للمعرض المنكر ويكون لفظ إذا للتنبيه
على أن مثله حق أن يكون ابتلاؤه بالشر مقطوعا به وعند النحويين أن إذا في إذا ما
مسلوب الدلالة على معناه الأصلي وهو المعنى منقول بإدخال ما إلى الدلالة
على الاستقبال ولا فرق بين إذا وإذا ما في باب الشرط من حيث المعنى إلا في
الإبرام في الاستقبال ۞ ومتى لتعميم الأوقات في الاستقبال ومتى ما أعم ۞
وأين لتعميم الأمكنة والأحياز ۞ وأينما أعم قال الله تعالى أينما تكونوا يدرككم
الموت ۞ وحيثما نظير أينما قال الله تعالى وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره
۞ ومن لتعميم أولي العلم قال الله تعالى ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما
كثيرا وسعة ۞ وما لتعميم الأشياء قال الله تعالى وما تفعلوا من خير فإن الله به
عليم ۞ ومهما أعم قال الله تعالى وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك
بمؤمنين ۞ ووجهه أن أصله ما ما ظاهر ۞ وأي لتعميم ما يضاف إليه من ذوي
العلم وغيرهم ۞ وأنى لتعميم الأحوال الراجعة إلى الشرط كقولك أنى تقرأ أقرأ
أي على أي حال توجد القراءة من جهرها أو همسها أو غير ذلك أوجدها أنا والمطلق
بهذه المعممات ترك التفصيل إلى الإجمال مع الاحتراز عن تطويل لا يفي بالحصر أو
ويستعمل الاشتراك في قولك إن يأتني زيد أكرمه وإن يأتني عمرو أكرمه وإن يأتني
خالد أكرمه إلى غير ذلك مما يتعذر استيعابه مع تمام الامتثال قال الله تعالى ومن يطع
الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون أي أيهم مكلف أطاع
الله في فرائضه ورسوله في سننه وخشي الله على ما مضى من ذنوبه واتقاه فيما
يستقبل فقد حاز الفوز بحذافيره واعلم أن الجزاء والشرط في غير لو
لما كانا تعليق حصول أمر بحصول ما ليس بحاصل لا يستلزم ذلك في جانبيهما امتناع
الثبوت فامتنع أن يكونا مضيين أو أحدهما وكذا امتناع المعنى أن يكون المعلقان

ماضي

ماضيين أو أحدهما ويظهر من هذا أن نحو إن أكرمتني الآن فقد أكرمتك أمس وإن أكرمتني
أكرمك وإن تكرمني أكرمك ونحو إن تكرمني فأنت مكرم ونحو إن أكرمتني الآن فقد
أكرمتك أمس مما لا يوجب لكونه مضارعا فامتنعه لكون التأكيد في نحو فإما يأتينكم
مني هدى وأما شفقتهم في الحرب لا يصار إليه في بليغ الكلام إلا لنكتة مثل ترجي
إبراز غير الحاصل في معرض الحاصل إما لقوة الأسباب المتآخذة في وقوعه
نحو إن اشترينا كذا حال انعقاد الأسباب في ذلك وإما لأن ما هو
للوقوع كالواقع نحو قولك إن مت وعليه ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب
الأعراف وكذا إنا فتحنا لك لنزولها قبل فتح مكة وفي أقوال المفسرين من حمل الكلمة
ههنا كثرة وأما التعريض كما في نحو لئن اتبعت أهواءهم لئن أشركت فإن النبي
من بعد ما جاءك البينات ونظيره في كونه تعريضا قوله تعالى وما لي لا أعبد الذي
فطرني وإليه ترجعون والمراد وما لكم لا تعبدون الذي فطركم والمنبه عليه
وإليه ترجعون ولولا التعريض لكان المناسب وإليه أرجع وكذا أأتخذ من دونه
آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون إني إذا
لفي ضلال مبين المراد أتتخذون من دون الله آلهة إن يردكم الرحمن بضر لا
تغن عنكم شفاعتهم شيئا ولا ينقذوكم إنكم إذا لفي ضلال مبين ولذلك قيل
إني آمنت بربكم دون بربي واتبعه فاسمعون ولا تعرف حسن موقع هذا التعريض
إلا إذا نظرت إلى مقامه وهو تطلب إسماع الحق على وجه لا يورث طالبي
المسمع مزيد غضب وهو ترك المواجهة بالتضليل والتصريح لهم بالنسبة إلى
ارتكاب الباطل ومن هذا الأسلوب قوله تعالى قل لا تسألون عما أجرمنا
ولا نسأل عما تعملون والأخفى التشبيه من حيث الظاهر قل لا تسألون عما عملنا
ولا نسأل عما تجرمون وكذا ما قبله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين

تكلم

وهذا النوع من الكلام يسمى المنصف وأما للتفاؤل وأما لإظهار الرغبة
في وقوعه كما تقول إن ظفرت بحسن العاقبة فذاك وعليه قوله تعالى ولا تكرهوا
فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا وما شاكل ذلك من لطائف الاعتبارات
وقولهم رحمه الله في الدعاء من هذا القبيل ومن هذا يتنبه لنكتة تضمنها
تفاوت الشرطين في فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة
يطيروا بموسى ومن معه ماضيا في جاءتهم الحسنة ومستقبلا في تصبهم سيئة
وإبراز المقدر في معرض الملفوظ به لانصباب الكلام إلى معناه كما في قولك إن
(معطوف على إبراز غير الحاصل) (أي المقدر)
أكرمتني الآن فقد أكرمتك أمس مرادا به إن تعتد بإكرامك إياي الآن فاعتد
بإكرامي إياك أمس. وأما كلمة لو فهي لتعليق ما امتنع بامتناع غيره
على سبيل القطع كما تقول لو جئتني لأكرمتك معلقا لامتناع إكرامك بما امتنع
من مجيء مخاطبك امتنعت حملتها على الثبوت ولزم أن تكونا فعليتين والفعل
ماضيا واستلزم في مثل قوله عز اسمه ولو ترى إذ وقفوا على النار ولو ترى إذ
المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم
تنزيل المستقبل لما أنه في تلك المقطوع به لصدوره عمن لا خلاف في أخباره
منزلة الماضي المعلوم في قولك لو رأيت على نحو تنزيل يود منزلة ود في قوله تعالى
ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين في أحد قولي أصحابنا البصريين رحمهم الله
واستلزم في مثل قولك لو تحسن إلي لشكرت القصد بتحسن إلى تصوير أن
إحسانه مستمر الامتناع فيما مضى وقتا فوقتا على نحو قصد الاستمرار حالا
فحالا بيستهزئ في قوله عز اسمه الله يستهزئ بهم بعد قوله قالوا إنا معكم
إنما نحن مستهزئون ويكسبون في قوله تعالى فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل
لهم مما يكسبون وقوله تعالى لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم وارد على هذا
أي

ظفرت

أي امتنع عنتكم باستمرار امتناعه عن طاعتكم ولك أن ترد الغرض من لفظ ترى
وتبود ويحسن إلى استحضار صورة المجرمين ناكسي الرؤوس قائلين لما يقولون وصورة
الظالمين موقوفين عند ربهم متقاولين بتلك المقاولات واستحضار صورة
ودادة الذين لو أسلموا واستحضار صورة منع الإحسان كما في الله الذي أرسل
الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها إذ قال
فتثير استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية من إثارة
السحاب مسخرا بين السماء والأرض متكونا في المرائي تارة عن قزع متبددة وأخرى قطع
قطن مندوف ثم متضامة منقلبة بين أطوار حتى تعدت ركاما وإنه طريق للبلغاء
(استحضار صورة الفعل)
لا يعدلون عنه إذا اقتضى المقام سلوكه أوما ترى تأبط شرا في قوله
بأني قد لقيت الغول تهوي ... بسهب كالصحيفة صحصحان
(أي الفلاة)
فأضربها بلا دهش فخرت ... صريعا لليدين وللجران
(أي الدهش)
كيف سلك في فأضربها بلا دهش قصدا إلى أن يصور لقومه الحالة التي تشجع فيها
بزعمه على ضرب الغول كأنه يبصرهم إياها ويطلعهم على كنهها ويتطلب منهم مشاهدتها
تعجيبا من جرأته على كل هول وثباته عند كل شدة وقوله سبحانه وتعالى إن مثل
عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون دون كن فكان
من هذا القبيل واستلزم في مثل لو أنتم تملكون حمله على تقدير لو تملكون
تملكون لفائدة التأكيد ثم حذف الفعل الأول اختصارا لدلالة ما بعده عليه
المبدل بعد ذهاب الفعل منفصلا وأمثال هذه اللطائف لا تتقلقل فيها إلا
أذهان الراسخين من علماء المعاني والمبني علم المعاني على التتبع لتراكيب الكلام
واحدا فواحدا كما ترى وتطلب العثور على ما لكل منها من لطائف النكت
مفصلة لا يتيسر الإحاطة به إلا لعلام الغيوب ولا يدخل كنه بلاغة القرآن الأخف

الكافرين

عليه التشابه واعلم ان مستودعات فصول هذا الفن لا تتضح الا لمن يسبر زناد خاطر وقاد ولا تنكشف اسرار جواهرها الا لبصيرة ذي طبع نقاد ولا تضع ازمتها الا في يد من كف في حلبتها الى اي مدى باستفراغ طوق متفوق الافاويق استشبابا لنفس فهم ومعونة ذوق مولع من لطائف البلاغة بما تؤثرها الغلوب بصفايا اختيارها وتنثر عليها امنية مصانع الخطباء خبايا مختاراتها مثل ما لك ان تنأتى في وجه الاعجاز في التنزيل مستقلا تماما جهد مجد المتحدي تحديك الى تفصيل طامع من رتب العزة والكبرياء في المنزلة الحسنى والفوز عنده يوم النشور بالذخر الاسنى

الفن الرابع من كونه في ذهنك لا تجد لرده متعالا ولا لارتكاب جملة مجالا ان ليس يتسع من مفهومي جملتين اتحاد بحالم التآخي وارتباط لاحدهما بالآخر مستحكم الاواخي ولا ان يباين احدهما الآخر مباينة الاجانب لانقطاع الوشائج بينهما من كل جانب ولا ان يكونا بين بين لا صرة رحم ثم هنالك مبنى شطر لهما بين الاولى والثانية لذلك ومدار الفصل والوصل وهو ترك العاطف وذكره على هذه الجهات وكذا طي الجمل عن البين ولا طيها وانها لمحك البلاغة ومنتقد البصيرة ومضمار النظار ومتفاضل الانظار ومعيار قدر الفهم ومسبار غور الخاطر ومنجم صوابه وخطائه ومعجم جلائه وصدائه وهي التي اذا طبقت فيها المفصل شهدوا لك من البلاغة بالقدح المعلى وان لك في ابداعها اليد الطولى وهذا فصل له فضل احتياج الى تقرير واف وتحرير شاف

اعلم ان تمييز موضع العطف عن غير موضعه في الجمل كنحو ان تذكر معطوفا بعضها على بعض تارة ومتروك العطف بينها اخرى هو الاصل في هذا الفن وانه نوعان نوع يقرب تعاطيه ونوع يبعد ذلك فيه فالقريب هو ان تقصد العطف بينها بغير الواو وبالواو بينها لكن بشرط ان يكون المعطوف عليها محل من الاعراب والبعيد

هو ان تقصد العطف بينهما بالواو وليس للمعطوف عليها محل اعراب والسبب في ان قرب القريب وبعد البعيد هو ان العطف في باب البلاغة يعتمد معرفة اصول ثلاثة احدها الموضع وثانيها فائدته وثالثها وجه كونه مقبولا لا مردودا وانت اذا اتقنت معاني الفاء وثم وحتى ولا وبل ولكن واو وام واما واي على ما حصلت لك الثلاثة لدلالة كل منها على معنى محصل مستدع من الجمل بناء مخصوصا مشتملا على فائدته وكونه مقبولا هناك وكذلك اذا اتقنت ان الاعراب صنفان لا غير صنف لبس بتبع وصنف تبع واتقنت ان الصنف منحصر في تلك الانواع الخمسة البدل والوصف والبيان والتاكيد واتباع الثاني الاول في الاعراب بتوسط حرف وعلمت كون المتبوع في البدل في حكم المنحى والمضرب عنه بالسمع ائمة النحو رضي الله عنهم يقولون البدل في حكم تنحية المبدل منه ويوضحون ذلك بالتصريح بان في قسمة الغلط وعلمت في الوصف والبيان والتاكيد ان التابع فيها هو المتبوع فالعالم في زيد العالم عندك ليس غير زيد وعمرو في اخوك عمرو وعندي ليس غير اخوك ونفسه في جاء خالد نفسه ليس غير خالد ثم رجعت فتحققت ان الواو يستدعي معناه ان لا يكون معطوفه هو المعطوف عليه لامتناع ان يقال جاء زيد وزيد وان يكون زيد الثاني هو زيد الاول حصل لك ان الصنف الاول ليس موضعا للعطف باي حرف كان من حروف العطف لفوات شرط العطف فيه وهو تقدم متبوع ولم يذهب عليك ان نحو جاءني زيد وعمرو فعمرو واتاني خالد وراكبا وما جرى هذا المجرى غير صالح وان نحو قوله عليه وعليه السلام يلزم ان يكون عديم النظير وان لا يسوغه الا نية التقديم والتاخير واما نحو قوله عز سلطانه واياي فارهبون فانما ساغ لكون المعطوف عليه في حكم الملفوظ به لكونه مفسرا اذ تقديره واياي ارهبوا

فانهم يبنون على ما سبق التعرض لهذا القبيل في علم النحو واما نحو قوله او كلما عاهدوا
فساغ لتقدم حرف الاستفهام المسند على فعل ما ذكر لا على معناه بعد ان مساق
الكلام وهو اكفروا بايات الله وكلما عاهدوا وحصل لك ايضا ان الانواع الاربعة
من الصنف الثاني ليس واحد منها موضعا للعطف بالواو فاما للعطف شرط العطف
حكما كما في البدل لان دل قولك سلبت زيدا ثوبه اذا عطفت فيه منزلة سلبت ثوبه
حكما واما للعطف شرط معناه كما في الوصف والبيان والتاكيد انما موضعه النوع الخامس
واما نحو قوله عز اسمه وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم حال القرية لكونها
في حكم الموصوفة فان له منزلة وما اهلكنا من قرية من القرى لا وصف وحمله على الوصف
سهو لا خطأ ولا عيب في السهو للانسان والسهو ما تنبه صاحبه بادنى تنبيه
والخطأ ما لا يتنبه صاحبه او يتنبه لكن بعد اتعاب وسيزداد ما ذكرت
وضوحا في اخر هذا الفصل في الكلام في الحال ثم اذا انعقد ايضا ان كل واحد
من وجوه الاعراب دال على معنى كما يشهد لذلك قوانين علم النحو حصل لك ان فايدة الواو
وهي مشاركة المعطوف للمعطوف عليه في ذلك المعنى فيكون عندك من الاصول الثلاثة
اصلان معرفة موضعه ومعرفة فايدته فاذا عرفت ان شرط كون العطف بالواو
مقبولا هو ان يكون بين المعطوف والمعطوف عليه جهة جامعة مثل ما نرى في نحو
الشمس والقمر والسماء والارض والجن والانس كل ذلك محدث ويستفصل الكلام
في هذه الجهة بخلافه في نحو الشمس ومرارة الارنب وسورة الاخلاص والرجل اليسرى
من الضفدع ودين المجوس والف باذنجانة كان محدثة حصلت لك الاصول الثلاثة
وان الامر من الغرب فيها كما ترى واما تبسيط الواو بين جمل لا محل للمعطوف
عليها من الاعراب فانما بعد تعاطيه لكون الاصول الثلاثة في شانه غير ممهدة
لك وهو السر في ان دق مسلكه وبلغ من الغموض الى حيث قصر بعض ائمة علم
المعاني

المعاني البلاغة على معرفة الفصل من الوصل وما قصرها عليه لان الامر كذلك
وانما حاول بذلك التنبيه على مزيد غموض هذا الفن وان احدا لا يتجاوز هذه العقبة
من البلاغة الا كان خلف سائر عقباتها خلفه واعلم انك اذا تاملت ما لخصت
لك في التقريب المتعاطي قرب عندك هذا الثاني بحيث لا يخفى عليك باذن الله تعالى
بادنى تنبيه وهو ان الجملة متى نزلت في كلام المتكلم منزلة الجملة العارية عن المعطوف
عليها كما اذا اريد بها القطع عما قبلها او اريد بها البدل عن سابقة عليها لم يكن موضعا
لدخول الواو وكذا متى نزلت من الاولى منزلة نفسها لكمال اتصالها بها مثل ما اذا
كانت موضحة لها ومبينة او مؤكدة لها ومقررة لم يكن موضعا لدخول الواو وانما
تكون موضعا لدخوله اذا توسطت بين كمال الاتصال وبين كمال الانقطاع ولكل من هذه
الانواع حالة تقتضيه فاذا طابق ورودها تلك الاحوال وطبق المفصل هناك رقي
الكلام من البلاغة عند اربابها الى درجة يناطح فيها السماك ولا بد من تفصيل الكلام في تلك
الحالات فنقول واما الحالة المقتضية للقطع فهي نوعان احدهما ان يكون
للكلام السابق حكم وانت لا تريد ان تشركه الثاني في ذلك فتقطع ثم ان هذا القطع
ياتي اما على وجه الاحتياط وذلك اذا كان يوجد قبل الكلام السابق كلام غير
مشتمل على مانع من العطف عليه لكن المقام مقام احتياط لذلك واما على وجه الوجوب
وذلك اذا كان لا يوجد وثانيهما ان يكون الكلام السابق بفحواه كالمورد للسؤال
فينزل ذلك منزلة الواقع ويطلب بهذا الثاني وقوعه جوابا له فيقطع عن الكلام
السابق لذلك وتنزيل السؤال بالفحوى منزلة الواقع لا يصار اليه الا لجهات لطيفة
اما لتنبيه السامع على موقعه او لاغنائه ان يسال او لئلا يسمع منه شيء او لئلا
ينقطع كلامك بكلامه او للقصد الى تكثير المعنى بتقليل اللفظ وهو تقدير السؤال
وترك العاطف او غير ذلك مما ينخرط في هذا السلك ويسمى النوع الاول

مقطعاً والثاني استيناساً فاما الحالة المقتضية للابدال فهي ان يكون الكلام
السابق غير واف بتمام المراد وايراده او كغير الوافي والمقام مقام اعتناء بشانه
اما لكونه مطلوباً في نفسه او لكونه غريباً او فظيعاً او عجيباً او لطيفاً او غير ذلك
مما له جهة استدعاء بشانه فيعيد المتكلم بنظر اوفى منه على نية استيناف القصد
الى المراد ليظهر بمجموع القصد اليه في الاول والثاني اعني المبدل منه والبدل كمزيد
الاعتناء بالشان واما الحالة المقتضية للايضاح والتبيين فهي ان يكون بالكلام السابق
نوع خفاء والمقام مقام ازالة له واما الحالة المقتضية للتاكيد والتقرير فظاهرة
واما الحالة المقتضية لكمال انقطاع ما بين الجملتين فهي ان تختلفا خبراً وطلباً مع
تفصيل يعرف في الحالة المقتضية للتوسط او ان يتفقا وهما خبراً فان لا يكون بينهما
ما يجمعهما عند المفكرة جمعاً من جهة العقل او الوهم او الخيال والجامع العقلي هو
ان يكون بينهما اتحاد في تصور مثل الاتحاد في المخبر عنه او الخبر او في قيد من قيودهما
او تماثل هناك فان العقل بتجريده المثلين عن التشخص في الخارج يرفع التعدد عن البين
او تضايف كالذي بين العلة والمعلول والسبب والمسبب او السفل والعلو والاقل
والاكثر فالعقل يابى ان لا يجتمعا في الذهن مع ان العقل سلطان مطاع والوهمي
هو ان يكون ما بين تصوريهما شبه تماثل نحو ان يكون المخبر عنه في احدهما لون بياض
وفي الثانية لون صفرة فان الوهم يحتال في ان يبرزها في معرض المثلين وكذا للوهم
من حيل تروج والا فعليك بقوله ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وابو اسحق والقمر
وقل لي ما الذي سواه حسن الجمع بين الشمس وابي اسحق والقمر هذا التحسين او بقوله
اذا لم يكن للمرء في الخلق مطمع فذو التاج والسقاء والذر واحد
وقد عرفت حال المثلين في شان الجمع او تضاد كالسواد والبياض والهمس والجهارة
والطيب والنتن والحلاوة والحموضة والملاسة والخشونة وكالتحرك والسكون والقيام
والقعود

والقعود والذهاب والمجيء والاقرار والانكار والايمان والكفر وكالمتصفات
بذلك نحو الاسود والابيض والمؤمن والكافر او شبه تضاد نحو السماء والارض
والسهل والجبل والاول والثاني فان الوهم ينزل المتضادين والشبيهين
بهما منزلة المتضايفين فيجتهد في الجمع بينهما في الذهن ولذلك تجد الضد اقرب
خطوراً بالبال مع الضد والخيالي هو ان يكون بين تصوريهما تقارن في الخيال
سابق لاسباب مؤدية الى ذلك فان جميع ما يثبت في الخيال مما يصل اليه من الخارج
يثبت فيه على نحو ما يتأدى اليه ويتكرر لديه ولذلك لما لم تكن الاسباب على
وتيرة واحدة فيما بين معشر البشر اختلف الحال في ثبوت الصور في الخيالات
ترتباً ووضوحاً فكم من صور تتعانق في خيال وهي في آخر ليست تتراءى وكم صورة لا تكاد
تلوح في خيال وهي في غيره نار على علم وان احببت ان تستوضح ما تلوح به
الى كلام محدث اليه من جانب اختيارك تلق كاتباً يتعيد بقرطاس ومحبرة وقلم
ونجاراً يتعيد بمنشار وقدوم وعتلة واخر وكذا مما لا يسوي واياً كان
من اصحاب العرف والترسم فتلقه بذكر مسجد ومحراب وقنديل او حمام وازار
وسطل او غير ذلك مما يجمعه العرف والترسم فانهم جميعاً لمصادفتهم معارف
عادوا لتثبت في خيالهم لا يستبعدون العد ولا يعقلون له موقف تكبر واذا
عبرت الى غير محبرة ومنشار وقلم وقدوم ونحو مسجد وسطل ومنديل وحمام
جاء الاستبداع والاستنكار وهل يستبهرات الكتاب التي تفقاء الاربعة للبلدة
الطالع عليهم فيما تحكي تتلو عليك سورة غير ما تلونا او تجلوا لديك صورة غير
ما جلونا تحكي ان صاحب سلاح ملك وصواغا وصاحب بقر ومعلم صبية
اتفق ان انتظمهم سلك طريق وقد كان حمل كلاً منهم مركب الحمية لما فرط منهم
انفاق المحمة بالاطلاع سوى الاعزاء ان يلطموا بايدي الزرق افراداً وهل
المحا

إن انقطاع

وما استطاع الظلام ان لا يطوي المسافة وقد نشر جناحه وان يلفوا
عصاهم وقد مدّ لهم بروافده فقابلهم بعبوس افقه عن مزيد تخبطهم وخوف
ضلالهم فتبيّنهم في وحشة الظلماء وقد بلغ السيل الزبى ومضى التخبط
وخوف الضلال وقد جاوز الحزام الطبيين انسهم البدر الطالع بوجهه الاكرم
واضاءت لهم انواره كل مظلم بهيم فلم يتمالكوا ان اقبل عليه كل منهم بنظم
نثاره ويمدح سناه وسناءه ويخدمه بالرّم نتاج خاطره واذا اشبهه شبهه
بافضل ما في خزانة صوره فما يشبهه الشلاحي الا بالدرّ المذهب يرفع عند الملك
ولا يشبهه القابع الا بالسبيكة من الابريز تعرض على وجهها البوتقة ولا يشبهه النقار
الا بالعين الابيض يخرج من قالبه طريًا ولا يشبهه المعلّم الا برغيف احمر يصل اليه
من بيت ذي مروءة او التفاوت في الايراد لوصف الكلام فيما حكيه الاصحاب
عن الاذكياء من ذوي الحرف المختلفة كوصف الجوهري للكلام احسن الكلام ما
ثقبته الفكرة ونظمته الفطنة وفصّل جوهر معانيه في سمط الفاظه فحملته
نحور الرواة ووصف الصيرفي خير الكلام ما نقدته البصيرة وجلته عين الروية
ووزنته معيار البلاغة فلا ينطق فيه بزائف ولا يسمع فيه ببهرج ووصف
الصائغ خير الكلام ما احميته بكير الفكر وسبكته بمشاعل النظر وخلصته من خبث
الاطناب فبرز بروز الابريز مركبا من معنى وجيز ووصف الحداد احسن الكلام
ما نفخت عليه منفاخ الروية واشعلت فيه نار البصيرة ثم اخرجته من فحم الافحام
ورققته بمطارق الافهام ووصف الخمار ابلغ الكلام ما طبخته مراجل العلم وضمنته
دنان الحكمة وصفّاه راووق الفهم فتمشّت في المفاصل عذوبته وفي الافكار رقته
وفي العقل حدّته ووصف البزاز احسن الكلام ما صدق رقم الفاظه وحسن رسم
معانيه فلم يستعجم عند نشره ولم يستبهم عند طيه ووصف الكحال كما ان الرمد قذى
العين

ومقاساة

العين كذا الشبهة قذى البصائر فاكحل عين اللكنة بميل البلاغة واجل رمص
الغفلة ببرود اليقظة او سلوك الطريق في وصف البليغ حين سلكه الجمال فقال
البليغ من اخذ بخطام كلامه فاناخه في مبرك المعنى ثم جعل الاختصار له عقالا
والايجاز له مجالا فلم يند عن الاذهان ولم يشذ عن الآذان او اخبار الوراق
عن حاله على ما اخبر عيشي اضيق من محبرة وجسمي ادق من مسطرة وجاهي ارق من الزجاج
وحظي اخفى من شق القلم ويدي اضعف من قصبة وطعامي امرّ من العفص وشرابي
اشد سوادا من الحبر وسوء الحال بي الزم من الصمغ ولصاحب علم المعاني فضل
احتياج في هذا الفن الى التنبه لانواع هذا الجامع والتيقظ لها لا سيما النوع
الخيالي فان جمعه على مجرى الالف والعادة بحسب ما تنعقد الاسباب في استيداع
الصور بخزانة الخيال وان الاسباب لكما ترى الى اي حد تتباين في شأن الجمع
بين صور وصور فمن اسباب تجمع بين صومعة وقنديل وقرآن ومن اسباب
تجمع بين دسكرة وابريق واقران نقل اذا المرئي فيه خفة من التيقظ وانه
من اهل المدر انى يستحلي كلام رب العزة مع اهل الوبر حيث يبصرهم للدلائل
ناسقا حلية التنسيق افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت
والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت لبعد البعير عن خياله في مقام
النظر ثم لبعده في خياله عن السماء وبعد خلقه عن رفعها وكذا البواقي ولكن
اذا وفاه حقه بتيقظه بما عليه تقلبهم في حاجاتهم جاء الاستحلاء وحلك
اذا نظر ان اهل الوبر اذا كان مطعمهم ومشربهم وملبسهم من المواشي كانت
عنايتهم مصروفة لا محالة الى اكثرها نفعا وهي الابل ثم اذا كان انتفاعهم بها لا
يتحصل الا بان ترعى وتشرب كان جل مرمى غرضهم نزول المطر واهم مسارح النظر
عندهم السماء ثم اذا كانوا مضطرين الى مأوى يؤويهم الى حصن يتحصنون فيه

ولا ماوى ولا حصن الا الجبال لنا جبل يحتله من نجيره منيع يرد الطرف وهو كليل ٥
فما ظنك بالتفات خاطرهم اليها ثم اذا تعذر ركوبك مكنتهم في منزل ومن لا مجاير
مواش بذلك كان عقد الهمة عندهم بالتنقل من ارض الى سواها من عزم الامور
وعند نظره هذا البدوي اذا اخذ يفتش عما في خزانة الخيال لا يجد
صورة الابل حاضرة هناك او لا يجد صورة السماء لها مقارنة او يغرب عنه صورة
الجبال بعدهما او لا تنقض اليه صورة الارض تليها بعدهن لا وانما الحضري حيث
لم يتأت اتحد عنده تلك الامور وما جمع خياله ذلك الوجه اذا تلا الآية قبل ان
يقف على ما ذكرت طرق السمع بجهله معيبا للعيب فيه واما الحالة المقتضية
للتوسط بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع فهي ان اختلفتا خبرا وطلبا ان يكون
المقام مشتملا على ما يزيل الاختلاف من تضمين الخبر معنى الطلب او الطلب معنى
الخبر ومشتركا بينهما من جهات جامعة مما تليت عليك على نحو قوله تعالى واذ اخذنا
ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى
والمساكين وقولوا اذ لا يخفى ان قوله لا تعبدون متضمن معنى لا تعبدوا وقوله
ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وازواجهم في ظلال على الارائك
متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا من رب رحيم وامتازوا اليوم
ايها المجرمون فان المقام مشتمل على تضمين ان اصحاب الجنة معنى الطلب بيان ذلك
ان الذي قبله من قوله فاليوم لا تظلم نفس شيئا كلام وقت الحشر من غير شبهة
لتعوده معطوفا بالفاء على قوله ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا
محضرون وعامة لجميع الخلق لعموم قوله لا تظلم نفس شيئا وان الخطاب الوارد بعده
على سبيل الالتفات في قوله ولا تجزون الا ما كنتم تعملون خطاب عام لاهل
الحشر وان قوله ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون الى قوله ايها المجرمون
مسوق

غاية

مسوق بهذا الخطاب لكونه تفصيلا لما اجمله ولا تجزون الا ما كنتم تعملون وان
التقدير ان اصحاب الجنة منكم يا اهل المحشر ثم جاء في التفسير ان قوله هذا
ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون يقال لهم حين يسار بهم الى الجنة بتنزيل
ما هو للكون منزلة الكائن فانظر بعد تحرير معنى الآية وهو ان اصحاب الجنة منكم
يا اهل المحشر تؤول حالهم الى اسعد حال كيف اشتمل المقام على معنى وليمتاز
عنكم الى الجنة واما كونه مشتركا بين المعطوف والمعطوف عليه في الذي نحن بصدده
من جهات يجمعهما فغير خاف ونحو قوله تعالى فلما جاءها نودي ان بورك من في النار ومن
حولها وسبحان الله رب العالمين يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم والق عصاك
فان الكلام مشتمل على تضمين الطلب معنى الخبر وذلك ان قوله والق معطوف
على قوله ان بورك والمعنى فلما جاءها قيل بورك من في النار وقيل الق عصاك لما
عرفت في علم النحو ان ان هذه لا تاتي الا بعد فعل في معنى القول واذا قيل
كتبت اليه ان ارجع وناديته ان قم كان بمنزلة قلت له ارجع وقال لي قم واما
قوله تعالى وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات بعد قوله اعدت للكافرين فيعده
معطوفا على فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة وعندي انه معطوف على قل
مرادا قبل يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لكون ارادة القول
بواسطة انصباب الكلام الى معناه غير عزيز في القران من ذلك وانزلنا عليكم المن
والسلوى كلوا اي وقلنا كلوا او قائلين كلوا ومن ذلك واذ استسقى موسى لقومه
فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم
كلوا واشربوا اي وقلنا او قائلا انت يا موسى كلوا واشربوا ومن ذلك واذ
اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا اي وقلنا او قائلين خذوا ومن ذلك
واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا اي وقلنا اتخذوا ومن ذلك

واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا اي يقولان ربنا وعليه قراءة
عبد الله ومن ذلك ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني على قول اصحابنا رحمهم الله
ابن مسعود واسماعيل يقولان ربنا
ومن ذلك ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا
اي ويقولون ذوقوا ومن ذلك براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا
اي فقولوا لهم سيحوا وامثال ذلك اكثر من ان تحصر ههنا وكذلك عطف وبشر الصابرين
الذين اذا اصابتهم مصيبة على قل مرادا اي قل يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلاة
وكذلك عطف وبشر المؤمنين في سورة الصف عندي على قل مرادا قبل يا ايها الذين
امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم وذهب صاحب الكشاف رحمه الله الى انه معطوف
على تؤمنون قبله لكونه في معنى امنوا فتامل جميع ذلك وكن الحاكم دوني وان تتفق
الجملتان خبرا والمقام على حال اشتراك بينهما في جامع ترك كل ما كانت النسبة في
الثبوت اظهر كان الوصل بالقبول اجدر ولنختم الكلام في تفصيل الحالات المقتضية
للقطع والاستئناف والابدال والايضاح والتقرير والانقطاع والتوسط بين بين
بهذا القدر ولنذكر لك امثلة للتدرب بطبعك عسى ان اعترضك ما احوج
اذا احدث نشأك تلك الطرفات من امثلة القطع للاحتياط قوله
وتظن سلمى انني ابغي بها بدلا اراها في الضلال تهيم ٥
لم يعطف اراها كي لا يحسب السامع العطف على ابغي دون تظن ويعد اراها
في الضلال تهيم من مظنونات سلمى في حق الشاعر وليس هو مرادا انما المراد انه
حكم الشاعر عليها بذاك وليس بمستبعد لانصباب قوله وتظن سلمى انني ابغي
بها بدلا الى ان يراد كما تقول في طرز ذلك ان يكون قد قطع اراها البتة جوابا لهذا
السؤال على سبيل الاستئناف واياك ان تزعم الفصل لاجل الوزن فما هو هناك
وقوله زعمتم ان اخوتكم قريش لهم الف وليس لكم الاف ٥

(margin) بهم فسيحوا
(margin) قيل
(margin) ان عسى اعترضك
(margin) عطف على ان احلف

لم يعطف لهم الف خيفة ان يظن العطف على ان اخوتكم قريش فيفسد معنى
البيت ولك ان تقول جاء على طريقة الاستئناف قوله لهم الف وليس لكم الاف
وذلك انه حين ابدى انكار زعمهم عليهم بفحوى الحال وكان مما يحرك ان يسألوا لم
تكذب فصل قوله لهم الف عما قبله ليقع جوابا للسؤال الذي هو مقتضى الحال ومن
امثلة القطع للوجوب قوله عز من قائل واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما
نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم لم يعطف الله يستهزئ بهم للمانع من العطف بيان
ذلك انه لو عطف لكان المعطوف عليه اما جملة قالوا واما جملة انا معكم انما نحن
مستهزؤن لكن لو عطف على انا معكم انما نحن مستهزؤن لشاركه في حكمه وهو كونه من قولهم
وليس هو بمراد ولو عطف على قالوا لشاركه في اختصاصه بالظرف المقدم وهو
اذا خلوا الى شياطينهم لما عرفت في فصل التقديم والتاخير وليس هو بمراد فان
استهزاء الله بهم وهو ان خذلهم فخلاهم وما سولت لهم انفسهم مستدرجا اياهم
من حيث لا يشعرون متصل في شانهم لا ينقطع بكل حال خلوا الى شياطينهم ام لم
يخلوا اليهم وكذلك قوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون
الا انهم هم المفسدون قطع الا انهم لئلا يستلزم عطفه على انما نحن مصلحون
كونه مشاركا له في انه من قولهم او عطفه على قالوا كونه مختصا بالظرف اختصاص
قالوا به لتقدمه عليه وهو اذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض فانهم مفسدون
في جميع الاحيان سواء قيل لهم لا تفسدوا او لم يقل وكذلك قوله تعالى واذا
قيل لهم امنوا كما امن الناس قالوا انؤمن كما امن السفهاء الا انهم هم السفهاء قطع الا انهم
لمثل ما تقدم في الاية السابقة ولك ان تحمل ترك العطف في الله يستهزئ بهم
على الاستئناف من حيث ان حكاية حال المنافقين في الذي قبله لما كانت تحرك السامعين
ان يسألوا ما مصير امرهم وعقبى حالهم وكيف معاملة الله اياهم لم يكن من البلاغة ان

(margin) السامعين ح

أن يغري الكلام عن الجواب المصير الى الاستيناف وأن تقول في ألا انهم
هم المفسدون ترك العطف للاستيناف أيضا ليطابق مقتضى الحال وذلك
أن ادعاهم للصلاح لانفسهم على ما ادعوه مع توغلهم في الافساد مما يشوق
السامع أن يعرف ما حكم الله عليهم فكان وروده بدون الواو هو المطابق كما ترى
وكذا في ألا انهم هم السفهاء ومن أمثلة الاستيناف قوله

زعم العواذل انني في غمرة صدقوا ولكن غمرتي لا تنجلي ٥

لم يعطف صدقوا على زعم العواذل للاستيناف وقد أصاب المحز وذلك لانه
حين أبدى الشكاية عن جماعات العذال بقوله زعم العواذل انني في غمرة وكان
مما يحرك السامع عادة ليسأل هل صدقوا في ذلك أم كذبوا صار هذا السؤال مقتضى
الحال مبنيا عليه تاركا للعطف على ما عليه ايراد الجواب عقيب السؤال وكذلك

قوله زعم العواذل أن ناقة جندب بجنوب خبت عريت وأجمت ٥
كذب العواذل لو رأين مناخنا بالقادسية قلن لج وذلت ٥

فصل كذب العواذل فلم يعطفه ليقع جوابا للسؤال اقتضاه الحال عند شكواه
عن النساء العاذلات بقوله زعم العواذل انه كان كيت وكيت وهو هل كذب
العواذل في ذلك أم صدقن وكذلك قوله يبكي علي قتلى العداة فانهم طالت إقامتهم ببطن برام ٥
كانوا على الاعداء نار محرق ولقومهم حرما من الاحرام ٥

قطع كانوا للاستيناف لانه حين أمرها بالبكاء كأنه توهم أنها قالت ولم أبكيهم أو كيف
أبكيهم وبعضهم لي كيف كانوا فقال مجيبا كانوا على الاعداء وكذلك
قوله عرفت المنزل الخالي عفا من بعد أحوال عفاه كل حنان عسوف الوبل هطال ٥
فصل عفاه كل حنان للاستيناف لانه حين قال عفا من بعد أحوال كان مظنة
أن يقال ما ذا عفاه وكذلك قوله وما عفت الرياح له محلا عفاه من حدا بهم وساقا ٥

حين

حين قال في محل معنى ما عفته الرياح كان موضع سؤال وهو فما عفاه اذن وكذلك
قوله وقد غرضت من الدنيا فهل زمني معط حياتي لغر بعد ما غرضا ٥
جربت دهري وأهليه فما تركت لي التجارب في ود امرئ غرضا ٥

لم يصل جربت بالعطف على غرضت بناء على سؤال ينساق اليه معنى البيت الاول
وهو لم تقول هذا وما الذي اقتضاك أن تطوي عن الحيوة هذه الغاية
كشحك وكذلك قوله عز من قائل أولئك على هدى من ربهم جاء مفصولا عما قبله بطريق
الاستيناف كأنه قيل ما للمتقين الجامعين بين الايمان بالغيب في ضمن اقامة الصلوة
والانفاق مما رزقهم الله وبين الايمان بالكتب المنزلة في ضمن الايقان بالآخرة اختصوا
بهدى لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره مقولا في حقهم هدى للمتقين الذين والذين
يتنكبر بهدى فأجيب بأن أولئك الموصوفين غير مستبعد أن يفوزوا دون من عداهم
بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا ولك أن تقدر تمام الكلام هو المتقين وتقدر السؤال
عنده وتستأنف الذين يؤمنون بالغيب الى ساقة الكلام وأنه ادخل في البلاغة
لكون الاستيناف على هذا الوجه منطويا على بيان الموجب لاختصاصهم بما
اختصوا به على نحو ما تقول أحسنت الى زيد صديقك القديم أهل منك لما فعلت
ولك أن تخرج الآية على نحو هذه بأن تجعل الموصول الاول من توابع المتقين اما
مجرورا بالوصف أو منصوبا بالاختصاص وتجعل الموصول الثاني مبتدأ وأولئك
خبره مرادا به التعريض لمن لم يؤمنوا من أهل الكتاب وستعرف التعريض عاجلا
الجملة بأسرها من مستتبعات هدى للمتقين والفصل من هذه الوجوه للاستيناف
الذين يؤمنون بالغيب لجهات فتأملها وكذلك قوله عز من قائل هل أنبئكم على
من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم فصل تنزل على كل أفاك ليقع جوابا
للسؤال الذي ينتظم من قوله هل أنبئكم على من تنزل الشياطين وهو أي والتم

نبئنا على أي مخلوق تنزل ومن الآيات الواردة على الاستئناف قوله تعالى قال
فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين
قال لمن حوله الا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الاولين قال ان رسولكم الذي
ارسل اليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال
لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين قال اولو جئتك بشيء مبين قال فات
به ان كنت من الصادقين فان الفصل في جميع ذلك مبني على السؤال الذي يستتبعه
تصور مقام المقاولة من نحو فماذا قال موسى فماذا قال فرعون وكذلك قوله
قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين قالوا
اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين الفصل بناء على ماذا قال وماذا قالوا وكذلك
قوله هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال
سلام قوم منكرون فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال الا تاكلون
فاوجس منهم خيفة قالوا لا تخف قد روعي في قوله فقالوا سلاما ماذا قال وفي
التقريب ومع قوله فاوجس منهم خيفة ماذا قالوا حين راوا منه ذلك وسلوك
هذا الاسلوب في القرآن كثير ومن امثلة البدل قوله
اقول له ارحل لا تقيمن عندنا والا فكن في السر والجهر مسلما
فصل لا تقيمن عن ارحل لقصد البدل لان المقصود من كلامه هذا كمال اظهار الكراهة
لاقامته بسبب خلاف سره العلن وقوله لا تقيمن عندنا اوفى بتادية هذا المقصود
من قوله ارحل لدلالته على ذلك بالنص مع التجرد عن التاكيد ودلالة هذا عليه
بالمطابقة مع التاكيد وكذلك قوله تعالى بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا
أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون فصل قالوا أئذا متنا عن قالوا
مثل ما قال الاولون لقصد البدل ولك ان تحمله على الاستئناف لما في قوله
مثل

مثل ما قال الاولون من الاجمال المحرك للسامع ان يسأل ماذا قالوه وكذلك قوله
امدكم بما تعلمون امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون الفصل فيه للبدل ويحتمل
الاستئناف وكذلك قوله تعالى اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون
لم يعطف اتبعوا من لا يسألكم اجرا للبدل ومن امثلة الايضاح والتبيين قوله تعالى
ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون لم يعطف يخادعون
على ما قبله لكونه موضحا له ومبينا من حيث انهم حين كانوا يتفوهون بالسنتهم انهم آمنوا
وما كانوا مؤمنين بقلوبهم قد كانوا في حكم المخادعين وقوله تعالى فوسوس اليه الشيطان
قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى لم يعطف قال على وسوس لكونه تفسيرا
له وتبيينا ومن امثلة التقرير والتاكيد قوله الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين
لم يعطف لا ريب فيه على ذلك الكتاب حيث كان وزانه في الآية وزان نفسه في
قولك جاءني الخليفة نفسه او وزان بينا في قولك هو الحق بينا بيان ذلك انه
حين بولغ في وصف الكتاب ببلوغه الدرجة القصيا من الكمال والوفور في شانه
تلك المبالغة حيث جعل المبتدأ لفظة ذلك وادخل على الخبر حرف التعريف بشهادة
الاصول كما سبقت كان عند السامع قبل ان يتأمل مظنة ان يطرحه في سلك
ما قد يرمى به على سبيل الجزاف من غير تحقق وايقان فاتبعه لا ريب فيه نفيا
لذلك وقد اصيب به المحز اتباع نفسه الخليفة ازالة لما عسى يتوهم السامع انك
في قولك جاءني الخليفة متجوز او ساه وتقرير كونه حالا من كره طاهر ولذلك فصل هدى
للمتقين لمعنى التقرير فيه للذي قبله لان قوله ذلك الكتاب لا ريب فيه مسوق لوصف
التنزيل بكمال كونه هاديا وقوله هدى للمتقين تقرير له لان معنى هو هدى وان معناه
نفسه هداية محضة بالغة درجة لا يكتنه كنهها وانه في التاكيد والتقرير لمعنى
انه كامل في الهداية كما ترى واما بيان ان ما قبله سوق لما ذكر فما ترى من النظم

الشاهد له لاجرم فصل المسوق في شانه وهو حال الكتاب ثم تعقيبه بما ينادي
على صدق الشاهد حال الكتاب البليغ وهو لا ريب فيه وانك لتعلم ان شان الكتب
السماوية الهداية لا غير وبحسبها يتفاوت في درجة الكمال وكذلك قوله ان
الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم
وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة فصل قوله لا يؤمنون لما كان مقررا لما افاد
قوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم من ترك اجابتهم الى الايمان وكذلك
فصل قوله ختم الله على قلوبهم لما كان بمثابة لا يؤمنون من جهة اخرى وهي ان
عدم التفاوت بين الانذار وعدم الانذار لما لم يصح الا في حق من ليس له قلب
يعلم الهدى حق وسمع يدرك به حجة وبصر تثبت به عبرة وقع قوله ختم الله على
قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة مقررا كأنه هي وكذلك قوله تعالى انا معكم
انما نحن مستهزؤن لما كان المراد بانا معكم هو انا معكم قلوبا وكان معناه انا نوهم
اصحاب محمد الايمان وقع قوله انما نحن مستهزؤن مقررا ففصل ولذا لم تحمله على
الاستيناف لانتصاب انا معكم وهو قول المنافقين لشياطينهم الى ان يقول لهم
شياطينهم فما بالكم ان صح انكم معنا توافقون اصحاب محمد وكذلك قوله تعالى
ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم فصل ان هذا الا ملك كريم مؤكدا للاول في نفي
البشرية ولذا ان تعرف الذي عليه العرف متى قيل في حق انسان ما هذا بشرا
ما هو بآدمي في حال التعظيم له والتعجب مما يشاهد منه من حسن الخلق والخلق
ان يفهم منه انه ملك فوقع قوله ان هذا الا ملك كريم تاكيدا للملكية ففصل
وكذلك قوله تعالى كأن لم يسمعها كأن في اذنيه وقرا الثاني مقرر للاول ومن
امثلة الانقطاع للاختلاف خبرا وطلبا قوله

وقال رائدهم ارسوا نزاولها فكل حتف امرئ يجري بمقدار ۵

وقوله ملكته ولكنه القاه من زهد على غاربي ۵

وقال اني في الهوى كاذب انتقم الله من الكاذب ۵

لانه اراد الدعاء بقوله انتقم الله وكذلك قولهم مات فلان رحمه الله وكذلك
قولهم لا تدن من الاسد يأكلك وهل تصلح لي كذا أدفع اليك الاجرة بالرفع فيهما
وغير ذلك مما هو في هذا الاسلوب منخرط ومن امثلته لعدم الاختلاف ما اذا كنت
تكون في حديث وينبع في خاطرك بغتة حديث آخر لا جامع بينه وبين ما انت فيه
بوجه او بينهما جامع غير ملتفت اليه لبعد مقامك عنه ويدعوك الى ذكره داع
فتورده في الذكر مفصولا مثال الاول كنت في حديث مثل كان معي فلان فقرأ ان
خطر ببالك ان صاحب حانتك جوهري ولكن جوهره لا تعرف قيمتها فتعقب كلامك
انك تقول لجوهره لا تعرف قيمتها هل ترينكها فتفصل ومثال الثاني وجدت
اهل مجلسك في ذكر خواتم لهم تقول واحد منهم خاتمي كذا بصنعة بحسن صياغة
وملاحة نقش ونفاسة فص وجودة تركيب وارتفاع قيمة ويقول آخر وان
خاتمي هذا سيء الصياغة كريه النقش فاسد التركيب ردي في غاية الرداءة وهي
ويقول آخر وان خاتمي بديع الشكل حسن الوضع لطيف النقش ثمين الفص الا انه
واسع لا يمسكه اصبعي وانت كما قلت ان خاتمي ضيق تذكر ضيق خاتمك وعناك منه
فلا تقول وخاتمي ضيق لتبقى منا ملك عن الجمع بين ذلك الغاير وذكر الحق وتختار القطع
قائلا خاتمي ضيق فتقول اما دار العلم او تكون في حديث قد تم ومعك حديث آخر تريد بعد
التعلق به تريد ان تذكره وتورده في الذكر مفصولا مثل ما تقول كتاب سيبويه
لا نظير له في فنه ولا غنى لامرء في انواع العلوم عنه لا سيما العلوم الاسلامية فانه
فيها اساس والى اساس ان الذين رضوا بالجهل لا يدرون ما العلوم وما
اساس العلوم فتفصل ان الذين رضوا بالجهل عما قبله لكون ما قبله حديثا ۵

من كتاب سيبويه وانه حقيق بان يكرم وكون ما عقبته بعد شيئا من الجهال وشيء
ما اثمر لهم جهلهم وقوله عز اسمه ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم ام لم
تنذرهم لا يؤمنون من هذا القبيل قطع ان الذين كفروا عما قبله لكون ما قبله
حديثا عن القران وان من شانه كيت وكيت وكون ان الذين كفروا حديثا عن الكفار
ومن تصميمهم في كفرهم والفصل لازم للانقطاع لان الواو كما عرفت معناه
الجمع فالعطف بالواو في مثله يبرز في معرض التوخي للجمع بين الضب والنون وكذا
متى قال قائل زيد منطلق ودرجات الحمل ثلاثون وكم الخليفة في غاية الطول
وما احوجني الى الاستفراغ واهل الروم نصارى وفي عين الذباب جحوظ وكان
جالينوس ماهرا في الطب وختم القران في التراويح سنة وان القرد لشبيه
بالادمي فعطف اخرج من زمرة العقلاء وسجل عليه بكمال السخافة او عد مسخرة
من المساخر واستطرف نسقه هذا الى غاية ثم [?] المضاحك وسفين
نوادر الهذيان بخلافه اذا ترك العطف ورمى بالجمل رمي الحصا والجوز من غير
طلب ائتلاف بينها فالخطب اذ ذاك هين هونا ما ومن ههنا عابوا ابا تمام في قوله

لا والذي هو عالم ان النوى صبر وان ابا الحسين كريم

حيث تعاطى الجمع بين مرارة النوى وكرم ابي الحسين ومن امثلة التوسط ما نتلوه من
قوله تعالى يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها
وقوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وغير ذلك واعلم ان الوصل
من محسناته ان تكون الجملتان متناسبتين ككونهما اسميتين او فعليتين وما شاكل
ذلك فاذا كان المراد من الاخبار مجرد نسبة الخبر الى المخبر عنه من غير التعرض
لقيد زائد كالتجدد والثبوت وغير ذلك لزم ان يراعى ذلك فيقول قام زيد
وقعد عمرو او زيد قائم وعمرو قاعد وكذا زيد قام وعمرو قعد وان لا تقول

قام

قام زيد وعمرو قاعد وكذا قام زيد وعمرو قعد وزيد لقيته وعمرو مررت به
وزيدا اكرمت اباه وعمرا مررت بغلامه كما سبق في علم النحو امثال ذلك اما اذا
اريد التجدد في احدهما والثبوت في الاخر كما اذا كان زيد وعمرو قاعدين ثم قام
زيد دون عمرو وجب ان تقول قام زيد وعمرو قاعد بعد وعليه قوله تعالى سواء
عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون المعنى سواء عليكم احدثتم الدعوة ام استمر
عليكم صمتكم عن دعائهم لانهم كانوا اذا حزبهم امر دعوا الله دون اصنامهم
كقوله تعالى واذا مس الناس ضر الاية وكانت حالهم المستمرة ان يكونوا عن دعوتهم
صامتين وكذلك قوله تعالى اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين المعنى احدثت عندنا
تعاطي الحق فيما نسمعه منك ام اللعب اي احوال الصبى بعد على استمرارها عليك
استبعادا منهم ان تكون عبادة الاصنام من الضلال وما اعظم كيد الشيطان للمقلدين
حيث استدرجهم الى ان قلدوا الاباء في عبادة تماثيل وتعفير جباههم لها اعتقادا
منهم في ذلك انهم على شيء اللهم انا نعوذ بك من كيد الشيطان واذ قد لخصنا الكلام
في الفصل والوصل الى هذا الحد فبالحري ان نلحق به الكلام في الحال التي تكون جملة
للمجيء تارة مع الواو واخرى لا معها منقولـــــ وبالله التوفيق الكلام في ذلك يستدعي
تمهيد قاعدة وهي ان الحال نوعان حال بالاطلاق وحال تسمى موكدة ولكل واحد
من النوعين اصل في الكلام ولهما معا نهج في الاستعمال واحد فاصل النوع الثاني هو
ان يكون وصفا ثابتا نحو هو الحق بينا وزيد ابوك شفيقا وذاك حاتم سخيا جوادا
وهذا خالد بطلا شجاعا وفي التنزيل انا انزلناه قرانا عربيا واصل النوع الاول
هو ان يكون وصفا ثابتا نحو هو غير ثابت من الصفات الجارية كاسم الفاعل واسم
المفعول نحو جاء زيد راكبا وسلم علي قاعدا وضربت اللص مكتوفا وقتلته معقدا
ويمتنع ان يقال جاء زيد طويلا او قصيرا او اسود او ابيض اللهم الا بتاويل كما تسمع

الجملة التي يكون عليك جميع ما ذكرت ووجههما في الاستعمال أن يأتيا عاريتين من حرف
النفي كما يقال هو الحق بيّناً دون لا خفياً وجاء زيد راكباً دون لا ماشياً او ماشياً
دون لا راكباً وحق النوع ان لا تدخلهما الواو نظراً الى اعرابهما الذي ليس يتبع
لان هذه الواو وان كنا نسميها واو الحال اصلها العطف ونظراً الى ان حكم الحال
مع ذي الحال ابداً نظير حكم الخبر مع المخبر عنه الا ترى انك اذا اعتبرت هو في قولك هو
الحق بيّناً في الحق بيّن وجاء في قولك جاء زيد راكباً في زيد راكب وضربت في قولك
ضربت اللص مكتوفاً في اللص مكتوف وكذا الباب فحد الحال وذا الحال الخبر والمخبر
عنه والخبر ليس من صنعة لدخول الواو عليه على ما سبق تقريره في هذا الباب والنحاة
فيه هو ان الاعراب لا ينتظم الكلمات كقولك ضرب زيد اللص مكتوفاً الا بعد ان
يكون هناك تعلق معنوي ينتظم معانيها فاذا وجدت الاعراب في موضع قد تناول
شيئاً بدون الواو كان ذلك دليلاً على تعلق معنوي هناك فذلك التعلق يكون مغنياً
عن تكلف معلق آخر واذا عرفت هذا ظهر لك ان الاصل في الجملة اذا وقعت موقع
الحال ان لا تدخلها الواو لكن النظر الى كون الجملة مفيدة مستقلة بفائدة
غير متحدة بالاولى اتحادها اذا كانت مؤكدة مثلها في قولك هو الحق لا شبهة فيه
وفي قوله عز وعلا الم ذلك الكتاب لا ريب فيه وغير منقطعة عن الحركات جامعة بينهما
كما ترى في نحو جاء زيد يساق الجنائب بين يديه ولقيت عمراً وسيفه على كتفه يبسط العذر
في ان تدخلها او الجمع بينها وبين الاولى مثله في نحو قام زيد وقعد عمرو واذا تمهد
هذا فنقول الضابط فيما نحن بصدده هو ان الجملة متى كانت واردة على اصل
الحال وذلك ان تكون فعلية لا اسمية لان الاسمية كما تعلم دالة على الثبوت
وعلى نهج الثاني بان تكون مثبتة فالوجه ترك الواو جرياً على موجب الحال نحو جاءني
زيد يسرع او يتكلم او يعدو فرسه واذا لا تكاد تسمع نحو جاءني ويسرع ومتى
لم

تكن واردة على اصل الحال وذلك ان تكون اسمية وفي الحال غير المؤكدة فالوجه
الواو نحو جاء زيد وعمرو امامه ورأيت زيداً وهو ماعد ما جاء بخلاف هذا الا
صور معدودة المحذف بالنوادر وهي كلمة فوه الى فيّ ورجع عوده على بدئه و
الابلاغ نصف الزاد ... مما غامره وما انشده الشيخ ابو علي في الاغفال

ولولا جنان الليل ما آب عامر الى جعفر سرباله لم يمزق

ومتى كانت واردة على اصل الحال لا على نهجها فالوجه جواز الامرين معاً نحو قوله
جعلت امشي ما ادري اين اضع رجلي وجعلت امشي وما ادري اين اضع رجلي
وقوله مضوا لا يريدون الرواح وغالهم من الدهر اسباب جرين على قدر
وقوله لو ان قوماً لارتفاع قبيلة دخلوا السماء دخلتها لا احجب
وقوله اكسبه الورق البيض ابا ولقد كان ولا يدعى لاب
وقوله افادوا من دمي وتوعدوني وكنت وما ينهنهني الوعيد
الا ان ترك الواو ارجح والفعل الماضي منفياً ومثبتاً لوروده لا على نهج الحال لا محالة
اما منفياً فلحرف النفي واما مثبتاً فلحرف قد ظاهراً او مقدراً لتقريبه من زمانك
حتى يصلح للحال منتظم في سلك المضارع المنفي الا ان نحو اخذت اجتهد
وما كان يعيش احد وكذا اتاني وقد جهده السير بدون الواو وقد جهده
السير بالواو الا ان ترك الواو في النفي وفي الاثبات ارجح واما الظرف فحيث
احتمل ان يكون جملة فعلية وان لا يكون بحسب التقديرين وتردد لذلك بين
ان يكون جملة فعلية واردة على الاصل وغير وارد جاء الامران فيه فقال رأيته
على كتفه سيف بدون الواو وتارة ورأيته على كتفه سيف بالواو واخرى هذا
ثم من عرف السبب في تقديم الحال اذا اريد اتباعها عن النكرة تنبه لجواز اتباعها
عن النكرة مع الواو في مثل جاءني رجل وعلى كتفه سيف ولم يرد جوازه في قوله عز اسمه

وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم على ما قدمت وننبه لوجوب الواو في نحو
جاءني رجل وعلى كتفه سيف عند ارادة الحال ولوجوب تركه فيه عند ارادة الوصف
لامتناع عطف الصفة على موصوفها البتة فتامل واما ليس فلما امتنع مع خبره مقام الفعل
المنفي جاء كثيرا اتاني وليس معه غيره واتاني ليس معه غيره فلا
اذا جرى في كلمة الرشا مجرى القلب ليس فيه ما مر الا ان ذكر
الواو ارجح ووقوعه في الكلام ادور واما الحالات المقتضية لطي الجمل اختصارا
ولا طيها اطنابا فمن احاط علما بما قدمنا لك استغنى بذلك عن بسط الكلام ههنا
فلنقتصر على بيان معنى الايجاز والاطناب وعلى ايراد عدة امثلة في الجانبين اما
الايجاز والاطناب فلكونهما نسبيين لا يتيسر الكلام فيهما الا بترك التحقيق والبناء
على شيء عرفي مثل جعل كلام الاوساط على مجرى متعارفهم في التادية للمعاني فيما بينهم
ولا بد من الاعتراف بذلك مقيسا عليه ولنسمه متعارف الاوساط وانه في باب
البلاغة لا يحمد منهم ولا يذم فالايجاز هو اداء المقصود من الكلام باقل من عبارات
متعارف الاوساط والاطناب هو اداؤه باكثر من عباراته سواء كانت القلة
او الكثرة راجعة الى الجمل او الى غير الجمل هذا وقد نبهت عليك فيما سبق
طرق الاختصار والتطويل فلان فهمها لمعرفة الوجازة متفاوتة بين وجيز
واوجز بمراتب لا تكاد تنحصر والاطناب كذلك وعرفت من جملة معنى قول
القائل في وصف البلغاء يرمون بالخطب الطوال وتارة وحي الملاحظ خيفة الرقباء
وذكرت لك ايضا للاختصار والتطويل مقامات قد استرشدت بها الى مناسباتها
فما ما دق من جلك موقعه محمودا والا ذم وسمي الايجاز اذا كان عيا وتقصيرا
والاطناب اكثارا وتطويلا والعلم في الايجاز قوله علت كلمته في القصاص
حيوة واصابته المحز بفضله على ما كان عندهم اوجز كلام في هذا المعنى وذلك
قولهم

قولهم القتل انفى للقتل ومن الايجاز قوله تعالى هدى للمتقين ذهابا الى ان المعنى
هدى للضالين الصائرين الى التقوى بعد الضلال لما ان الهدى اي الهداية
انما تكون للضال لا للمهتدي ووجه حسنه قصد المجاز المستفيض نوعه وهو
وصف الشيء بما يؤول اليه والتوصل به الى تصدير اولى الزهراوين بذكر اولياء
الله وقوله فغشيهم من اليم ما غشيهم اظهر من ان يخفى حاله في الوجازة نظرا الى
ما ناب عنه وكذا قوله تعالى فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم فتاب عليكم وفي قوله
فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت معناه فضرب فانفجرت وتامل قوله فقلنا
اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى اليس بعد فضربوه فحيي فقلنا كذلك
يحيي الله الموتى وقد رد صاحب الكشاف رحمه الله اصل قوله ولقد اتينا داود
وسليمان فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله وعندي
ان الله تعالى اخبر عما صنع بهما واخبر عما قالا كانه قال نحن فعلنا ايتاء العلم
وهما فعلا الحمد تفويضا استفادة ترتب الحمد على ايتاء العلم الى فهم السامع
مثله في قم يدعوك بدل قم فانه يدعوك وانه فن من البلاغة لطيف المسلك ومن
امثلة الاختصار قوله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا بطي ابحت لكم الغنائم
لدلالة فاء التسبيب في فكلوا وقوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم بطي ان
افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم فعدلوا عن الافتخار لدلالة الفاء في فلم وكذا قوله
فانما هي زجرة واحدة اذ المعنى اذا كان كذلك فما هي الا زجرة واحدة وكذا قوله
فالله هو الولي بتقدير ان ارادوا اولياء بحق فالله هو الولي بالحق لا ولي سواه
وكذا قوله يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون اصله فان
لم يتات ان تخلصوا العبادة لي في ارض فاياي في غيرها اعبدوا فاعبدون
اي فاخلصوها في غيرها فحذف الشرط وعوض عنه تقديم المفعول مع ارادة

الاختصاص بالتقدير وقوله فلا فاذهبا بآياتنا اي ارتدع عن خوف قتلهم
فاذهبا اي فاذهب انت واخوك بدلالة كلا على المطوي وقوله اذ يلقون اقلامهم
ايهم يكفل مريم اصله اذ يلقون اقلامهم ينظرون ليعلموا ايهم يكفل مريم
لدلالة ايهم على ذلك بواسطة علم النحو وقوله ليحق الحق ويبطل الباطل المراد ليحق
الحق ويبطل الباطل فعل ما فعل وكذا قوله ولنجعله آية للناس اصل الكلام ولنجعله
آية فعلنا ما فعلنا وكذا قوله ليدخل الله في رحمته اي لاجل الادخال في الرحمة
كان الكف ومنع التعذيب وقوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال
فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا اذ المراد تشبيه
الجبال بمنع الامانة والعذر واريد التشبيه الثاني وهو حمل التكليف كان اصل
الكلام وحملها الانسان ثم حاشيه منها عليه بقوله تعالى انه كان ظلوما جهولا
الذي هو نوع للانسان على ما هو عليه من الظلم والجهل في الغالب وقوله
تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا تتمته ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف
لدلالة فلا تذهب نفسك عليهم حسرات او تتمته كمن هداه الله فحذف لدلالة
فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقول العرب جاء بعد اللتيا والتي نزل
صلة الموصول ايثارا للايجاز تنبيها على ان المشار اليه باللتيا والتي وهي
المحنة والشدائد بلغت من شدتها وفظاعة شأنها مبلغا تبهت الواصف
معها حتى لا يحير ببنت شفة ومن الايجاز قوله عز وجل قل اتنبئون الله
بما لا يعلم اي بما لا ثبوت له ولا علم لله متعلق به نفيا للملزوم وهو المنبأ
به بنفي لازمه وهو وجوب كونه معلوما للعالم الذات لو كان له ثبوت باي
اعتبار كان وقوله تعالى ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل
توبتهم اصله لن يتوبوا فلن يكون قبول توبتهم فاوثر الايجاز ذهابا الى انتفاء

الملزوم

الملزوم بانتفاء اللازم وهو قبول التوبة الواجب في حكمته تعالى وتقدس وقوله
تعالى بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا اي شركاء لا ثبوت لها اصلا ولا انزل الله
باشراكها حجة اي تلك وانزال الحجة كلاهما منتف على اسلوب قوله
على لاحب (الطريق الواسع) لا يهتدى بمناره   اي لا منار ولا اهتداء وقوله ولا ترى الضب بها ينجحر
اي لا ضب ولا انجحار نفيا للاصل والفرع ومنه وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس
لك به علم اذ المراد لا ذاك ولا علمك به اي كلاهما غير ثابت وكذا ما للظالمين من حميم
ولا شفيع يطاع اي لا شفاعة ولا طاعة ومن الايجاز قوله تعالى وآخرون اعترفوا
بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا اصل الكلام خلطوا عملا صالحا بسيئ وآخر سيئا بصالح
لان الخلط يستدعي مخلوطا ومخلوطا به اي تارة اطاعوا واحبطوا الطاعة بكبيرة
واخرى عصوا وتداركوا المعصية بالتوبة وقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف اصله قل لهم قولي لك ان تنتهوا يغفر لكم ما قد سلف وكذا قوله
قل للذين كفروا ستغلبون فيمن قرأ بتاء الخطاب الغيبة ومن امثلة الاطناب
قوله تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري
في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيى به الارض بعد موتها وبث
فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم
يعقلون ترك الايجاز وهو ان في ترجيح وقوع اي ممكن كان على لا وقوعه لآيات
للعقلاء لكونه كلاما لا مع الانس بحسب بل مع الثقلين ولا مع قرن دون قرن بل مع
القرون كلهم قرنا فقرنا الى انقراض الدنيا وان فيهم لمن تعرف وتقدم من متكلمي
النفيسة في باب النظر والعلم بالصانع من طوائف الغواة فقل لي اي مقام للكلام
ادعى لترك الايجاز الى الاطناب من هذا وقوله تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل
الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي

موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم أوثر الإطناب
فيه على الإيجاز وهو آمنا بالله وجميع كتبه لما كان المستمع من أهل الكتاب وفيهم
من لا يؤمن بالتوراة وبالقرآن وهم النصارى القائلون ليست اليهود على شيء ومنهم من
لا يؤمن بالإنجيل وبالقرآن وهم اليهود وكل منهم مدع الإيمان بجميع ما أنزل الله
تعريضا لأهل الكتاب وليبتهج المؤمنون بما نالوا من كرامة الاهتداء ووقع الإيجاز
عن طباق المقام بمراحل في قوله واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل
منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون لم تؤثر العبارة وهو فاتقوا يوما لا
خلاص عن العقاب فيه لكل من جاء مذنبا إذ كان كلاما مع الأمة لتنفيرهم من ذلك
اليوم في ضمائرهم وفي الأمة الجاهل والعالم والمعترف والجاحد والمسترشد والمعاند
والفهيم والبليد لئلا يختص المطلوب منهم بفهم أحد دون أحد وأن لا يكون بحيث
يناسب قوة سامع دون سامع أو يختلف إلى ضمير بعض دون بعض وقوله الذين يحملون
العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به لو أريد اختصاره لما انحط في
الذكر يؤمنون به إذ ليس أحد ممن يشك في حملة العرش من ثابت في إيمانهم ووجه حسن
ذكره إظهار شرف الإيمان وفضله والترغيب فيه وقوله إذا جاءك المنافقون
قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين
لكاذبون لو أوثر اختصاره فقوله والله يعلم إنك لرسوله فصل في البين من
حيث إن مساق الآية لتكذيب المنافقين في دعوى الإخلاص في الشهادة لترك
ولكن إيهام رد التكذيب إلى نفس الشهادة لو لم يكن هذا الفصل إلى الاختصار
وما يحكيه عن موسى عليه السلام هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي
ولي فيها مآرب أخرى جوابا عن قوله وما تلك بيمينك وكذا ما يحكيه نعبد أصناما
فنظل لها عاكفين في الجواب عن قول إبراهيم ما تعبدون من باب الإطناب
إذ

إذ لو أريد الإيجاز لكفى عصاي وأصناما وقد سبق حسن الإطناب فيهما ومما
يعد من الإطناب وهو في موقعه قول الخضر لموسى عليهما السلام في الكرة الثانية
ألم أقل لك بزيادة لك لاقتضاء المقام مزيد تقرير لما قد كان قدم له من إنك لن
تستطيع معي صبرا وكذا قول موسى رب اشرح لي صدري بزيادة لي لاقتضاء الكلام
معها من تأكيد الطلب لانشراح الصدر ما لا يكون بدونه لأنك إذا قلت اشرح
لي أفاد أن شيئا ما عندك تطلب شرحه فكنت مجملا فإذا قلت صدري عدت
مفصلا وإن كان الطلب وقت الإرسال الذي هو مقام مزيد احتياج إلى انشراح
الصدر لما يؤدي به الرسالة من تلقي المكاره وضروب الشدائد وقوله تعالى ألم
نشرح لك صدرك ولبه على هذا لتوخي مزيد التقرير وقول البلغاء في الجواب
مثل لا وأصلحك الله بزيادة الواو خلافا لما عليه كلام الأوساط من الإطناب
في موقع ولك أن تعد باب نعم وبئس موضوعا على الإطناب إذ لو أريد الاختصار
لكفى نعم زيد وبئس عمرو وأن تجعل المكالمة في ذلك توخي تقرير المدح أو الذم
لاقتضائهما مزيد التقرير لكونهما للمدح العام والذم العام الشائعين في كل
خصلة محمودة ومذمومة المستبعد تحققهما وهو أن يشيع كون المحمود محمودا
في خصال الحمد وكون المذموم مذموما في خصال الذم خلافا وبفعل وجه التقرير
الجمع بين طرفي الإجمال والتفصيل لأنك إذا قلت نعم الرجل زيدا ما للذهن الجنس
دون العهد كيف توجه المدح إلى زيد لا على سبيل الإجمال للتوجه من أفراد
ذلك الجنس وإذا قلت نعم رجلا فأضمرته من غير ذكر له سابق وفسرته باسم
جنسه ثم قلت زيد كيف توجهه إليه ثانيا على سبيل التفصيل وإن هذا
الباب باب متضمن للطائف فيه من الإطناب الواقع موقعه ما ترى وفيه
تقدير السؤال وبناء المخصوص عليه لتقدير بعد نعم الرجل أو نعم رجلا من هو

ويبنى عليه زيد اى هو زيد وقد عرفت فيما سبق لطف هذا النوع وفيه
اختصار من جهة وهى ترك المبتدأ فى الجواب ولا يخفى حسن موقعه ولو لم يكن فيه
شئ سوى انه تبرز الكلام فى معرض الاعتدال نظرا الى اطنابه من وجه
والى اختصاره من آخر وايهامه الجمع بين المتنافيين مثله فى جمعه بين الاجمال
والتفصيل فسبحان السحر الكلامى الذى يقرع سمعك على امثال ذلك لكنى
وقد اطلعناك على كيفية التعرض لجهات الحسن فتفتش عنها ترى الباب
مشحونا بجهات وكنت المرجوع اليه فى اختيار المختار من اقوال النحويين فى الباب
لتوكلت بين المخصوص مبتدأ والفعل مع الذى يليه خبرا مقدما وقول من يرى
المخصوص خبر المبتدأ محذوف عما ما رأيت وقول من يرى اللام فى الفاعل الا للجنس
وقول من لا يأبى كونها للتعريف العهد واعلم ان باب التمييز كله سواء كان عن مفرد
او عن جملة باب من الكلام اصله لنوعى الاجمال والتفصيل الا ترى الى هذه الامثلة
من نحو عندى منوان سمنا وعشرون درهما وملأ الاناء عسلا وطاب زيد نفسا
وطاب عمرو فرحا وامتلأ الاناء ماء مبادئه على ان الاصل عندى سمن منوان
ودراهم عشرون وعسل ملء الاناء وطابت نفس زيد وطرب الفرح عمرا وملأ
الماء الاناء ولمضادة الاجمال والتفصيل الموقع فيها حكيه جل وعلا عن زكريا
عليه السلام من قوله واشتعل الرأس شيبا فى مقام المبالغة وحين التوقى لانواع
انقراض الشباب ترى ما ترى من مزيد الحسن وفى هذه الجملة وفيما قبلها
من رب انى وهن العظم منى لطائف وآية كله فى القرآن فضلا عن جملة فضلا
عما تجاوز لا تحتوى على لطائف ولامر ما تلى على من كانوا النهاية فى فصاحة
البشر وبلاغة اهل الوبر والمدر وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا
بسورة من مثله فما الحار وابنت شفة ولا صدر واهنا الكعن موصوف كالصفة

منهم والمدر دوان

رحول

عا

على انهم كانوا الحراص على التسابق فى رهان المفاخر والمتزللين على ركوب
الشطط فى امتزان المفاخر فانى لهم العصبة ان توز عصب مفاخرهم كرما
وان لا تعد صيت ممطرا اتدحرجا ما والكلام فى تلك اللطائف منتهٍ الى اصل
معنى الكلام ومرتبته الاولى ثم النظر فى التفاوت بين حاله وبين ما عليه نظم
القرآن وفى كم درجة يتصل احد الطرفين بالآخر فنقول لا شبهة ان اصل
معنى الكلام ومرتبته الاولى يا رب قد شخت فان الشيخوخة مشتملة على
ضعف البدن وشيب الرأس المتعرض لهما ثم تركت هذه المرتبة لتوخى مزيد
التقرير الى تفصيلها فى ضعف بدنى وشاب رأسى ثم تركت هذه المرتبة الثانية
لاشتمالها على التصريح الى ثالثة ابلغ وهى الكناية فى وهنت عظام بدنى لما
ستعرف ان الكناية ابلغ من التصريح ثم لقصد مرتبة رابعة ابلغ فى التقرير
بنيت الكناية على المبتدأ فحصل انا وهنت عظام بدنى ثم لقصد خامسة
ابلغ ادخلت ان على المبتدأ فحصل انى وهنت عظام بدنى ثم لطلب تقرير
ان الواهن هى عظام بدنه قصدت مرتبة سادسة وهى سلوك طريقى الاجمال
والتفصيل فحصل انى وهنت العظام من بدنى والذى سلوك بعد بمعنى الاجمال
والتفصيل فى رتب اشرح لى صدرى بينته عليه ههنا ثم لطلب مزيد اختصاص
العظام به قصدت مرتبة سابعة وهى ترك توسط البدن فحصل انى وهنت
العظام منى ثم لطلب شمول الوهن العظام فردا فردا قصدت مرتبة ثامنة
وهى ترك جمع العظم الى الافراد لصحة حصول وهن المجموع بالبعض دون كل فرد فحصل
ما ترى وهو الذى فى الآية انى وهن العظم منى وهكذا تركت الحقيقة فى شاب
رأسى الى ابلغ وهى الاستعارة فستنبه ان الاستعارة ابلغ من الحقيقة فحصل
اشتعل شيب رأسى ثم تركت الى ابلغ وهى اشتعل رأسى شيبا وكونها ابلغ من

جهات احدها اسناد الاشتعال الى الرأس لافادة شمول الاشتعال الرأس
اذ وزان اشتعل شيب رأسي واشتعل رأسي شيبا وزان اشتعل النار في
بيتي واشتعل بيتي نارا والفرق بيّن وثانيها بين الاجمال والتفصيل في طريق التمييز
وثالثها تنكير شيبا لافادة المبالغة ثم ترك لفظ رأسي شيبا الوقوع مزيد التقرير
الى اشتعل الرأس مني شيبا على نحو وهن العظم مني لقرينة عطف واشتعل الرأس
على وهن العظم مني ثم ترك لفظ مني لمزيد مرتبة التقرير وهي ايهام حواله تأدية مفهومه
على العقل دون اللفظ واعلم ان الذي فتق اكمام هذه الجهات عن ازاهير القبول
في القلوب هو ان مقدمة هاتين الجملتين وهي رب اختصرت ذلك الاختصار بان حذفت
كلمة النداء وهي يا وحذفت كلمة المضاف اليه وهي ياء المتكلم واقتصر من مجموع الكلمة
على كلمة واحدة فحسب وهي المنادى والمقدمة للكلام كما لا يخفى على من له قدم صدق
في نهج البلاغة نازلة منزلة الاساس للبناء فكما ان البناء الحاذق لا يرمي الاساس الا بقدر
ما يقدر من البناء عليه كذلك البليغ يصنع بمبدأ كلامه فمتى رأيته اختصر المبدأ فقد
آذنك باختصار ما يورد ثم ان الاختصار لكونه من الامور النسبية يرجع في
بيان دعواه الى ما سبق تارة والى كون المقام خليقا بابسط مما ذكر اخرى والذي
نحن بصدده من القبيل الثاني اذ هو كلام في معنى انقراض الشباب والمام المشيب
وهل معنى احق بان يميز القائل فيه اوفى المجهود ويستغرق في انبائه عنه كل سعه
مفهود ومن انقراض ايام ما احذق من يقول فيها

وقد تعوضت من كل بمشبهه فما وجدت لايام الصبى عوضا
ومن المام المشيب المر الطلوع الامر المعيب
نعيب الغانيات على شيبي ومن لي ان امتع بالمعيب

اللهم زدنا اطلاعا على لطائف قرآنك الكريم وغوصا على لآلي فرقانك العظيم ووفقنا
لانتفاع

لانتفاع ممن هناك في طلوع المشيب المر واختم بالخير في عقيبه الامر فانه لا يكون
الا ما شئنا بيدك الامر كله ولنكن هذا آخر الكلام في الفن الرابع ولنعد الى الفصل
الموعود وهو الكلام في معنى القصر

فصل

اعلم ان القصر كما يجري بين المبتدأ
والخبر فيقصر المبتدأ تارة على الخبر والخبر على المبتدأ اخرى يجري بين الفعل والفاعل
وبين الفاعل والمفعول وبين المفعولين وبين الحال وذي الحال وبين كل طرفين وانت
اذا تعقلته في موضع ملكت الحكم في الباقي ويكفيك مجرد التنبيه هناك وحاصل
معنى القصر راجع الى تخصيص الموصوف عند السامع بوصف دون ثان كقولك زيد
شاعر لا منجم لمن يعتقده شاعرا ومنجما او قولك زيد قائم لا قاعد لمن يتوهم زيدا
على احد الوصفين من غير ترجيح ويسمى هذا قصر افراد بمعنى انه يزيل شركة الثاني
او بوصف مكان آخر كقولك لمن يعتقد زيدا منجما لا شاعرا ما زيد منجم بل شاعر او
زيد شاعر لا منجم ويسمى هذا قصر قلب بمعنى ان المتكلم يقلب فيه حكم
السامع او الى تخصيص الوصف بموصوف قصر افراد كقولك ما شاعر الا زيد لمن يعتقد
زيدا شاعرا لكن يدعي شاعرا آخر وقولك ما قام الا زيد لمن يعتقد قائمين او اكثر
في جهة من الجهات معينة او قصر قلب كقولك ما شاعر الا زيد لمن يعتقد ان شاعرا
في قبيلة معينة او طرف معين لكنه يقول ما زيد هناك بشاعر وللقصر طرق اربعة
احدها طريق العطف كما تقول في قصر الموصوف على الصفة افرادا او قلبا بحسب مقام
السامع زيد شاعر لا منجم او ما زيد منجم بل شاعر وفي قصر الصفة على الموصوف
بالاعتبارين ما عمرو شاعر بل زيد ثم ترك الاضافة لدلالة الحال وبنى او زيد شاعر
لا عمرو او لا غير زيد بل لا غير زيد الا انك ثم ترك الاضافة لدلالة الحال وبنى
غير على الضم على نحو بناء الغايات او ليس غير او ليس الا ثم يقدر ليس شاعر غير المذكور
او الا المذكور ويجعل النفي عاما للبناء ولكل شاعر يعتقده متحريا زيدا والعرف

عنان الكلام

او زيد شاعر لا عمرو

بين قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة على الموصوف واضح فان الموصوف في الاول
لا يمتنع ان يشاركه غيره في الوصف ويمتنع في الثاني وان الموصوف في الثاني يمتنع
ان يكون لغير الموصوف ولا يمتنع في الاول وثانيها النفي والاستثناء كما تقول
في قصر الموصوف على الصفة افرادا وقلبا ليس زيد الا شاعرا او ما زيد الا شاعر
او ان زيد الا شاعر او ما زيد الا قائم او ما زيد الا قاعد ومن الوارد في التنزيل
على قصر الافراد قوله تعالى وما محمد الا رسول معناه محمد مقصور على الرسالة
لا يتجاوزها الى البعد عن الهلاك نزل المخاطبون لاستعظامهم ان لا يبقى لهم منزلة
المستبعدين لهلاكه وهو من اخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر وقوله تعالى ان حسابهم
الا على ربي فمعناه حسابهم على الاتصاف بعلى ربي لا يتجاوزه الى ان يتصف بعلي ومقاله
وما انا بطارد المؤمنين ان انا الا نذير فمعناه انا مقصور على النذارة لا اتخطاها
الى طرد المؤمنين وقوله تعالى وما انزل الرحمن من شيء ان انتم الا تكذبون فالمراد
لستم في دعواكم للرسالة عندنا بين الصدق وبين الكذب كما يكون ظاهر حال
المدعي اذا ادعى بل انتم عندنا مقصورون على الكذب لا تتجاوزونه الى الحق كما
تدعونه وما معكم من الرحمن منزل في شان من شان الكلام ومن الوارد على قصر القلب
قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله لانه
قال في مقام اشتمل على معنى انك يا عيسى لم تقل للناس ما امرتك لاني امرتك
ان تدعو الناس الى ان يعبدوني ثم انك دعوتهم الى ان يعبدوك وامك دوني الا
ترى الى ما قبله واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامي
الهين من دون الله وفي قصر الصفة على الموصوف افرادا ما شاعر الا زيد او ما
جاء الا زيد لمن يرى الشعر لزيد ولعمرو او المجيء لهما وقلبا ما شاعر الا زيد وما جاء
الا زيد لمن يرى ان زيدا ليس بشاعر وان زيدا ليس بجاء وتحقيق وجه القصر
في

مقصور هو

في الاول هو انك تعلم ان انفس الذوات يمتنع نفيها وانما تنفى صفاتها وتحقيق
ذلك يطلب من علوم اخر فمتى قلت ما زيد توجه النفي الى الوصف وحين لا نزاع في
طوله ولا قصره ولا سواده ولا بياضه وما شاكل ذلك وانما النزاع في كونه شاعرا ومنجما
تناولهما النفي فاذا قلت الا شاعر جاء القصر وتحقيق وجه القصر في الثاني هو انك
متى ادخلت النفي على الوصف المسلم ثبوته وهو وصف الشعر وقلت ما شاعر او ما
من شاعر او لا شاعر توجه بحكم العقل الى ثبوته للمدعى له ان عاما كقولك في الدنيا
شاعر او في قبيلة كذا شاعر وان خاصا كقولك زيد وعمرو شاعران فيتناول
النفي ثبوته لذلك فمتى قلت الا زيد افاد القصر وثالثها استعمال انما كما
تقول في قصر الموصوف على الصفة قصر افراد انما زيد جاء انما زيد يجيء لمن تردده
بين المجيء والذهاب من غير ترجيح لاحدهما او قصر قلب لمن يقول زيد ذاهب
لا جاء وفي تخصيص الصفة بالموصوف افرادا انما يجيء زيد لمن يردد المجيء بين زيد
وعمرو او يراه منهما وقلبا لمن يقول لا يجيء زيد ويضيف اليه الذهاب والسبب
في افادة انما معنى القصر هو تضمينه معنى ما والا ولذلك يسمع المفسرين لقوله
تعالى انما حرم عليكم الميتة والدم بالنصب يقولون معناه ما حرم عليكم الا
الميتة والدم وهو المطابق لقراءة الرفع المقتضية لانحصار التحريم على الميتة
والدم بسبب ان ما في قراءة الرفع يكون موصولة صلته حرم عليكم واقعا اسما
لان ويكون المعنى ان المحرم عليكم الميتة والدم وقد سبق ان قولنا المنطلق
زيد وزيد المنطلق كلاهما يقتضي انحصار الانطلاق على زيد وترى ائمة النحو
يقولون انما تاتي اثباتا لما يذكر بعدها ونفيا لما سواه ويذكرون لذلك وجها
لطيفا يسند الى علي بن عيسى الربعي رحمه الله وانه كان من اكابر ائمة النحو ببغداد
وهو ان كلمة ان لما كانت لتاكيد اثبات المسند للمسند اليه ثم اتصلت بها

نزلها منزلة النافية على ما يطلبه من لا وثوق له بعلم النحو ضاعف تأكيدها
فناسب ان يضمن معنى القصر لان قصر الصفة على الموصوف وبالعكس ليس الا تأكيدا
للحكم على تأكيد الا ترى انك متى قلت للمخاطب يردد المجيء الواقع بين زيد وعمرو زيد
جاء لا عمرو كيف يكون قولك زيد جاء اثباتا للمجيء لزيد صريحا وقولك لا عمرو اثباتا ثانيا
للمجيء لزيد ضمنا ومما ينبه على انه متضمن معنى ما والا صحة انفصال الضمير معه
كقولك انما يضرب انا مثله فيما يضرب الا انا قال الفرزدق ●
انا الذائد الحامي الذمار وانما يدافع عن احسابهم انا او مثلي ●
كما قال عمرو قد علمت سلمى وجاراتها ما قطر الفارس الا انا ●
ورابعها التقديم كما مر في قصر الموصوف على الصفة تميمي انا قصر افراد
لمن يردد بين قيسي وتميمي او قصر قلب لمن ينفيك عن تميم ويلحقك بقيس
وكذا قائم هو او قاعد هو باعتبارين بحسب المقام وفي قصر الصفة على الموصوف
افرادا انا كفيت مهمك بمعنى وحدي لمن يعتقد انك وزيدا كفيتما مهمه وقلبا
انا كفيت مهمك بمعنى لا غيري لمن يعتقد كافي مهمه غيرك وكذا زيدا ضربت او
ما زيدا ضربت بالاعتبارين على ما تضمن جلاله فضل التقديم وهذه الطرق تتفق
من وجه وهو ان المخاطب معها يلزم ان يكون حاكما حكما مشوبا بصواب وخطاء
وانت تطلب تحقيق صوابه ونفي خطائه ففي قصر القلب كون الموصوف
على احد الوصفين او كون الوصف لاحد الموصوفين وهو صوابه وتنفي تعيين حكمه
وهو خطاؤه وتحقق في قصر الافراد حكمه في بعض وهو صوابه وتنفيه عن البعض
وهو خطاؤه وتختلف من وجوه فالطرق الاول الثلاث تدل على التخصيص
بواسطة الوضع وجزم العقل ودلالة التقديم عليه بواسطة الفحوى
وحكم الذوق والطريق الاول الاصل فيه التعريف للمثبت والمنفي بالنص كما

ترى

ترى في قولك زيد شاعر لا منجم في قصر الموصوف على الصفة وزيد شاعر لا عمرو في
قصر الصفة على الموصوف لا يترك النص البتة الا حيث يورث تطويلا ويكون المقام
اختصارا كما اذا قال المخاطب زيد يعلم الاشتقاق والصرف والنحو والعروض
وعلم القافية وعلم المعاني وعلم البيان فتقول زيد يعلم الاشتقاق لا غير او ليس
غيرا او ليس الا او كما اذا قال زيد يعلم النحو وعمرو وبكر وخالد وفلان وفلان فتقول
زيد يعلم النحو لا غير والطرق الاخيرة الاصل فيها النص بما يثبت دون ما ينفى كما
ترى في قولك ما انا الا تميمي وانما انا تميمي وتميمي انا في قصر الموصوف
على الصفة وفي قصر الصفة على الموصوف ما يجي الا زيد وانما يجي زيد وهو يجي
والطريق الاول لا يجامع الثاني فلا يصح ما زيد الا قائم لا قاعد ولا ما يقوم الا زيد لا عمرو
والسبب في ذلك هو ان لا العاطفة من شرط منفيها ان لا يكون منفيا قبلها بغيرها
من كلمات النفي نحو جاء زيد لا عمرو ونحو زيد قائم لا قاعد او متحرك لا ساكن او موجود
لا معدوم ويمتنع تحقق شرطها هذا في منفيها اذا قلت ما يقوم الا زيد لا عمرو
او ما يقوم زيد الا قائم لا قاعد والذي سبق في تحقيق وجه القصر في النفي والاستثناء
يكشف لك الغطاء ويجامع الطريقين الاخيرين فيقال انما انا تميمي لا قيسي وتميمي
انا لا قيسي وانما يأتيني زيد لا عمرو وهو يأتيني لا عمرو ووجه صحة مجامعة
لا العاطفة انما مع امتناع مجامعتها ما والا حين وجد صحة ان يقال امتنع عن المجيء
زيد لا عمرو مع امتناع ان يقال ما جاء زيد لا عمرو وهو كون معنى النفي في انما وفي
قولك امتنع عن المجيء ضمنا لا صريحا لكن اذا جامعت لا العاطفة انما جامعتها
بشرط وهو ان لا يكون الوصف بعد انما مما له في نفسه اختصاص بالموصوف
المذكور كقوله عز اسمه انما يستجيب الذين يسمعون فان كل عاقل يعلم انه لا يكون
استجابة الا ممن يسمع ويعقل وقوله تعالى انما انت منذر من يخشاها فلا يخفى

على أحد متهم في مسألة أن الإنذار إنما يكون إنذاراً ويكون له تأثير إذا كان مع من
يؤمن بالله وبالغيب والقيامة وأهوالها ويخشى عقابها وقولهم إنما يعجل من يخشى
الفوت فمما ركز في العقول أن من لم يخش الفوت لم يعجل وإذا كان لذا احتمال
لم يصح فيه استعمال لا العاطفة فلا تقل إنما يعجل من يخشى الفوت لا من يأمنه
وطريق النفي والاستثناء تسلكه مع مخاطب تعتقد فيه أنه مخطئ وتراه مصرّاً
كما إذا رفع لك الشبح من بعيد لم تقل ما ذاك إلا زيد لصاحبك إلا وهو يتوهمه
غير زيد ويصرّ على إنكار أن يكون إياه وما قال الكفار للرسل إن أنتم إلا
بشر مثلنا إلا والرسل عندهم في معرض المدعي للبشرية والمنسلخ عنه
حكمها بناء على جهلهم أن الرسول يمتنع أن يكون بشراً وما تسمعهم في موضع
آخر كيف تجد ما حكي عنهم هنالك يرشح بما تلوث به صماخك من غريب جهلهم
هذا وهو ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون
وما أعجب شأن المشركين فما رضوا للنبي أن يكون بشراً ورضوا للإله أن يكون
حجراً وأما قول الرسل لهم إن نحن إلا بشر مثلكم فمن باب المجاراة وإرخاء العنان
مع الخصم ليعثر حيث يراد تبكيته كما قد تقول لمن يجادلك فيما ادعيت إنك من
شأنك كيت وكيت فأنت تقول نعم إن من شأني كيت وكيت والحق في يدك هناك
ولكن كيف تقدح في دعوى هناك وعلى هذا إما من موضع يأتي فيه النفي والاستثناء
إلا والمخاطب عند المتكلم مرتكب للخطأ مع إصرار إما تحقيقاً إذا أخرج
الكلام على مقتضى الظاهر وإما تقديراً إذا أخرج لا على مقتضى الظاهر كقوله
عز قائلاً وما أنت بمسمع من في القبور إن أنت إلا نذير لما كان النبي صلى الله عليه
شديد الحرص على هداية الخلق وما كان متمناه شيئاً سوى أن يرجعوا عن الكفر
ويملكوا زمام السعادة عاجلاً وآجلاً ومتى رآهم لم يؤمنوا بدا خلله من الوجد

والكآبة

والكآبة ما كاد يقع له حتى قيل له فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا ۞
وتسلّى فيظنّ حسرات على توليهم وإعراضهم عن الحق وما كانت شفقته عليهم
تدعه يبلغ حبلهم على عنادهم لينبهوا أي أودية الضلال بل كانت تدعوه إلى تعيين
الإيمان لهم هو دعاء عاية به عسى لهم أن يسمعوا ويعوا راكباً في ذلك كل صعب وذلول
أبرز لذلك في معرض من ظن أنه يملك غرس الإيمان في قلوبهم مع إصرارهم على الكفر
فقيل له لست هناك إن أنت إلا نذير وقوله عز وعلا قل لا أملك لنفسي نفعاً
ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء
إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون مصبوب في هذا القالب وطريق إنما تسلك
مع مخاطب في مقام لا يصرّ على خطأه أو يجب عليه أن لا يصرّ على خطأه لا تقول
إنما زيد يجيء وإنما يجيء زيد إلا والسامع متلق كلامك بالقبول وكذا لا تقول إنما
الله إله واحد إلا وعلى السامع أن يتلقاه بالقبول والأصل في إنما أن
تستعمل في حكم لا يعوزك تحقيقه إما لأنه في نفس الأمر جلي أو لأنك تدعيه
جلياً فمن الأول قوله تعالى إنما أنت منذر من يخشاها وقوله إنما يستجيب
الذين يسمعون وقولهم إنما يعجل من يخشى الفوت وقولك للرجل الذي ترققه
على أخيه وتنبهه للذي يجب عليه من صلة الرحم ومن حسن التحفي إنما هو أخوك
ولصاحب الشرك إنما الله إله واحد ومن الثاني قول الشاعر
إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء ۞ ادعى أن يكون
مصعب كذلك جلياً وإنه عادة للشعراء يدعون الجلاء في كل ما يمدحون به ممدوحهم
الذي إلى قوله ويعذلني أفناء سعد عليهم وما قلت إلا بالتي علمت سعد ۞
وإلى قوله لا أدعي لأبي العلاء فضيلة حتى يسلمها إليه عداه ۞
وإلى قوله فيا من لديه أن كل امرئ له نظير وإن جاز الفضائل هل له ۞

أن يكلفهم

وما حكي عن اليهود في قوله عز وعلا وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما
نحن مصلحون ادعوا على مجرى عادتهم في الكذب أن كونهم مصلحين أمر ظاهر
مكشوف لا يشتبه به ولذلك أكد الأمر عز وجل في تكذيبهم حيث قال ألا إنهم هم
المفسدون فجاء بالجملة اسمية ومعرفة الخبر باللام وموسطة الفصل مؤكدة
بأن ومصدرة بحرف التنبيه وإذ قد ذكرنا القصر فيما بين المسند والمسند إليه
بالطرق التي سمعت فقد حان أن نذكره في ذلك بطريق النفي والاستثناء وطريق
إنما دون ما سواهما فلهما هناك عدة اعتبارات تراعى فلا بد من تلاوتها عليك
اعلم أنك إذا أردت قصر الفاعل على المفعول قلت ما ضرب زيد إلا
عمرا على معنى لم يضرب غير عمرو وإذا أردت قصر المفعول على الفاعل قلت
ما ضرب عمرا إلا زيد على معنى لم يضربه غير زيد والفرق بين المعنيين واضح
وهو أن عمرا في الأول لم يمتنع أن يكون مضروب غير زيد ويمتنع في
الثاني وأن زيدا في الثاني لا يمتنع أن يكون ضاربا غير عمرو ويمتنع في
الأول ولك أن تقول في الأول ما ضرب إلا عمرا زيد وفي الثاني ما ضرب
إلا زيد عمرا فتقدم وتؤخر إلا أن هذا التقديم والتأخير لما استلزم
قصر الصفة قبل تمامها على الموصوف قل دوره لأن الصفة المقصورة
على عمرو في قولنا ما ضرب زيد إلا عمرا هي ضرب زيد لا الضرب مطلقا والصفة
المقصورة على زيد في قولنا ما ضرب عمرا إلا زيد هي الضرب لعمرو وإذا أردت
قصر أحد المفعولين على الآخر في نحو كسوت زيدا جبة قلت في قصر زيد على
الجبة ما كسوت زيدا إلا جبة أو ما كسوت إلا جبة زيدا وفي قصر الجبة
على زيد ما كسوت جبة إلا زيدا وما كسوت إلا زيدا جبة وفي نحو ظننت
زيدا منطلقا تقول في قصر زيد على الانطلاق ما ظننت زيدا إلا منطلقا

أو

أو ما ظننت إلا منطلقا زيدا وفي قصر الانطلاق على زيد ما ظننت منطلقا إلا
زيدا أو ما ظننت إلا زيدا منطلقا وإذا أردت قصر الحال على الحال قلت
ذي صح
ما جاء زيد إلا راكبا وما جاء إلا راكبا زيد وفي قصر الحال على ذي الحال ما جاء راكبا
إلا زيد أو ما جاء إلا زيد راكبا والأصل في جميع ذلك هو أن النفي في الكلام الناقص
يستلزم ثلاثة أشياء أحدها المستثنى منه لكون إلا للإخراج واستدعاء
الإخراج مخرجا منه وثانيها العموم في المستثنى منه لعدم المخصص وامتناع ترجيح
أحد المتساويين ولذلك ترانا في علم النحو نقول تأنيث الضمير في كانت في قراءة
أبي جعفر المدني إن كانت إلا صيحة واحدة بالرفع وفي ترى المبني للمفعول في
قراءة الحسن فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم وفي بقيت في بيت ذي الرمة وما بقيت
إلا الضلوع الجراشع   للنظر إلى الظاهر والأصل التذكير لاقتضاء المقام معنى
شيء من الأشياء وثالثها مناسبة المستثنى منه للمستثنى في جنسه ووصفه
وأعني بصفته كونه فاعلا أو مفعولا أو ذا حال أو حالا أو ما ترى كيف تقدر
المستثنى منه في ما جاءني إلا زيد مناسبا له في الجنس والوصف الذي حكت
نحو ما جاءني أحد إلا زيد وفي ما رأيت إلا زيدا نحو ما رأيت أحدا إلا زيدا وفي ما جاءني
زيد إلا راكبا نحو ما جاءني زيد كائنا على حال من الأحوال إلا راكبا وهذه
المسئلة مما توجب جميع تلك الأحكام بيان ذلك أنك إذا قلت ما ضرب
زيد إلا عمرا لزم أن تقدر قبل إلا مستثنى منه ليصح الإخراج ولزم أن تقدر
عاما لعدم المخصص ولزم أن تقدر مناسبا للمستثنى الذي هو عمرو في
جنسه ووصفه وحينئذ يمتنع أن يكون صورة الكلام إلا هكذا ما ضرب زيد
أحدا إلا عمرا وليس يلزم من هذا الكلام قصر الفاعل على عمرو والمفعول
ضرورة وكذا إذا قلت ما ضرب إلا عمرا زيد وإذا قلت ما ضرب عمرا إلا زيد

لزم تقدير مستثنى منه من جنس المستثنى وبوصف العموم وبوصف المستثنى ٥
وحينئذ تكون صورة الكلام هكذا ما ضرب عمراً أحد إلا زيد ويلزم صورة قصر
المفعول على زيد الفاعل وإذا قلت ما كسوت زيداً إلا جبة كان التقدير ما كسوت
زيداً ملبساً إلا جبة فيكون زيد مقصوراً على الجبة لا يتعداها إلى ملبس آخر
وإذا قلت ما كسوت جبة إلا زيداً كان التقدير ما كسوت جبة أحداً إلا زيداً فتكون
الجبة مقصورة على زيد لا تتعداه إلى من عداه وإذا قلت ما جاء راكباً إلا زيد
كان التقدير ما جاء راكباً أحد إلا زيد وإذا قلت ما جاء زيد إلا راكباً كان التقدير
ما جاء زيد كائناً على حال من الأحوال إلا راكباً وإذا قلت ما اخترت رفيقاً إلا منكم
كان التقدير ما اخترت رفيقاً من جماعة من الجماعات إلا منكم وإذا قلت ما اخترت
منكم إلا رفيقاً كان التقدير ما اخترت منكم أحداً متصفاً بأي وصف كان إلا رفيقاً
ولذا إذا قلت ما اخترت إلا رفيقاً منكم بدل أن تقول ما اخترت إلا منكم رفيقاً
لم يبعد عن فرق وهذا يطلعك على الفرق بين ما قال الشاعر
لو خيّر المنبر فرسانه ما اختار إلا منكم فارسا ٥
وبين ما إذا قلت ما اختار إلا فارساً منكم وإذا عرفت هذا في النفي والاستثناء
فاعرفه بعينه في إنما لا تصنع شيئاً غير ما ذكر لك واضرب الكلام غير مدافع
نزل القيد الأخير من الكلام الواقع بعد إنما منزلة المستثنى بعد إلا نحو إنما يضرب
زيد تقديره ما يضرب إلا زيد ونحو إنما يضرب زيد عمراً تقديره ما يضرب زيد إلا عمراً
ونحو إنما يضرب زيد عمراً يوم الجمعة تقديره ما يضرب زيد عمراً إلا يوم الجمعة ونحو
إنما يضرب زيد عمراً يوم الجمعة في السوق تقديره ما يضرب زيد عمراً يوم الجمعة إلا في
السوق ولذلك إذا قلت إنما زيد يضرب فتقديره تقديره ما زيد إلا يضرب
ولا يجيء بعده من التقديم والتأخير ما يجيء بعد ما وإلا ولا لبسة في ذلك
عليه

عليه فذلك أصل في باب القصر وهذا كالفرع عليه والتقديم والتأخير هناك
غير ملتبس وههنا مؤدٍّ إلى الالتباس ولذلك قدر إنما هذا لك تقديره ما هذا إلا
لك وإنما لك هذا ما لك إلا هذا حتى إذا أردت الجمع بين إنما وطريق العطف
قلت إنما هذا لك لا لغيرك وإنما لك هذا لا ذاك وإنما يأخذ زيد لا عمرو وإنما زيد
يأخذ لا يعطي ومن هذا تعرف الفرق بين إنما يخشى الله من عباده العلماء وبين إنما
يخشى العلماء من عباده الله بتقديم المرفوع على المنصوب فالأول يقتضي انحصار
خشية الله على العلماء والثاني يقتضي انحصار خشية العلماء على الله واعلم
أن حكم غير حكم إلا في إفادة القصرين وامتناع مجامعة لا العاطفة تقول ما جاءني
غير زيد لا عمرو واعلم أني مهدت لك في هذا العلم قواعد متى بنيت عليها أعجب
كل شاهد بناؤها واعترف لك بكمال الحذق في صناعة البلاغة أبناؤها ونهجت
لك مناهج متى سلكتها أحدث بك عن المجهل المتعسف إلى سواء السبيل وصرفك
عن الأخذ المتطرق إلى التعسر الذي هو شفا العطب ونصبت لك أعلاماً متى انتحيتها
أعثرتك على ضوال منشودة وحشدت لك منها ما البيت عند المحسن محشودة ومثلت
لك أمثلة متى حذوت عليها أمنت العثار في مظان الزلل وأبيت أن تسرف فيما
تنتهي إليه عنان بديد المحطط فإذا كنت ممن ملك الذوق إلى الطبع وتصفحت كلام رب
العزة أطلعك على ما يورد كل هناك موارد العزة وكشفت لك عن وجوه
إعجازه القناع وفضلت لك ما أجهد أنفاس أولئك المصاقع على معارضة القرآن فإن
ملاك الأمر في علم المعاني هو الذوق السليم والطبع المستقيم فمن لم يرزقهما
فعليه بعلوم أخر وإلا لم يحظ بطائل مما تقدم وما تأخر إذا المرء عشى محله
ملائم وأن يرتاب والصبح مسفر هذا وإن الخبر كثيراً ما يخرج لا على
مقتضى الظاهر ويكون المراد به الطلب فسنذكر ذلك في آخر القانون الثاني بإذن الله تعالى

غير زيد إلا إفراد المجيء تقول جاء زيد مع آخر وأما قبلها فلكن تقول ما جاء زيد وإنما جاء مكانه إنسان آخر ولا تقول ما جاءني حوه

القانون الثاني من علم المعاني وهو قانون الطلب حقيقته معلومة
مستغنية عن التحديد فلا نتكلم هناك وانما نتكلم في مقدمة يستند عليها
المقام من بيان ما لا بد للطلب منه ومن تنوعه والتنبيه على ابوابه في الكلام وكيفية
توليدها لما سوى اصلها وهي ان لا ارتياب في ان الطلب من غير تصور اجمالا او
تفصيلا لا يصح وانه يستدعي مطلوبا لا محالة ويستدعي فيما هو مطلوبه ان لا يكون
حاصلا وقت الطلب ولنسم هذا المعنى عندك يستفرع عليه والطلب اذا تاملت
نوعان نوع لا يستدعي في مطلوبه امكان الحصول وقولنا لا يستدعي ان يمكن اعم
من قولنا يستدعي ان لا يمكن ونوع يستدعي فيه امكان الحصول والمطلوب
بالنظر الى ان لا واسطة بين الثبوت والانتفاء يستلزم انحصاره في قسمين
حصول ثبوت متصور وحصول انتفاء متصور وبالنظر الى كون الحصول ذهنيا
وخارجيا يستلزم انقساما الى اربعة اقسام حصولين في الذهن وحصولين في
الخارج ثم اذا المراد بالحصول في الذهن على التصور والتصديق لم يتجاوز اقسام
المطلوب ستة حصول تصور او تصديق في الذهن وحصول انتفاء تصور او
تصديق فيه وحصول ثبوت متصور او انتفائه في الخارج وطلب حصول التصور في
الذهن لا يرجع الا الى تفصيل مجمل او تفصيل مفصل بالنسبة ووجه ذلك هو
ان الانسان اذا صح منه الطلب بان ادرك اما بالاجمال كشيء ما او بالتفصيل
بالنسبة الى شيء ما ثم طلب حصولا لكن في الذهن وامتنع طلب الحاصل توجه
الى غير حاصل وهو تفصيل المجمل او تفصيل المفصل بالنسبة اما النوع الاول
من الطلب فهو التمني الا ترى كيف تقول ليت زيدا جاءني فتطلب
كون غير الواقع فيما مضى واقعا فيه مع حكم العقل بامتناعه او كيف تقول ليت
الشباب يعود فتطلب عود الشباب مع جزمك انه لا يعود او كيف تقول ليت

زيدا

زيدا ياتيني او ليتك تحدثني فتطلب اتيان زيد او حديث صاحبك في حال
لا توقع لهما ولا لك طماعية في وقوعهما اذ لو توقعت او طمعت لاستعملت
لعل او عسى واما الاستفهام والامر والنهي والنداء فمن النوع الثاني والاستفهام
لطلب حصول في الذهن والمطلوب حصوله في الذهن اما ان يكون حكما بشيء على شيء او لا يكون والاول هو التصديق
ويمتنع انفكاكه من تصور الطرفين والثاني هو التصور ولا يمتنع انفكاكه من التصديق ثم
المحكوم به اما ان يكون نفس الثبوت او الانتفاء كما تقول الانطلاق ثابت او
متحقق او موجود كيف شئت وما الانطلاق ثابتا فتحكم على الانطلاق بالثبوت
او الانتفاء بالاطلاق او ثبوت كذا او انتفاء كذا بالتقييد كما تقول الانطلاق قريب
او ليس بقريب فتحكم على الانطلاق بثبوت القرب له او بانتفائه عنه لا مزيد
للتصديق على هذين النوعين والنوع الاول لا يحتمل الطلب الا في التصديق
والمسند اليه لكون المسند فيه وهو نفس الثبوت او الانتفاء مستغنيا عن الطلب
والثاني يحتمله في التصديق وطرفيه واما الامر والنهي والنداء فلطلب الحصول في
الخارج اما حصول انتفاء متصور كقولك في النهي للمتحرك لا تتحرك فانك تطلب
بهذا الكلام انتفاء الحركة في الخارج واما حصول ثبوته كقولك في الامر قم وفي النداء
يا زيد فانك تطلب بهذين الكلامين حصول قيام صاحبك واقباله عليك في الخارج
والفرق بين الطلب في الاستفهام والطلب في الامر والنهي والنداء واضح فانك
في الاستفهام تطلب ما هو في الخارج ليحصل في ذهنك نقش له مطابق وفيما سواه
تنتقش في ذهنك ثم تطلب ان يحصل له في الخارج مطابق فنقش الذهن في الاول
تابع وفي الثاني متبوع ونوفيه هذه المعاني حقها تستدعي مجالا غير مجالنا هذا
فلنكتف بالاشارة الى مجرد التنبيه عليها واذ قد عرفت ما رفع لك فالمرجو ان
تتامل كيف تتفرع عن هذه الابواب الخمسة التمني والاستفهام والامر والنهي والنداء

على م

ما يتفرع على سبيل الحالة اذ لابد منه من الفصول الاتية في علم البيان لئلا وتراه عليك
ما سنقرع التفصيل هناك ضمنا فنقول متى امتنع اجراء هذه الابواب على
الاصل تولد منها ما ناسب المقام كما اذا قلت لمن همك همه ليتك تحدثني امتنع اجراء
الكلام التمني والحال ما ذكر على اصله فيطلب الحديث من صاحبك غير مطموع في
مطلب بالمصدر جواب التمني المعنوي الذي نصبه قوله امتنع اجراء التمني
حصوله وولد بمعونة قرينة الحال معنى السؤال اذ كما اذا قلت هل لي من شفيع في مقام
لا يسع امكان التصديق بوجود الشفيع امتنع اجراء الاستفهام على اصله وتولد بمعونة
قرائن الاحوال معنى التمني وكذا اذا قلت لو يأتيني زيد فيحدثني بالنصب طالبا
لحصول الوقوع فيما يفيد لو من تقدير غير الواقع واقعا وولد التمني وسببت
تولد لعل معنى التمني في قولهم لعلي ساحج فازورك بالنصب هو بعد المرجى
عن الحصول او كما اذا قلت لمن تراه لا يزل الا تنزل فتنصب نتيجة امتنع ان يكون
المطلوب بالاستفهام التصديق بحال نزول صاحبك لكونه حاصلا وتوجه بمعونة
عدم النزول
قرينة الحال الى نحو الابتغاء النزول مع محبتنا اياه وولد معنى العرض او كما اذا
قلت لمن تراه يؤذي الاب الفعل هذا امتنع توجه الاستفهام الى فعل الايذاء
لعلمك بحاله وتوجه الى ما لا تعلم مما يلابسه من نحو استحسن وولد الانكار
والزجر او كما اذا قلت لمن يهجو اباه مع علمك ان هجو الاب ليس شيئا غير
هجو النفس هل تهجو الا نفسك او غير نفسك امتنع منك اجراء الاستفهام
على ظاهره لاستدعائه ان يكون الهجو احتمل عندك توجهه الى غيره وتولد منه
بمعونة القرينة الانكار والتوبيخ او كما اذا قلت لمن يسئ الادب الم أؤدب
فلانا امتنع ان تطلب العلم بتأديبك فلانا وهو حاصل وتولد منه الوعيد والزجر
او كما اذا قلت لمن بعث الى مهم تراه عندك اما ذهبت بعد امتنع الذهاب
عن توجه الاستفهام اليه لكونه معلوم الحال ويستدعي شيئا مجهول

الحال

وانت

الحال وهو بلا بس الذهاب مثل اما تبتشر لك الذهاب وتولد منه الاستبطاء
والتحضيض او كما اذا قلت لمن يتصلف عندك وانت تعرفه الا اعرفك وتولد الانكار
والتعجب والتعجيب او كما اذا قلت لمن جاك اجنبي امتنع المجيء عن الاستفهام
وولد بمعونة القرينة التقرير او كما اذا قلت لمن يدعي امرا ليس في وسعه
افعله امتنع ان يكون المطلوب بالامر حصول ذلك الامر في الخارج لحكمك
عليه بامتناعه وتوجه الى مطلوب ممكن الحصول مثل بيان عجزه وتولد التعجيز
والتحدي او كما اذا قلت لعبد يشتم مولاه وانت اردت بذلك التاديب اوهو
اوعدته على ذلك ابلغ ايعاد اشتم مولاك امتنع ان يكون المراد الامر بالشتم
والحال ما ذكر وتوجه بمعونة قرينة الحال الى نحو اعرف لازم الشتم وتولد
منه التهديد او كما اذا قلت لعبد لا يمتثل امرك امتنع طلب ترك الامتثال
لكونه حاصلا وتوجه الى غير حاصل مثل لا تكترث لامري ولا تبال به وتولد منه
التهديد او كما اذا قلت لمن اقبل عليك يتظلم يا مظلوم امتنع توجيه النداء
الى طلب الاقبال لحصوله له وتوجه الى غير حاصل مثل زيادة الشكوى بمعونة
قرينة الحال وتولد منه الاغراء ولننتصر فمن لا يستغني بمصباح لم يستغن بالصباح
ناقلين الكلام الى التفصيل لابواب الطلب

امتنعت معرفتك به عن الاستفهام وتوجه الى مثل انطلقني لا اعرفك

لا تمتثل امري

الباب الاول في التمني

اعلم ان الكلمة الموضوعة للتمني هي ليت وحدها واما لو وهل في افادتهما
معنى التمني فالوجه ما سبق وكان الحروف المسماة حروف التنديم والتحضيض
وهي هلا والا ولولا ولوما ماخوذة منهما مركبة مع لا وما المزيدتين مطلوبا
بالتزام التركيب التنبيه على الزام هل ولو معنى التمني فاذا قيل هلا اكرمت
زيدا او الا تقلب الهاء همزة او لولا او لوما فكان المعنى ليتك اكرمت زيدا
متولدا منه معنى التنديم واذا قيل هلا تكرم زيدا او لولا فكان المعنى ليتك

الباب الثاني في الاستفهام

تكلمه منه لكرامة معنى السؤال ه

للاستفهام كلمات موضوعة وهي الهمزة وام وهل وما ومن واي وكم وكيف واين
وانى ومتى وايان بفتح الهمزة وبكسرها وهذه اللغة اعني كسر همزتها تقوي
ان يكون اصلها اي آن او ان وهذه الكلمات ثلاثة انواع احدها يختص طلب حصول
التصور وثانيها طلب حصول التصديق وثالثها لا يختص وقد نبهت فيما سبق
ان طلب حصول التصور مرجعه الى تفصيل المجمل او الى تفصيل المفصل بالنسبة
واذا تاملت طلب التصديق وجدته راجعا الى تفصيل المجمل ايضا وهو تعيين الثبوت
او الانتفاء في مقام التردد والهمزة من النوع الاخير تقول في طلب التصديق أ
احصل الانطلاق وازيد منطلق وفي طلب التصور في طرف المسند اليه
ادبس في الاناء ام عسل وفي طرف المسند افي الخابية دبسك ام في الزق فانت
في الاول تطلب تفصيل المسند اليه وهو المظروف وفي الثاني تطلب تفصيل
المسند وهو الظرف وهل من النوع الثاني لا تطلب به الا التصديق كقولك
هل حصل الانطلاق وهل زيد منطلق ولاختصاصه بالتصديق امتنع ان يقال هل
عندك عمرو ام بشر باتصال ام دون ام عندك بشر بانقطاعها وقبح هل
رجل عرف وزيدا عرفت لما سبق ان التقديم يستدعي حصول التصديق
بنفس الفعل قبيله وبين هل تدافع واذا استحضرت ما سبق من التفاصيل في
صور التقديم عسى ان يهتدي لما طويت ذكره انا ولا بد لهل من ان تخصص
الفعل المضارع بالاستقبال فلا يصح ان يقال هل تضرب زيدا وهو اخوك على
نحو اتضرب زيدا وهو اخوك في ان يكون الضرب واقعا في الحال ولكون هل لطلب
الحكم بالثبوت او الانتفاء وقد نبهت فيما سبق على ان الاثبات والنفي
لا يتوجهان الى الذوات وانما يتوجهان الى الصفات ولاستدعائه التخصيص

با

بالاستقبال لما يحتمل حال الذوات تعلم ان احتمال الاستقبال انما يكون لصفات
الذوات لا لانفس الذوات لان الذوات من حيث هي هي ذوات فيما مضى وفي الحال
وفي الاستقبال يستلزم ذلك مزيد اختصاص لهل دون الهمزة بما يكون كونه
زمانيا اظهر كالافعال ولذلك كان قوله عز وعلا فهل انتم شاكرون ادخل
في الانباء عن طلب الشكر من قولنا فهل تشكرون او فهل انتم تشكرون او
افانتم تشكرون لفيد التجدد وهل انتم تشكرون كذلك واما انتم شاكرون
وان كان ينبئ عن عدم التجدد للتجدد في فهل انتم شاكرون لما ثبت ان هل
ادعى للفعل من الهمزة فترك الفعل معه يكون ادخل في الانباء من استدعاء المقام
عدم التجدد ولكون هل ادعى للفعل من الهمزة لا يحسن هل زيد منطلق الا من البليغ
كالاعشى نظيره قوله ليبك يزيد ضارع لخصومة من كل احد على ما سبق في موضعه
والمختص بالهمزة في نحو ازيد منطلق اهون واما ما ومن واي وكم وكيف واين
وانى ومتى وايان فمن النوع الاول من طلب حصول التصور على تفصيل تسمعه لا بد
من التنبيه عليه ليصح منك تطبيقها في الكلام على ما يستوجب فنقول
اما ما فللسؤال عن الجنس تقول ما عندك بمعنى اي اجناس الاشياء عندك
وجوابه انسان او فرس او كتاب او طعام وكذلك تقول ما الكلمة وما الاسم
وما الفعل وما الحرف وما الكلام وفي التنزيل فما خطبكم بمعنى اي اجناس الخطوب
خطبكم وفيه ما تعبدون من بعدي اي اي من في الوجود تؤثرونه في العبادة او
عن الوصف تقول ما زيد وما عمرو وجوابه الكريم والفاضل وما شاكل ذلك ولكون
ما للسؤال عن الجنس وللسؤال عن الوصف وقع بين فرعون وبين موسى ما وقع
لان فرعون حين كان جاهلا بالله معتقدا ان لا موجود مستقلا بنفسه سوى
اجناس الاجسام اعتقاد كل جاهل لا نظر له ثم سمع موسى قال انا رسول رب

العالمين يسأل بما عن الجنس من المثله فقالوا وما رب العالمين كأنه قال أي أجناس
الأجسام هو وحين كان موسى عليه السلام عالما بأنه أجاب عن الوصف تنبيها على النظر المؤدي
الى العلم بحقيقته الممتازة عن حقائق الممكنات فلما لم يتطابق السؤال
والجواب عنده فرعون الجاهل عجب من حوله من جماعة الجهلة فقال لهم ألا تستمعون ثم
استهزأ بموسى وجننه فقال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون وحين لم يرهم
موسى يتفطنون لما نبههم عليه في الكرتين من فساد مسألتهم الحمقاء واستماع
جوابه الحكيم غلظ في الثالثة فقال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم
تعقلون ويحتمل أن يكون فرعون قد سأل بما عن الوصف لكون رب العالمين
عنده مشتركا بين نفسه وبين من ادعاه موسى في قوله أنا رسول رب العالمين
لجهله وفرط عتوه وتسويل نفسه الشيطانية له ذلك الضلال الشنيع من ادعاء
الربوبية وارتكاب أن يقول أنا ربكم الأعلى ونفخ الشيطان في خيشومه بتسليم
أولئك البهائم له إياها وادعائهم له بذلك وتلقيبهم إياه برب العالمين وشهرته
فيما بينهم بذلك الى أن خرجت دعت السحرة إذ عرفوا الحق وخروا سجدا لله وقالوا
آمنا برب العالمين الى أن يعقبوه بقولهم رب موسى وهرون نفيا لأن يزعم أن
يعنوا فرعون وأن يكون ذلك السؤال من فرعون على طاعته أن يجري موسى في
جوابه على نهج خاصيته لو كانوا المسؤلين وجهه بذلك فيجعله الخاص الجهلة
بحال موسى وعدم اطلاعه على حقيقة شأنه إذ كان ذلك المقام أول اجتماعه بموسى
بدليل ما جرى فيه من قوله أولو جئتك بشيء مبين قال فأت به إن كنت من الصادقين
حين سمع الخلق لم يكن منه بعث وتعجب واستهزاء وجنن وتعبهق ما نعيهق من
لئن اتخذت الها غيري لأجعلنك من المسجونين ﻫ وأما من فللسؤال عن الجنس
من ذوي العلم تقول من جبريل بمعنى أبشر هو أم ملك أم جني وكذا من إبليس
ومن

ومن ثلاث ومنه قوله تعالى حكاية عن فرعون فمن ربكما يا موسى أراد من مالككما
ومدبر أمركما أملك هو أم جني أم بشر منكرا لأن يكون لهما رب سواه لادعائه
الربوبية لنفسه ذهابا في سؤاله هذا الى معنى ألكما رب سواي فأجاب موسى
بقوله ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى كأنه قال نعم لنا رب يا سائل وهو
الصانع الذي إذا سلكت الطريق الذي بين إيجاده لما أوجد وتقديره إياه على
ما قدر واتبعت فيه المرشد الماهر وهو العقل الهادي عن الضلال لزمك الاعتراف
بكونه ربا وأن لا رب سواه وأن العبادة له مني ومنك ومن الخلائق أجمع حق لا مدفع
له ﻫ وأما أي فللسؤال عما يميز أحد المتشاركين في أمر يعمهما تقول القائل عندي
ثياب فتقول أي الثياب هي فتطلب منه وصفا يميزها عندك عما يشاركها في الثوبية
قال تعالى حكاية عن سليمان أيكم يأتيني بعرشها أي الإنسي أم الجني وقال حكاية
عن الكفار أي الفريقين خير مقاما أي أنحن أم أصحاب محمد ﻫ وأما كم فللسؤال عن العدد
إذا قلت كم درهما لك وكم رجلا رأيت فكأنك قلت أعشرون أم ثلاثون أم كذا
أم كذا وتقول كم درهمك وكم مالك أي كم دانقا وكم دينارا وكم ثوبك أي كم شبرا
أو كم ذراعا وكم زيد ماكث أي كم يوما أو شهرا وكم رأيتك أي كم مرة وكم سرت
أي كم فرسخا أو كم يوما قال عز وجل قال قائل منهم كم لبثتم أي كم يوما أو كم ساعة
وقال كم لبثتم في الأرض عدد سنين وقال تعالى سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية
بينة ومنه قول الفرزدق كم عمة لك يا جرير وخالة فدعاء قد حلبت علي عشاري ٥
فيمن روى بنصب المميز ﻫ وأما كيف فللسؤال عن الحال إذا قيل كيف زيد فجوابه
صحيح أو سقيم أو مشغول أو فارغ أو شبعان أو جذلان ينتظم الأحوال كلها ﻫ وأما
أين فللسؤال عن المكان إذا قيل أين زيد فجوابه في الدار أو في المسجد أو في السوق ينتظم
الأماكن كلها ﻫ وأما أنى فيستعمل تارة بمعنى كيف قال تعالى فأتوا حرثكم أنى شئتم

أي كيف شئتم وأخرى لمعنى من أين قال تعالى أنى لك هذا أي من أين لك هذا وأما متى
وأيان فهما للسؤال عن الزمان إذا قيل متى جئت أو أيان جئت قيل يوم الجمعة
أو يوم الخميس أو شهر كذا أو سنة كذا وعن علي بن عيسى الربعي رحمه الله إمام
أئمة بغداد في علم النحو أيان تستعمل في مواضع التفخيم كقوله عز وجل يسأل أيان
يوم القيامة يسألون أيان يوم الدين واعلم أن هذه الكلمات كثيرا ما تتولد
منها أمثال ما سبق من المعاني بمعونة قرائن الأحوال فيقال ما هذا ومن هذا لمجرد
الاستخفاف والتحقير وما لي للتعجب قال تعالى حكاية عن سليمان ما لي لا أرى الهدهد
وأي رجل هو للتعجب وأيما رجل وكم دعوتك للاستبطاء وكم تدعوني للإنكار
وكم أحلم للتهديد وكم تؤذي أباك للإنكار والتعجب والتوبيخ وعليه قوله تعالى
كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم لمعنى التعجب ووجه تحقيق ذلك هو أن
الكفار في حين صدور الكفر منهم لا بد من أن يكونوا على أحد الحالين إما عالمين بالله وإما
جاهلين به فلا ثالثة فإذا قيل لهم كيف تكفرون بالله وقد علمت أن كيف للسؤال
عن الحال وللكفر مزيد اختصاص بالعلم بالصانع وبالجهل به انساق إلى ذلك فأفاد أفي حال
العلم بالله تكفرون أم في حال الجهل به ثم إذا قيد تكفرون بالله بقوله وكنتم
أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وصار المعنى كيف تكفرون وكنتم أمواتا فأحياكم ثم
يميتكم ثم يحييكم كيف تكفرون بالله والحال حال علمكم هذه القصة وهي أن كنتم
أمواتا فصرتم أحياء وسيكون كذا وكذا صار الكفر أبعد شيء عن العاقل فصار وجوده
منه مظنة التعجب ووجه بعده هو أن هذه الحالة تأبى أن لا يكون للعاقل علم
بأن له صانعا قادرا عالما حيا سميعا بصيرا موجودا غنيا في جميع حاله عن سواه منزها
عن جسم ولا عرض حكيما خالقا منعما مكلفا مرسلا للرسل باعثا مثيبا معاقبا
وعلمه بأن له هذا الصانع يأبى أن يكفر وصدور الفعل عن القادر مع القارن

الصوارف

الصوارف مظنة تعجب وتعجيب وإنكار وتوبيخ فصح أن يكون قوله كيف تكفرون إلى آخر
الآية تعجبا وتعجيبا وإنكارا وتوبيخا وكذلك يقال أين مغيثك للتوبيخ والتقريع والإنكار
حال تذليل المخاطب قال تعالى أين شركائي الذين كنتم تزعمون توبيخا للمخاطبين
وتقريعا لهم لكونه سؤالا في وقت الحاجة إلى الإغاثة عمن كان يدعى له أنه يغيث وقال
فأين تذهبون للتنبيه على الضلال ويقال أنى تعمد على خابز للتعجب والتعجيب
والإنكار قال تعالى فأنى تؤفكون إنكارا وتوبيخا وقال أنى لهم الذكرى وقد جاءهم
رسول مبين استبعادا للذكرى ويقال متى حلت هذا للجحد والإنكار ومتى تصلح
شأن للاستبطاء وقد عرفت الطريق فراجع نفسك وإذا سلكته فاسلكها
عن تأمل التثبت لما ألقيت فلا تخمن بعدما عرفت أن التقدير يستدعي العلم
بحال نفس الفعل وقوعا أو غيره وقوع أزيدا ضربت سائلا عن حال وقوع الضرب
ومن أنت ضربت زيدا بنية التقدير ولا تقل أزيدا ضربت أم لا ولا أأنت ضربت
زيدا بنية التقدير ولك إن شئت أن تقول أزيدا ضربت أم عمرا وأأنت ضربت
زيدا أم غيرك وإن أردت بالاستفهام التقرير فاحذه على مثال الإثبات فقل
حال التقرير بالفعل أضربت زيدا أو أتضرب زيدا وقل حال التقرير بأنه الضارب دون
عمرو أأنت ضربت زيدا كما قال تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وقوله
أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم أو أن زيدا مضروبه أزيدا ضربت وإن
أردت به الإنكار فانسجه على منوال النفي فقل في إنكار نفس الضرب أضربت زيدا أو
قل أزيدا ضربت أم عمرا فإنك إذا أنكرت من تردد الضرب بينهما تولد منه إنكار
الضرب على وجه برهاني ومنه قوله تعالى آلذكرين حرم أم الأنثيين وفي إنكار أنه
الضارب أأنت ضربت زيدا وفي إنكار أن زيدا مضروبه أزيدا ضربت كما قال
قل أغير الله أتخذ وليا وقال أغير الله تدعون ومنه قوله أبشرا منا واحدا نتبعه

فمنكر ولا تغفل عن التفاوت بين الانكار للتوبيخ على معنى لم كان او لم يكون كقولك
اعصيت ربك او اتعصي ربك وبين الانكار للتكذيب على معنى لم يكن او لا يكون كقوله
تعالى افاصفاكم ربكم بالبنين وقوله تعالى اصطفى البنات على البنين وقوله تعالى
انلزمكموها واياك ان يزل عن خاطرك التفصيل الذي سبق في نحو انا ضربت وانت
ضربت وهو ضرب من احتمال الابتداء واحتمال التقديم وتفاوت المعنى في الوجهين
فلا تحمل نحو قوله تعالى الله اذن لكم على التقديم فليس المراد ان الاذن ينكر من
الله دون غيره ولكن احمله على الابتداء مرادا منه تقوية حكم الانكار وانظم في
هذا السلك قوله تعالى افانت تكره الناس وقوله تعالى افانت تسمع الصم او
تهدي العمي وقوله تعالى اهم يقسمون رحمة ربك وما جرى مجراه واذا عرفت
ان هذه الكلمات للاستفهام وعرفت ان الاستفهام طلب وليس يخفى ان
الطلب انما يكون لما يهمك ويعنيك شانه الا لما وجوده وعدمه عندك بمنزلة
وقد سبق ان كون الشيء مهما جهة مستدعية لتقديمه في الكلام فلا يعجبك
لزوم كلمات الاستفهام صدر الكلام ووجوب التقديم في نحو كيف زيد واين عمرو
ومتى الجواب وما شاكل ذلك

ماصفاكم ب

مهما

الباب الثالث في الامر

للامر حرف واحد وهو اللام الجازم في قولك ليفعل وصيغ مخصوصة سبق الكلام
في ضبطها في علم الصرف وعدة اسماء ذكرت في علم النحو والامر في لغة العرب عبارة
عن استعمالها اعني استعمال نحو لينزل وانزل ونزال وصه على سبيل الاستعلاء
واما ان هذه الصور والتي من قبيلها هل هي موضوعة لتستعمل على سبيل
الاستعلاء ام لا فالاظهر انها موضوعة لذلك وهي حقيقة فيه لتبادر الفهم عند
استماع نحو قم وليقم زيد الى جانب الامر وتوقف ما سواه من الدعاء والالتماس
والندب والاباحة والتهديد على اعتبار القرائن واطباق ائمة اللغة على اضافتهم

نحو

نحو قم وليقم زيد الى جانب الامر وتوقف ما سواه من الدعاء والالتماس والندب
والاباحة والتهديد على اعتبار القرائن الى الامر بقولهم صيغة الامر ومثال
الامر ولام الامر دون ان يقولوا صيغة الاباحة ولام الاباحة مثلا ثم تلك
وتحقيق معنى الحقيقة والمجاز موضعه علم البيان فيذكر هناك ان شاء الله تعالى
ولا شبهة في ان طلب المتصور على سبيل الاستعلاء ممن هو اعلى رتبة من المامور
يستتبع ايجابه وجوب الفعل بحسب جهات (الشرع او العرف) مختلفة والا لم يستتبعه
فاذا صادفت هذه اصل الاستعمال بالشرط المذكور افادت الوجوب والا
لم تفد غير الطلب ثم انها حينئذ تولد بحسب قرائن الاحوال ما ناسب المقام ان
استعملت على سبيل التضرع كقولنا اللهم اغفر وارحم ولدت الدعاء وان استعملت
على سبيل التلطف كقول كل احد لمن يساويه في المرتبة افعل بدون الاستعلاء
ولدت السؤال او الالتماس كيف عبرت عنه وان استعملت في مقام الاذن كقولك
جالس الحسن او ابن سيرين لمن يستاذن في ذلك بلسانه او لسان حاله ولدت الاباحة
وان استعملت في مقام تسخط المامور به ولدت التهديد على ما تقدم الكلام في
امثال ذلك

يورث ايجاب الاتيان به على المطلوب منه اذا كان الاستعلاء صح

اذا لم يكن ممن هو اعلى رتبة

لام الامر وصيغه من الاسماء والافعال

الطلب

يعني السؤال والالتماس مترادفان معنى واحد

الباب الرابع في النهي

للنهي حرف واحد وهو لا الجازم في قولك لا تفعل والنهي محذو به حذو الامر في
ان اصل استعمال لا تفعل ان يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور فان
صادف ذلك افاد الوجوب والا افاد طلب الترك فحسب ثم ان استعمل
على سبيل التضرع كقول المبتهل الى الله تعالى لا تكلني الى نفسي سمي دعاء وان
استعمل في حق المساوي الرتبة لا على سبيل الاستعلاء سمي التماسا وان
استعمل في حق المستاذن سمي اباحة وان استعمل في مقام تسخط الترك
سمي تهديدا والامر والنهي حقهما الفور والتراخي يتوقف على قرائن الاحوال لكونهما

وكون الطلب

للطلب في استدعاء تعجيل المطلوب اظهر منه في عدم الاستدعاء لاد عند
الانقياد والنظر الى حال المطلوب بانحو بهما وهما الاستفهام والنداء منه
على حال صالح ومما يشهد على ذلك تبادر الفهم اذا امر المولى عبده بالقيام ثم
امره قبل ان يقوم بان يضطجع وينام حتى المساء الى ان المولى غيّر الامر دون
تقدير الجمع بينهما في الامر وارادة التراخي للقيام ولذا استحسان العقلاء عند
امر المولى عبده بالقيام والقعود او عند نهيه اياه اذا لم يبادر الى ذلك منه
واما الكلام في ان الامر اصل في المرة ام في الاستمرار وان النهي اصل في
الاستمرار ام في المرة كما هو مذهب البعض فالوجه ان ينظر ان كان الطلب بهما
راجعا الى قطع الواقع كقولك في الامر للساكن تحرك وفي النهي للمتحرك لا تتحرك
فالاشبه المرة وان كان الطلب بهما راجعا الى اتصال الواقع كقولك في الامر
للمتحرك تحرك ولا تطلب بهذا الطلب الكامل فان الطلب حال وقوعه متوجه
الى الاستقبال فيتعذر تحصيله حالا وقولك في النهي للمتحرك لا تسكن فالاشبه
الاستمرار واعلم ان هذه الابواب الاربعة التمني والاستفهام والامر
والنهي تشترك في الاعانة على تقدير الشرط بعدها كقولك في التمني ليت لي
مالا انفقه على معنى ان ارزقه انفقه وقولك في الاستفهام اين بيتك
ازرك على معنى ان تعرفنيه او ان اعرفه ازرك واما العرض كقولك الا تنزل
تصب خيرا على معنى ان تنزل تصب خيرا فليس بابا على حدة وانما هو مولد من
الاستفهام كما عرفت وقولك في الامر اكرمني اكرمك قال الله تعالى فهب لي
من لدنك وليا يرثني بالجزم وامارة الرفع فالاولى حملها على الاستئناف
دون الوصف لئلا يلزم منه انه لم يوهب من وصف لهلاك يحيى قبل زكريا
وقال تعالى قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم ومنهم
من

من نفسه لام الامر مع يقيموا الا ان اضمار الجازم فطير اضمار الجار فانظر وقولك
في النهي لا تشتم يكن خيرا لك على معنى ان لا تشتم يكن خيرا لك وتقدير الشرط
لقرائن الاحوال غير ممتنع قال تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم على تقدير ان افتخرتم
بقتلهم فانتم لم تقتلوهم وقال فالله هو الولي على تقدير ان ارادوا وليا بحق فالله هو
الولي بالحق لا ولي سواه وامثال ذلك في القران كثيرة وكذا تقدير الجزاء لها كذلك
قال الله تعالى ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله
فامن واستكبرتم وترك الجزاء وهو الستم ظالمين لذكر الظلم عقيبه في قوله ان
الله لا يهدي القوم الظالمين

الباب الخامس في النداء

ما يتعلق بالنداء من حروفه وتفصيل الكلام في معانيها يستوفي الغرض لذلك في علم النحو
فلا نتكلم فيه ولكن هنا نوع من الكلام صورته صورة النداء وليس بنداء فننبه عليه
وتلك الصورة هي قولهم اما انا فافعل كذا ايها الرجل ونحن نفعل كذا ايها القوم
واللهم اغفر لنا ايتها العصابة يراد بهذا النوع من الكلام الاختصاص على معنى
انا افعل كذا مختصا بذلك من بين الرجال ونحن نفعل كذا مختصين من بين الاقوام
واللهم اغفر لنا مخصوصين من بين العصائب واعلم ان الطلب كثيرا ما يخرج لا على
مقتضى الظاهر وكذلك الخبر فيذكر احدهما في موضع الاخر ولا يصار الى ذلك الا
لتوخي نكت قلما تتفطن لها من لا يرجع الى دربة في نوعنا هذا ولا يعقد فيه بطرف
قاطع والكلام بذلك متى صادف مقتضيات البلاغة افتن لك عن السحر الحلال
بما شئت ومن المتممات ما قد سبق الى ان نظم الكلام اذا استحسن من بليغ لا
يمتنع ان يستحسن مثله من غير البليغ وان اتحد المقام اذ لا شبهة في صحة اختلاف
ان لم
النظم مقبولا وغير مقبول عند اختلاف المقام فلا بد لحسن النظم من انطباق
له على ما لاجله يساق ومن كان حين له عرفان جهات الحسن لا يتخطاها والا لم

يمتنع حمل الكلام منه على غيرها وشعري عن الحسن لذهاب كسوته ولا تدمع
ذلك من ان لا فتنات البلاغة مصوغة من الافة العظمى والبلية التي
تلك الامانات الامر اصمحة هي لغيرها مخلوقة اذا اتصل بدور كلام ابت لا
تري به الدر الثمين مستخفة لهم جهلهم مستغنا بعوق بهمة المحسنات ولا امر تما
يجد القران متفاوت القدر ارتفاعا وانحطاطا كالتي العلامة في نوعنا هذا وكن
الجهلة . والجهات المحسنة لاستعمال الخبر في موضع الطلب تكثر تارة تكون
قصد التفاؤل بالوقوع كما اذا قيل لك في الدعاء اعاذك الله من الشبهة وعصمك
من الحيرة ووفقك للتقوى ليتفال بلفظ المضي على عدها من الامور الحاصلة
التي حقها الاخبار عنها بافعال ماضية وانه نوع مستحسن الاعتبار ولله
اذا حسن اعتبار ما هو ابعد كما يا الكتاب في حق المحجوب لفظ اسمها
وما هو البعد وابعد كما اهل الظرف اهدات الشوحل الى الاجنة لاشتمال
اسمه اذا سمي بالعربية سفرجل على ما لك بالقرب وهل خلع هرون على كاتبه
اذ سأله عن شيء فقال لا وايد الله امير المؤمنين الا لانه لم يسمع ما عليه الاعتبار
فيما بينهم من لا ايدك الله بترك الواو او غير هرون حين خرج الى ما جنة لمطالعة
عمارتها وقد تراءت له في طريقه شجرة من بعيد فسال عنها كاتبا بصحبته فقال
الكاتب شجرة الوفاق تفاديا من لفظ الخلاف فكساه او نزى ذلك لغير ما
نحن فيه او هل حين غضب الداعي على شاعر في مقابل الفرير حين امتنع
موعد احبابك للفرقة غدا غصبه شي غير معنى التفاؤل حتى قال له موعد
احبابك بالعمى ولك المثل للشي وامر باخراجه وهل تسمية العرب الفلاة
مفازة والعطشان ناهلا واللديغ سليما وما شاكل ذلك الا من باب
التفاؤل فالمفازة هي المنجاة والناهل هو الريان والسليم هو ذو السلامة

وتارة

وتارة لاظهار الحرص في وقوعه فالطالب متى تبالغ حرصه فيما يطلب ربما
انتقشت في الخيال صورته لكثرة ما يناجي به نفسه فيخيل اليه غير الحاصل
حاصلا حتى اذا احكم الحس بخلافه غلطه تارة ولستخرج له محملا آخر وعليه
قول شيخ المعرة   ما سرت الا وطيف منك يصحبني سرى امامي وتأويبا على اثري
يقول لكثرة ما ناجيت نفسي بك انتقشت في خيالي فاعدك بين يدي مغلطا للبصر
بعلة الظلام اذا المراد رحلت ليلا امامي واعدك خلفي اذا المرتبسترلي مغلطته
حين لا ابدو بك بين يدي نهارا وتارة لقصد الكناية كقول العبد للمولى اذا حول
عنه الوجه ينظر المولى الي ساعة وجد حسنه اما نفس الكناية ان ثبت
واما الاحتراز عن صورة الامر واما هما وتارة لحمل المخاطب على المذكور ابلغ حمل
بالطف وجه كما اذا سمعت من لا يحب ان ينسب الى الكذب يقول لك تاتيني غدا
او لا تاتيني وتارة مناسبات اخر فتأملها ففيها كثرة وما من آي القرآن
واردة على هذا الاسلوب الا ومدارها على شيء من هذه النكت
قال تعالى واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون في موضع لا تعبدوا واذ
اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم موضع لا تسفكوا يا ايها الذين امنوا هل
ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في
سبيل الله في موضع آمنوا وجاهدوا فانظر من هذا القبيل قول كل من نزل
من البلغاء في الاستعطاء رحمه الله او يرحمه ومن الجهات المحسنة لايراد
الطلب في مقام الخبر اظهار معنى الرضى بوقوع الداخل تحت لفظ الطلب
اظهارا الى درجة كان المرضي مطلوب كقوله كثير
اسيئي بنا او احسني لا ملومة   فذكر لفظ الامر بالاساءة ثم عطف عليه
بلفظ او الامر بضد الاساءة ليستدل بذلك على انه ليس المراد بالامر الايجاب

المانع عن الترك لكن المراد هو الاباحة التي لا تنافي تخيير المخاطب بين ان تفعل وبين ان لا تفعل
فاعلا كل ذلك لتوخي اظهار مزيد الرضى باي ما اخترت في حقه من الاساءة او
الاحسان او توخي اظهار نفي ان يتفاوت جوابه بتفاوته وقوعا وعدما وقوع كما
تقول صم او لا تصم فاني لا اترك الصيام توهم مخاطب انك تطلب منه ان يقوم
وينظر في حالك او لا يصوم وينظر ليتبين ثباتك على الصيام مما هو او لم يقم وعليه
قوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله
لهم وكذا قوله انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم وما شاكل ذلك من لطائف
الاعتبارات والامر في باب التعجب من نحو اكرم بزيد على قول من يقول انه بمعنى
المتهر آخذا هزيئة من قبيل ذي كذي جاعلا الباء زايدة مثلها في كفى بالله مخرط
في هذا المسلك ولهذا النوع اعني اخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر اساليب
متفننة اذ ما من مقتضى كلام ظاهري الا ولهذا النوع اعني اخراج الكلام
لا على مقتضى الظاهر مدخل فيه بجهة من جهات البلاغة على ما ننبه على ذلك
مدا عنينا بشان هذه الصناعة ونرشد اليه تارة بالتصريح وتارات
بالفحوى ولكل من تلك الاساليب عرق في البلاغة يتشرب من افانين سحرها
ولا كالاسلوب الحكيم فيها وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقب كما قال

اتت تشتكي عندي مزاولة القرى ... وقد رات الضيفان ينحون منزلي

فقلت كاني ما سمعت كلامها ... هم الضيف جدي في قراهم وعجلي

او السائل بغير ما يتطلب كما قال تعالى يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت
للناس والحج قالوا في السؤال ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يتزايد
قليلا قليلا حتى يمتلي ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا فاجيبوا بما
بما ترى وكما قال يسألونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين

...كين وابن السبيل سألوا عن بيان ما ينفقون فاجيبوا
...ان السائل منزلة سؤال غير سؤاله لتوخي التنبيه له
...موضع سؤال هو الاليق بحاله ان يسال عنه او الاهم له
...لوب الحكيم لربما صادف المقام فحرك من نشاط السامع
...رة في معرض المشي وهل الان شكيمة المحتاج لذلك
...ى انه ان يحسن على ان يسمى غير ان سحره بعد الاسلوب
...قوله لاحملنك على الادهم فقال مثل الامير حمل
...درا وعيده في معرض الوعد ومتوصلا ان يريه بالطف وجه
...امره المطاعة خليق بان يصفد لا ان يصفد وان يبعد
...خر كلامنا الان في علم المعاني متنقلين عنه الى علم البيان
...ادا قضينا الوطر من ايراد ما انتهى لما نحن له استانفنا الاخذ
...المراد منها بحسب المقامات انشاء الله تعالى

علم البيان

والخوض فيه يستدعي تمهيد قاعدة
...الواحد بطرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه
...صعبة غير ممكن فانك اذا اردت تشبيه الخد بالورد
...تشبيه الورد في الحمرة امتنع ان يكون كلام مؤد لهذا
...اكمل منه في الوضوح او انقص فانك اذا اقمت مقام كل
...سمع ان كان عالما بكونها موضوعة لتلك المعاني كان
...م غير تفاوت في الوضوح والا لم يفهم شيئا اصلا وانما
...لية مثل ان يكون لشيء تعلق باخر ولثان وثالث
...منها الى المتعلق به فمتى تفاوتت تلك الدلالة في وضوح

المانع عن الترك لكن المراد هو الاباحة التي لا تنافي تخيير المخا
فاعلا كل ذلك لتوخي اظهار مزيد الرضى باي ما اختارت
الاحسان ان توخي اظهار نفي ان يتفاوت جوابه يتفاوته
تقول صم او لا تصم فاني لا اترك الصيام توهم من تخاطب انك
وينتظر في حالك او لا يصوم وينتظر لينتش بانك على القبا
قوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم
لهم وكذا قوله انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم وما
الاعتبارات والامر في باب التعجب من نحو اكرم بزيد
المنهي احدا هو من قبيل ذي كذي جاعلا النار رابة
في هذا المسلك ولهذا النوع اعني اخراج الكلام لا على
متنبئة اذ ما من مقتضى كلام ظاهر الا ولهذا النوع
لا على مقتضى الظاهر مدخل فيه بجهة من جهات البلاغة
منه اعتنا
مداعتنينا ببيان هذه الصناعة ونرشد اليه
بالتحري ولكل من تلك الاساليب عرق في البلاغة يتش
ولا كالاسلوب الحكيم فيها وهو تلقي المخاطب بغير
ان تستكلي عندي منزاولة الفهي وقد رأت الصنيع
فقلت كانما سمعت كلاما هي الصنيع جدي في
او السائل بغير ما يتطلب كما قال تعالى يسألونك عن
للناس والحج ما بال الهلال يبدو ا
فليلا قليلا حتى يمتلي ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى
بما ترى وكما قال يسألونك ماذا ينفقون قل ما ا

ـاكين وابن السبيل سألوا عن بيان ما ينفقون فأجيبوا
وان السائل منزلة سؤال غير سؤاله لتوخي التنبيه له
ن موضع سؤال هو الىق بحاله ان يسأل عنه او اهم له
سلوب الحكيم لربما صادف المقام محركا من نشاط السامع
ـرة في معرض المتجي وهل الان شكيمة الحجاج لذلك
أن آثار ان يحسن على ان يسيء غير ان سحره بهذا الاسلوب
قوله لاحملنك على الادهم فقال مثل الامير حمل
ـيرا وعيده في معرض الوعد ومتوصلا ان يريه بالطف وجه
امره المطاعة خليق بان يصفد لا ان يصفد وان يبعد
خر كلامنا الان في علم المعاني متنقلين عنه الى علم البيان
ي اذا قضينا الوطر من ايراد تأسيسه لما نحن له اسنا نفينا الوحد
المراد منهما بحسب المقامات ان شاء الله تعالى

علم البيان

والخوض فيه يستدعي تمهيد قاعدة
الواحد بطرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه
معينة غير ممكن فانك اذا اردت تشبيه الخد بالورد
تشبيه الورد في الحمرة امتنع ان يكون كلام مؤد لهذا
اكمل منه في الوضوح او انقص فانك اذا اقمت مقام كل
سامع ان كان عالما بكونها موضوعة لتلك المعرفة مات كان
مرغير متفاوت في الوضوح والامر بينهم سنا ايضا وانما
عقلية مثل ان يكون لشيء تعلق باخر ولثان وثالث
منها الى المتعلق به فمتى تفاوتت تلك الاثار في وضوح

المانع عن الترك لكن المراد هو الاباحة التي لا تنافي تخيير ...
فاعلا كل فعل لتوخي اظهار مزيد الرضى باي ما اختار ...
الاحسان او توخي اظهار نفي ان يتفاوت جوابه بتفاو...
تقول صم او لا تصم فانه لا اترك الصيام توهم من خاطب...
وينظر في حالك او لا يصوم وينظر ليتبين بنائك على ال...
قوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر ...
لهم وكذا قوله انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم ...
الاعتبارات والامر في باب التعجب من نحو اكرم بز...
المنهم آخذا اهبته من قبيل ذي كدي جاعلا الثار ...
في هذا المسلك ولهذا النوع اعني اخراج الكلام لا ...
متفننة اذ ما من مقتضى كلام ظاهري الا ولهذا ال...
لا على مقتضى الظاهر مدخل فيه بجهة من جهات البلا...
مداعبتنا بشاذ هذه الصناعة وترشدنا اليه ...
بالنحوي ولكل من تلك الاساليب عرق في البلاغة ...
ولا كالاسلوب الحكيم فيها وهو تلقي المخاطب بغ...
انه تشتكي عندي مزاولة الغربي وقد رأت الص...
فقلت كاني ما سمعت كلامها هم الضيف جدي في ...
او السائل بغير ما يتطلب كما قال تعالى يسألونك ع...
للناس والحج قالوا في السؤال ما بال الهلال يبدو ...
قليلا قليلا حتى يمتلي ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى ...
كما بدي وكما قال يسألونك ماذا ينفقون قل ما

والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل سألوا عن بيان ما ينفقون فاجيبوا
ببيان المصرف تنزيلا لسؤال السائل منزلة سؤال غير سؤاله لتوخي التنبيه له
بالطف وجه على تعديه عن موضع سؤال هو اليق بحاله ان يسأل عنه او اهم له
اذا تأمل وان هذا الاسلوب الحكيم لربما صادف المقام فحرك من نشاط السامع
ما سلبه حكم الوقور وابرزه في معرض المسحور وهل الان شكيمة الحجاج لذلك
الخارجي وسل سخيمته حتى آثر ان يحسن على ان يسئ غير ان سحره بهذا الاسلوب
اذ توعده الحجاج بالقيد في قوله لاحملنك على الادهم فقال متغابيا مثل الامير حمل
على الادهم والاشهب مبرزا وعيده في معرض الوعد ومتوصلا ان يريه بالطف وجه
ان امرأ امثاله في مسند الامرة المطاعة خليق بان يصفد لا ان يصفد وان يعد
لا ان يوعد ولكن هذا آخر كلامنا الان في علم المعاني منتقلين عنه الى علم البيان
بتوفيق الله تعالى وعونه حتى اذا قضينا الوطر من ايراد تأسيه لما نحن له اسسنا تفننا الاخذ
في التعرض للعلمين لتتميم المراد منهما بحسب المقامات انشاء الله تعالى

الفصل الثاني في علم البيان

والخوض فيه يستدعي تمهيد قاعدة
وهي ان محاولة ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه
والنقصان بالدلالات الوضعية غير ممكن فانك اذا اردت تشبيه الخد بالورد
في الحمرة مثلا وقلت خد يشبه الورد في الحمرة امتنع ان يكون كلام مؤد لهذا
المعنى بالدلالة الوضعية اكمل منه في الوضوح او انقص فانك اذا اقمت مقام كل
كلمة منها ما يرادفها فالسامع ان كان عالما بكونها موضوعة لتلك المفهومات كان
فهمه منها لمفهومه من تلك من غير تفاوت في الوضوح والا لم يفهم شيئا اصلا وانما
يكون ذلك في الدلالات العقلية مثل ان يكون لشيء تعلق باخر ولثان وثالث
فاذا اريد التوصل بواحد منها الى المتعلق به فمتى تفاوتت تلك العلائق في وضوح

التعلق وخفائه صح في طريق افادته الوضوح والخفاء واذا عرفت هذا عرفت انه يجب
بعلم البيان له فضل احتياج الى التعرض لانواع دلالات الكلام فاقول
لا شبهة في ان اللفظ متى كانت موضوعة لمفهوم امكن ان تدل عليه من غير زيادة ولا نقصان
بحكم الوضع وتسمى دلالة المطابقة ودلالة وضعية ومتى كان لمفهوم ذلك
ولنسمه اصليا تعلق بمفهوم آخر امكن ان تدل عليه بوساطة ذلك التعلق بحكم
العقل سواء كان ذلك المفهوم الآخر داخلا في مفهوم الاصلي كالسقف في مفهوم
البيت وتسمى هذه دلالة التضمن ودلالة عقلية ايضا او خارجا عنه كالحائط عن
مفهوم السقف وتسمى هذه دلالة الالتزام ودلالة عقلية ايضا ولا يجب في ذلك
التعلق ان يكون مما يثبته العقل بل ان كان مما يثبته اعتقاد المخاطب اما لعرف
او لغير عرف امكن المتكلم ان يطمع من مخاطبه في صحته ان ينتقل ذهنه من المفهوم
الاصلي الى الآخر بوساطة ذلك التعلق بينهما في اعتقاده واذا عرفت ان ايراد
المعنى الواحد على صور مختلفة لا يتأتى الا في الدلالات العقلية وهي الانتقال من
معنى الى معنى بسبب علاقة بينهما كلزوم احدهما الآخر بوجه من الوجوه ظهر لك
ان علم البيان مرجعه اعتبار الملازمات بين المعاني ثم اذا عرفت ان اللزوم
اذا تصور بين الشيئين فاما ان يكون من الجانبين كالذي بين الامام والخلف بحكم العقل
او بين طول القامة وطول النجاد بحكم الاعتقاد او من جانب واحد كالذي بين العلم
والحيوة بحكم العقل او بين الاسد والجرأة بحكم الاعتقاد ظهر لك ان مرجع علم البيان
اعتبار هاتين الجهتين جهة الانتقال من ملزوم الى لازم وجهة الانتقال من لازم الى
ملزوم ولا يريبك ظاهر الانتقال من احد لازمي الشيء الى الآخر مثلهما اذا انتقل من بياض
الثلج الى البرودة فمرجعه ما ذكر تنتقل من البياض الى الثلج ثم من الثلج الى البرودة
فتأمل واذا ظهر لك ان مرجع علم البيان هاتان الجهتان علمت ان انصباب

علم

السابق الى التعرض للمجاز والكناية فان المجاز ينتقل فيه من الملزوم الى اللازم كما
تقول رعينا الغيث والمراد لازمه وهو النبت وقد سبق ان اللزوم لا يجب ان يكون
عقليا بل ان كان اعتقاديا اما لعرف او لغير عرف صح البناء عليه واما نحو
امطرت السماء نباتا اي غيثا من المجازات المنتقل فيها عن اللازم الى الملزوم فمنخرط في
سلك رعينا الغيث وفضل ترجيح المجاز على الحقيقة والكناية على التصريح
اذا انتهينا اليه نطلعك على كيفية انخراطه في سلكه باذن الله تعالى والمطلوب
بهذا التكلف هو الضبط فاعلم وان الكناية ينتقل فيها من اللازم الى الملزوم كما تقول
فلان طويل النجاد والمراد طول القامة الذي هو ملزوم طول النجاد فلا يصار الى جعل
النجاد طويلا او قصيرا الا لكون القامة طويلة او قصيرة ولا علينا ان نتخذهما اصلين
واذ لا يخفى ان طريق الانتقال من الملزوم الى اللازم طريق واضح بنفسه ووضوح طريق
الانتقال من اللازم الى الملزوم انما هو بالغير وهو العلم بكون اللازم مساويا للملزوم
او اخص منه فلا عتب في تأخير الكناية للتوقف بالنظر الى هذه الجهة نازلة من المجاز منزلة
المركب من المفرد ثم ان المجاز اعني الاستعارة من حيث انها من فروع التشبيه كما
ستقف عليه لا يتحقق بمجرد حصول الانتقال من الملزوم الى اللازم بل لا بد فيها
من تقدمة تشبيه شيء بذلك الملزوم في لازم له تستدعي تقديم التعرض للتشبيه
فلا بد من ان نأخذه اصلا ثالثا ونقدمه وهو الذي اذا مهرت فيه
ملكت زمام التدرب في فنون السحر البياني

الأصل الأول

من علم البيان في الكلام في التشبيه لا يخفى عليك ان التشبيه مستدع طرفين
مشبها ومشبها به واشتراكا بينهما من وجه وافتراقا من آخر مثل ان يشتركا
في الحقيقة ويختلفا في الصفة او بالعكس فالاول كالانسانين اذا اختلفا صفة طولا
وقصرا والثاني كالطويلين اذا اختلفا حقيقة انسانا وفرسا والا فانت خبير

بان ارتفاع الاختلاف من جميع الوجوه حتى التعيين يابى التعدد فيبطل التشبيه
لان تشبيه الشيء لا يكون الا وصفا له بمشاركته المشبه به في امر والشيء لا
يتصف بنفسه كما ان عدم الاشتراك بين الشيئين في وجه من الوجوه يمنعك
من محاولة التشبيه بينهما لرجوعه الى طلب الوصف حيث لا وصف وان
التشبيه لا يصار اليه الا لغرض وان حاله يتفاوت بين القرب والبعد وبين
القبول والرد هذا القدر لا يحوج الى فضل نظر انما المحوج هو تفصيل **المجمل**
الداخل في مضمونه وهو طرفا التشبيه ووجه التشبيه والغرض في التشبيه
واحوال التشبيه كونه قريبا او غريبا مقبولا او مردودا فظهر من هذا ان
لا بد من النظر في هذه المطالب الاربعة فلنسوق عنه اربعة انواع

النوع الاول

النظر في طرفي التشبيه المشبه والمشبه به اما ان يكونا مستندين الى
الحس كالخد عند التشبيه بالورد في المبصرات او كالاطيط عند التشبيه
بصوت الفراريج في المسموعات وكالنكهة عند التشبيه بالعنبر في المشمومات
وكالريق عند التشبيه بالخمر في المذوقات وكالجلد الناعم عند التشبيه بالحرير
في الملموسات واما ما يستند الى الخيال كالشقيق عند التشبيه باعلام ياقوت
منشرة على رماح من الزبرجد فهي في حكم المحسوسات ملحقة تقليلا للاعتبار وتسهيلا
على المتعاطي واما ان يكونا مستندين الى العقل كالعلم اذا شبه بالحياة واما
ان يكون المشبه معقولا والمشبه به محسوسا كالعدل اذا شبه بالقسطاس
وكالمنية اذا شبهت بالسبع وكحال من الاحوال اذا شبه بناطق او بالعكس من ذلك
كالعطر اذا شبه بخلق كريم واما الوهميات المحضة كما اذا قدرنا صورة وهيئة
محضة مع المنية مثلا ثم شبهناها بالمخالب او بالناب المحققين فقلنا انياب
المنية ولانا نسمي هو لها شبيه بالمخالب او بشيء هو لها شبيه بالناب لا مع
الحال

الحال ثم شبهناها باللسان فقلنا نطقت الحال بشيء هو لها شبيه باللسان
فلحقت بالعقليات وكذا الوجدانيات كاللذة والالم والشبع والجوع فاعرفه

النوع الثاني

النظر في وجه التشبيه لما انحصر التشبيه بين ان يكون
الاشتراك بالحقيقة والافتراق بالصفة تارة مثل جسمين ابيض واسود وكذا مثل
انف ومرسن فهما مشتركان بالحقيقة وهي العضو المعلوم وانما يفترقان باتصاف
احدهما بالاختصاص بالانسان واتصاف الاخر بالاختصاص بالمرسونات وما جرى مجراها
من مشفر وجحفلة ورجل وحافر وبين ان يكون الاشتراك بالصفة والافتراق
بالحقيقة اخرى مثل طويلين جسم وخط والوصف حين انحصر بين ان يكون
مستندا الى الحس كالكيفيات الجسمانية مثل الاتصاف بما يدرك بالبصر من الالوان
والاشكال والمقادير والحركات وما يتصل بها من الحسن والقبح وغير ذلك
او بما يدرك بالسمع من الاصوات الضعيفة او القوية او التي بين بين او بما يدرك
بالذوق من انواع المطعوم او بما يدرك بالشم من انواع الروائح او بما يدرك باللمس
من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والخشونة والملاسة واللين
والصلابة ومن الخفة والثقل وما ينضاف اليها وبين ان يكون مستندا الى العقل
والعقلي ايضا لما انحصر بين حقيقي كالكيفيات النفسانية مثل الاتصاف
بالذكاء والتيقظ والمعرفة والعلم والقدرة والكرم والسخاء والحلم والغضب
وما جرى مجراها من الغرائز والاخلاق وبين اعتباري ونسبي كاتصاف الشيء
بكونه مطلوب الوجود او العدم عند النفس او بكونه مطموعا فيه او بعيدا
عن الطمع او بشيء تصوري وهمي محض ومن المعلوم عندك ان الحقائق منقسمة
الى بسائط وذوات اجزاء مختلفة وان في الصفات ما مرجعها امر واحد وما
مرجعها الكثرة ظهر لك مما ذكر ان وجه التشبيه يحتمل ان يتفاوت فنقول

اي ولا يحوج عليك

جواب لما اعم التشبيه

وبالله التوفيق وجه التشبيه اما ان يكون امرا واحدا او غير واحد وغير
الواحد اما ان يكون في حكم الواحد لكونه اما حقيقة ملتئمة واما اوصافا
مقصودا من مجموعها هيئة واحدة او لا يكون في حكم الواحد فهذه اقسام
ثلاثة اما الاول فاما ان يكون حسيا او عقليا ولا بد في الحسي من
ان يكون طرفاه حسيين لامتناع ادراك الحس من غير المحسوس جهة دون العقلي
فانه يعم انواع الطرفين الاربعة المذكورة لصحة ادراك العقل من المحسوس جهة
ولذلك تسمع علماء هذا الفن رضوان الله عليهم يقولون التشبيه بالوجه العقلي
اعم من التشبيه بالوجه الحسي فالحسي كالخد اذا شبه بالورد بالحمرة
وكالصوت الضعيف اذا شبه بالهمس في الخفاء وكالنكهة اذا شبهت بالعنبر
في طيب الرائحة وكالريق اذا شبه بالخمر في لذة الطعم على زعم القوم ۵
وكالجلد الناعم اذا شبه بالحرير في لين المس وههنا نكتة لا بد من التنبيه لها
وهي ان التحقيق في وجه التشبيه يأبى ان يكون غير عقلي وذلك انه
متى كان حسيا وقد عرفت انه يجب ان يكون موجودا في الطرفين وكل
موجود فله تعين فوجه التشبيه مع المشبه متعين فيمتنع ان يكون هو
بعينه موجودا مع المشبه به لامتناع حصول المحسوس المتعين ههنا مع
كونه بعينه هناك بحكم ضرورة العقل وبحكم التشبيه على امتناعه ان يثبت
وهو التزامه اذا عد متحرمة الخد دون حمرة الورد او بالعكس كون الحمرة
معدومة موجودة معا وهكذا في اخواته بل يكون مثله مع المشبه به لان
المثلين لا يكونان شيئا واحدا ووجه الشبه بين الطرفين كاخر مشترك فيلزم
ان يكون امرا كليا ماخوذا من المثلين بتجريدهما عن التعين لكن ما هذا شانه فهو عقلي
ويمتنع ان يقال فالمراد بوجه التشبيه حصول المثلين في الطرفين فان المثلين

استلزامه

متشابهان فغيرهما وجه تشبيه فان كان عقليا كان المرجع في وجه الشبه
العقل في المآل وان كان حسيا استلزم ان يكون مع المثلين مثلان آخران
وكان الكلام فيهما كالكلام فيما سواهما ويلزم التسلسل وتمام التحقيق موضعه
علوم اخر والعقلي كوجود الشيء العديم النفع اذا شبه بعدمه في العراء
عن الفائدة او كالعلم اذا شبه بالحياة في كونهما جهتي ادراك فيما طرفاه
معقولان وكالرجل اذا شبه بالاسد في الجرأة او كاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
اذا شبهوا بالنجوم في مطلق الاهتداء بهم فيما طرفاه محسوسان وكالعلم اذا شبه
بالنور في الهداية او كالعدل اذا شبه بالقسطاس في تحصيل ما بين الزيادة
والنقصان فيما المشبه معقول والمشبه به محسوس وكالعطر اذا شبه بخلق
كريم في استطابة النفس اياهما او كالنجوم اذا شبهت بالسنن في عدم الخفاء فيما المشبه
محسوس والمشبه به معقول وفي الزهد هذه الامثلة في مغني وجدانك نتائج ما عرف

واما القسم الثاني وهو ان يكون وجه التشبيه غير واحد لكنه في حكم
الواحد فهو على نوعين اما ان يكون مستندا الى الحس كسقط النار اذا شبه بعين
الديك في الهيئة الحاصلة من الحمرة والشكل الكري والمقدار المخصوص وكالثريا اذا
شبهت بعنقود الكرم المنور في الهيئة الحاصلة من تقارن الصور البيض المستديرة
الصغار المقادير في المرأى على كيفية مخصوصة الى المقدار مخصوص وكالشاة الجبلي
اذا شبه بحمار ابتر مشقوق الشفة والحوافر نابت على راسه شجرتا غضى وكالشمس
اذا شبهت بالمرآة في كف الاشل في الهيئة التي تؤديها من الاستدارة مع
الاشراق او اذا شبهت بالبوتقة فيها ذهب ذائب كما قال

للمهلبي الوزير

والشمس من مشرقها قد بدت مشرقة ليس لها حاجب ۵
كانها بوتقة احميت يجول فيها ذهب ذائب ۵

تقارن

في الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع صفاء اللون واتصال الحركة وشبه شروخ متناوبة
المتموّج بين انبساط وانقباض وذلك لان البوتقة اذا حميت وذاب فيها الذهب
واخذ يتحرك فيها بجملته من غير غليان متشكلا بشكل البوتقة في الاستدارة
تلك الحركة العجيبة كأنه يهمّ بان ينبسط حتى ينفيض من جوانب البوتقة لما في
طبعه من النعومة ثم يبدو له فيرجع الى الانقباض لما بين اجزائه من كمال التلاحم
وقوة الاتصال والبوتقة في ضمن ذلك محيطة كانها شيء مؤدية مع الذهب الذائب
فيها الهيئة المذكورة فان الشمس اذا احدّ الانسان النظر اليها ليتبين جرمها
وجدها مؤدية للهيئتين وكوجه الشبه في قوله

كأنّ مثار النقع فوق رؤوسنا ... واسيافنا ليل تهاوى كواكبه

فليس المراد من التشبيه تشبيه النقع بالليل ثم تشبيه السيوف بالكواكب
انما المراد تشبيه الهيئة الحاصلة من النقع الاسود والسيوف البيض متفرقة
فيه بالهيئة الحاصلة من الليل المظلم والكواكب المشرقة في جوانبه وفي قوله

وكأنّ اجرام النجوم لوامعا ... درر نثرن على بساط ازرق

فليس المراد تشبيه النجوم بالدرر ثم تشبيه السماء بالبساط الازرق
انما المراد تشبيه الهيئة الحاصلة من النجوم البيض المتلألئة في جوانب من
اديم السماء الملعية فيها عن الزرقة الصافية بالهيئة الحاصلة المنتظمة
من درر منثورة على بساط ازرق دون شيء آخر مناسب للدرر في الحسن والقيمة
وفي قوله كأنما المريخ والمشتري ... قدامه في شامخ الرفعة

منصرف بالليل عن دعوة ... قد اسرجت قدامه شمعة

فالمراد ايضا تشبيه الهيئة الحاصلة من المريخ والمشتري قدامه بالهيئة الحاصلة
من المنصرف عن الدعوة منسرج الشمع من حوله وسمّي امثال ما ذكر من الابيات
تشبيه

تشبيه المركب بالمركب والمذكور قبله تشبيه المفرد بالمفرد وهذا من آلة فضل احتياج
الى سلامة الطبع وصفاء القريحة فليس الحاكم في تمييز التباين اذا التبس احدهما
بالآخر سوى ذلك ومن تشبيه المفرد قوله كأنّ قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها
العناب والحشف البالي ه واما ان يكون مستندا الى العقل كما اذا استبهت اعمال
الدنيا بالسراب في المنظر المطمع مع المخبر الموئس وكما اذا استبهت اعمال الكفرة
الحسناء من منبت السوء بخضراء الدمن في حسن المنظر المنضم الى سوء المخبر والتعري
عن اثمار خير او الجماعة المتناسبة في الخصال الممتنعة للدلالة عن تعيين ما فضل
بينهم ومفضول بالحلقة المفرغة الممتنعة عن تعيين بعضها طرفا وبعضها وسطا
واما القسم الثالث وهو ان لا يكون وجه التشبيه امرا واحدا ولا
منزلا منزلة الواحد فهو على اقسام ثلاثة ان تكون تلك الامور حسية
او عقلية او البعض حسيا والبعض عقليا فالاول كما اذا شبهت فاكهة باخرى
في لون وطعم ورائحة والثاني كما اذا شبهت بعض الطيور بالغراب في حدة النظر
وكمال الحذر واخفاء السفاد والثالث كما اذا شبهت انسانا بالشمس في حسن
الطلعة ونباهة الشأن وعلو الرتبة واعلم انه ليس بملتزم فيما بين
اصحاب علم البيان ان يتكلفوا التصريح بوجه التشبيه على ما هو به بل قد يذكرون
على سبيل التسامح ما اذا امعنت فيه النظر لم تجده الا شيئا مستتبعا لما يكون وجه
التشبيه في المآل فلا بد من التنبيه عليه من ذلك قولهم في الالفاظ اذا وجدوها
لا تثقل على اللسان ولا تلتذ به بتنافر حروفها او تكرارها ولا تكون غريبة وحشية
تستنكر لكونها غير مألوفة ولا مما تشتبه معانيها وتستغلق فتصعب الوقوف
عليها فتشمئز عنها النفس هي كالعسل في الحلاوة وكالماء في السلاسة وكالنسيم
في الرقة وقولهم في الحجة المطلوب بها قالع الشبه متى صادفوها معلومة الاجزاء

تعقيد التأليف فطعمه الاستلزام هي كالشمس في الظهور فيذكرون الحلاوة
والسلاسة والرقة او الظهور لوجه الشبه على ان وجه الشبه في
المثال هناك شيء غيرها وهو لازم الحلاوة وهو ميل الطبع اليه ومحبة النفس
ورودها عليها ولازم السلاسة والرقة هو افادة النفس نشاطا والاهتزاز الى
الصدر انشراحا والى القلب روحا فشان النفس مع الالفاظ الموصوفة بتلك
الصفات كشانها مع العسل الشهي الذي يلذ طعمه فتهش النفس له ويميل الطبع
اليه ويحب وروده عليه او كشانها مع الماء الذي ينساغ في الحلق ويبرد به
احر اكبادا للراحة ومع النسيم الذي يسري في البدن فيتخلل المسالك اللطيفة
منه فيفيدان النفس نشاطا ويهديان الى الصدر انشراحا والى القلب روحا
ولازم الظهور وهو ازالة الحجاب فشان البصيرة مع الشبهة كشان البصر
مع الظلمة في كونهما معها كالمحجوبين وانقلاب حالها الى خلافه كما مع الحجة
اذا بهرت والشمس اذا ظهرت وتمامه هذا لا يقع الا حيث يكون بحد
التشبيه في وصف اعتباري كالذي نحن فيه واقول ______ يشبه
ان يكون توهم التحقيق في وجه التشبيه على ما سبق التشبيه عليه من تسليمهم
هذا وقد جاز بناهم عن ذلك كما ترى واعلم ان حق وجه التشبيه شموله (يعني ما ذكر في القسم الاول بهم)
الطرفين فاذا اضافه نحو والا فسد كما اذا جعلت وجه التشبيه في قولهم (الشبه)
النحو في الكلام كالملح في الطعام الصلاح باستعمالهما والفساد باهمالهما
صح لشمول هذا المعنى المشبه والمشبه به فالملح ان استعمل في الطعام صلح
الطعام والا فسد والنحو كذلك اذا استعمل في الكلام صلح الكلام وصار منتفعا
به في تفهم المراد منه واذا لم يستعمل فيه فلم يرفع الفاعل ولم ينصب المفعول فسد
لخروجه عن الانتفاع به واذا جعلت وجه التشبيه ما قد يذهب اليه ذوو النقص

من

من ان الكثير من الملح يفسد الطعام والقليل يصلحه فالنحو كذلك فسد لخروجه
اذ ذاك عن شمول الطرفين الى الاختصاص بالمشبه به فان الكثرة او القلة
انما يتصور في الملح بان يجعل القدر المصلح منه للطعام مضاعفا مثلا اما
في النحو فلا لامتناع جعل رفع الفاعل او نصب المفعول مضاعفا هذا او ربما امكن (في التقليل والتكثير)
فصحح قول المتعسفين ولكنه ليس مما يهمنا الآن

النوع الثالث

النظر في الغرض من التشبيه الغرض من التشبيه في الاغلب يكون عائدا الى المشبه
ثم قد يعود الى المشبه به فاذا كان عائدا الى المشبه فاما ان يكون لبيان
حاله كما اذا قيل لك ما لون عمامتك وقلت كلون هذه واشرت الى عمامة
لديك واما ان يكون لبيان مقدار حاله كما اذا قلت هو في سواده كحلك
الغراب (او كسواد الغراب) واما ان يكون لبيان امكان وجوده كما اذا رمت تفضيل واحد على
الجنس الى حد يوهم امتناعه عن البشرية الى نوع اشرف وانه في الظاهر كما ترى
امر كالممتنع فيبعد التشبيه لبيان امكانه فيما لا حالة كحال المسك الذي
هو بعض دم الغزال وليس يعد في الدماء لما اكتسب من الفضيلة الموجبة لخروجه
الى نوع اشرف من الدم واما ان يكون لتقوية شانه في نفس السامع وزيادة تقرير
له عنده كما اذا كنت مع صاحبك في تقرير انه لا يحصل من سعيه على طائل ثم اخذت
ترقم على الماء وقلت هل افاد رقمي على الماء نقشا ما انك في سعيك هذا كرقم
على الماء فانك تجد لتمثيلك هذا من التاثير ما لا يخفى واما ان يكون لابرازه الى
السامع في معرض التزيين او التشويه او الاستطراف وما شاكل ذلك كما
اذا شبهت وجه الاسود بمقلة الظبي اظهارا له في قالب الحسن ابتغاء تزيينه
او كما اذا شبهت وجها مجدورا بسلحة جامدة قد نقرتها الديكة اظهارا
له في صورة اشوه ارادة ازدياد القبح والتنفير او كما اذا شبهت الفحم فيه جمر

من قد يعجز من المسك موجه الذهب نقلا له عن صحة الوقوع الى امتناعه عادة
ليستطرف وللاستطراف وجه آخر وهو ان يكون المشبه به نادر الحضور
في الذهن اما في نفس الامر كالذي نحن فيه فاذا احضر استطرف لاستطراف النوادر
عند مشاهدتها واستلذ لاستلذاذها لجدتها فلكل جديد لذة واما مع حضور
المشبه في اوان الحديث فيه مثل حضور النار والكبريت مع حديث البنفسج
والرياض كما في قوله ولازوردية تزهو بزرقتها بين الرياض على حمر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بها اوائل النار في اطراف كبريت
فان صورة اتصال النار باطراف الكبريت ليشتعل مما يمكن ان يقال انها
نادرة الحضور في الذهن ندرة صورة بحر من المسك موجه الذهب وانما
النادر حضورها مع حضور البنفسج فاذا احضر احضارا مع المشبه
استطرف لمشاهدة عناق بين صورتين لا تتراءى ناراهما وهل الحكاية المعروفة
في حديث حسد جرير لعدي بن الرقاع الاعشى ما نحن فيه يحكى ان جريرا قال
انشدني عدي عرف الديار توهما فاعتادها فلما بلغ الى قوله تزجي اغن
كأن ابرة روقه رحمته وقلت قد وقع ما عساه يقول وهو اعرابي
جلف جاف فلما قال قلم اصاب من الدواة مدادها استحالت الرحمة
حسدا واما الغرض العائد الى المشبه به فمرجعه الى ايهام كونه اتم من المشبه
في وجه التشبيه كقوله وبدا الصباح كأن غرته وجه الخليفة حين يمتدح
فانه تعمد ايهام ان وجه الخليفة في الوضوح اتم من الصباح وكقوله
وكأن النجوم بين دجاها سنن لاح بينهن ابتداع
فانه حين رأى ذوي الصناعة للمعاني شبهوا الهدى والشريعة والسنن
وكل ما هو علم بالنور لجعل صاحبها في حكم من يمشي في نور الشمس فيهتدي
الى

الى الطريق المعبد ولا يتعسف فيعثر تارة على عدو وقتال ويتردى اخرى عن علو
في مهواة مهلكة وشبهوا الضلالة والبدعة وكل ما هو جهل بالظلمة لجعل
صاحبها في حكم من يخبط في الظلماء فلا يهتدي الى الطريق فلا يزال بين عثور وبين
تردد قصد في تشبيهه هذا تفضيل السنن في الوضوح على النجوم وتنزيل البدع
في الظلام فوق الدياجي وكقوله
ولقد ذكرتك والظلام كأنه يوم النوى وفؤاد من لم يعشق
فانه حين رأى الاوقات التي تحدث فيها المكاره وصفت بالسواد كقولهم
اسود النهار في عيني واظلمت الدنيا علي جعل يوم النوى كأنه اعرف
واشهر بالسواد من الظلام فشبهه به ثم عطف عليه فؤاد من لم يعشق تظرفا
فان الغزل يدعي القسوة على من لا يعرف العشق والقلب القاسي يوصف بشدة
السواد فنظمه في سلكه وكقوله
كأن انتضاء البدر من تحت غيمه نجاء من البأساء بعد وقوع
فانه حين رأى العادة جارية ان يشبه المتخلص من البأساء بالبدر الذي ينحسر
عنه الغمام قلب التشبيه ليري ان صورة النجاة من البأساء لكونها مطلوبة
فوق كل مطلوب اعرف عند الانسان من صورة انتضاء البدر من تحت غيمه
فشبه هذه بتلك وكقوله
وارض كاخلاق الكرام قطعتها وقد كحل الليل السماك فابصرا
فانه لما رأى استمرار وصف الاخلاق بالضيق والسعة تعمد تشبيه الارض
المتباعدة الاطراف الواسعة باخلاق الكرام ادعاء انها في تأدية معنى السعة
اكمل من الارض المتباعدة الاطراف ومن الامثلة ما حكى جل وعلا عن مستحلي
الربوا من قولهم انما البيع مثل الربوا في مقام انما الربوا مثل البيع لان الكلام

منزلي
لاظلام اجلاب الظلم وصيرورتها مظلمة
ايضا

في التزيين البشع ذهابًا منهم الى جعل التزيين في باب الجلال اقوى حالا وازيد
من البشع ومن الامثلة ما قال تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق لمزيد التوبيخ فيه دون ان
يقول افمن لا يخلق كمن يخلق مع اقتضاء المقام بظاهره اياه لكونه الزاما للذين
عبدوا الاوثان وسموها الهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق
وعندي ان الذي تقتضيه البلاغة القرآنية ان يكون المراد بمن لا يخلق الحي العالم
القادر من الخلق لا الاصنام وان يكون الانكار موجها الى توهم تشبيه الحي العالم
القادر من الخلق به تعالى وتقدس عن ذلك علوا كبيرا تعريضا بعين ابلغ الانكار لتشبيه
ما ليس بحي عالم قادر به تعالى ويكون قوله افلا تذكرون تنبيه توبيخ على مكان
التعريض وقوله عز وعلا ارايت من اتخذ الهه هواه بدل ارايت من اتخذ هواه
الهه مصبوب في هذا القالب فاحسن التامل ترى التقدير قد اصاب
شاكلة الرمي وانما جعلنا الغرض العائد الى المشبه به هو ما ذكرنا لان المشبه
به حقه ان يكون اعرف بجهة التشبيه من المشبه او اخص بها واقوى حالا معها
والا لم يصح ان يذكر لبيان مقدار المشبه ولا لبيان امكان وجوده ولا لزيادة
تقريره على الوجه الذي تقدم ولا لابرازه في معرض التزيين كالوجه الاسود
اذا شبهته بمقلة الظبي محاولا لتقبل استحسان سوادها الى سواد الوجه
او في معرض التشويه كالوجه المجدور اذا شبهته بسلحة جامدة قد نقرتها
الديكة ارادة مزيد استقباحها وتقززها الى جدري الوجه لامتناع تعريف
المجهول بالمجهول وتقرير الشيء بما يساويه التقرير الابلغ او معرض الاستطراف
كالفحم فيه جمر موقد اذا شبهته ببحر من المسك موجه الذهب نقلا لامتناع
وقوعه الى الواقع ليستطرف او للوجه الاخر على ما تقدم لمثل ما ذكر وربما
كان الغرض العائد الى المشبه به بيان كونه اهم عند المشبه كما اذا اشتبه لك

الى وجه كالقمر في الاشراق والاستدارة وقيل هذا الوجه يشبه ماذا
فعلت الترغيب اظهارا للاهتمام بشان الترغيب لا غير وهذا الغرض
يسمى اظهار المطلوب ولا يحسن المصير اليه الا في مقام الطمع في تسني المطلوب
كما يحكى عن الصاحب ان قاضي سجستان دخل عليه فوجد الصاحب متفننا فاخذ
يمدحه حتى قال وعالم يعرف بالسجزي واشار الى الندماء ان ينظموا على
اسلوبه ففعلوا واحدا بعد واحد الى ان انتهت النوبة الى شريف في البين فقال
اشهى الى النفس من الخبز فامر الصاحب ان تقدم له مائدة واما اذا تساوى
الطرفان المشبه والمشبه به في جهة التشبيه فالاحسن ترك التشبيه
الى التشابه ليكون كل واحد من الطرفين مشبها ومشبها به تفاديا من ترجيح احد
المتساويين ويظهر من هذا ان التشبيه اذا وقع في باب التشابه صح فيه
العكس بخلافه فيما عداه وكان حكم المشبه اذ ذاك غير مائل عليك فصح ان يقال
لون هذه العمامة كلون تلك وان يقال لون تلك كلون هذه وان يقال
بدا الصبح كغرة الفرس وبدت غرة الفرس كالصبح متى كان المراد بالتشبيه
وقوع منير في مظلم وحصول بياض في سواد مع كون البياض قليلا بالاضافة
الى السواد وان يقال بدا الصبح كغرة الفرس وبدت غرة الفرس كالصبح
متى كان المراد في الشمس كالمرآة المجلوة او كالدينار الخارج من السكة
كما قال وكان الشمس المنيرة دينار جلته حدائد الضراب
وان يقال المرآة المجلوة او الدينار الخارج من السكة كالشمس متى كان القصد
من التشبيه الى مجرد مستدير متلالئ متضمن لخصوص في اللون لكون وجه
التشبيه في جميع ذلك غير مختص باحد الطرفين زيادة اختصاص واعلم
ان التشبيه متى كان وجهه وصفا حقيقيا وكان منتزعا من عدة امور

حصل باسم التمثيل كالذي في قوله اصبر على مضض الحسود فان صبرك قاتله
فالنار تأكل نفسها ان لم تجد ما تأكله
فان تشبيه الحسود المتروك مقاولته بالنار التي لا تمد بالحطب فيسرع
فيها الفناء ليس الا في امر متوهم له وهو ما يتوهم اذا لم تأخذ معه في المقاولة
مع علمك بتطلبه اياها عسى ان يتوصل بها الى نفثة مصدور من قيامه اذ
ذاك مقام ان تمنعه ما يمد حياته ليسرع فيه الهلاك وانه كما ترى منتزع
من عدة امور وكالذي في قوله وان من ادبته في الصبى كالعود يسقى الماء في غرسه
حتى تراه مورقا ناضرا بعد الذي ابصرت من يبسه
فان تشبيه المؤدب في صباه بالعود المسقى اوان الغرس المونق باوراقه
ونضرته ليس الا فيما يلازم كونه مهذب الاخلاق مرضي السيرة حميد الفعال
لتأديه المطلوب بسبب التأديب المصادف وقته من تمام الميل اليه
وحال لسعشان حاله وانه كما ترى امر تصوري لا صفة حقيقية وهو
مع ذلك منتزع من عدة امور وكالذي في قوله عز من قائل مثلهم كمثل الذي
استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا
يبصرون فان وجه تشبيه المنافقين بالذين شبهوا بهم في الاية هو رفع
الطمع الى تسني مطلوب بسبب مباشرة اسبابه القريبة مع تعقب
الحرمان والخيبة لانقلاب الاسباب وانه امر توهمي كما ترى منتزع من
امور جمة وكالذي في قوله تعالى ايضا او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد
وبرق يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق حذر الموت عليه وحذف
مثل لما دل عليه عطفه على قوله كمثل الذي استوقد نارا اذ لا يخفى ان التشبيه
ليس بين مثل المستوقد فذين وهو صفتهم العجيبة الشان وبين حال اهل

الصيب

الصيب انما التشبيه بين صفة اولئك وبين صفة هؤلاء ونظيره قوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري
الى الله فان وقع التشبيه بين كون المؤمنين انصار الله وبين قول عيسى للحواريين
من انصاري الى الله وانما المراد كونوا انصار الله مثل كون الحواريين انصاره
وقت قول عيسى من انصاري على ان ما مقدرة مستعمل ما قال استعمال المقدر
الحاج ثم نظيره المذكور في حذف المضاف والمضاف اليه قول القائل
اسال البحار فانتحى للعقيق وقول الاخر وقد جعلتني من حزيمة اصبعا
على ما قدر الشيخ ابو علي رحمة الله عليه من اسال سقيا سحابه ومن ذا مسافة اصبع
وحذف المضافات من الكلام عند الدلالة شايع من ذلك قوله تعالى فكان قاب
قوسين او ادنى تقديره فكان مقدار مسافة قربه عليه السلام مثل قاب قوسين
وان قوله او كصيب من السماء الى الاخر تمثيل لما ان وجه التشبيه بينهم وبين
المنافقين هو انهم في المقام المطمع في حصول المطالب ونجح المآرب لا يحظون
الا بضد المطمع فيه من محض مقاساة الاهوال وانه كما ترى مما يحتاج في تقديره وكذا
الذي في قوله عز وعلا مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا
فان وجه التشبيه بين احبار اليهود الذين كلفوا العمل بما في التوراة ثم لم يعملوا
بذلك وبين الحمار الحامل للاسفار هو حرمان الانتفاع بما هو ابلغ شيء في الانتفاع به
مع الكد والتعب في استصحابه وليس بمشتبه كونه عائدا الى التوهم ومنتزعا من
عدة معان والذي نحن بصدده من الوصف غير الحقيقي احوج منظور فيه الى التامل
الصادق من ذوي بصيرة نافذة وروية ثاقبة لالتباسه في كثير من المواضع بالعقلي
الحقيقي لا سيما المعاني التي تنتزع من امور ثم ما انتزع من تلك فانه مثار الخطأ لوجوب
انتزاعه من الكل بجملته كما ابرقت قوما عطاشا غمامة فلما راوها اقشعت وتجلت

إذا أخذت تنتزع وجه التمثيل من قوله أبرقت قوماً عطاشاً غمامة فحين
تولت عن غرض الشاعر من أجل أن مغزاه أن يصل ابتداء مطمعاً بانتهاء مؤيس
وذلك يوجب انتزاع وجه التشبيه من مجموع البيت ثم إن التشبيه التمثيل
متى فشا استعماله على سبيل الاستعارة لا غير سمي مثلاً ولورود الأمثال على
سبيل الاستعارة لا تغير وسيأتيك الكلام في الاستعارة بإذن الله تعالى

النوع الرابع الكلام في أحوال التشبيه من كونه قريباً أو غريباً مقبولاً
أو مردوداً والكلام في ذلك يستدعي تمهيد أصل وأنا أذكر لك ما يرشدك
إلى كيفية سلوك الطريق هناك بتوفيق الله تعالى معدداً أعده من المتلون لك غدوة في
حر الظهر ما عسى تأخذ في طلبه من أن إدراك الشيء مجملاً أسهل من إدراكه
مفصلاً ومن أن حصول صورة شيء تكرر على الحس أقرب من حصول صورة شيء يقل
وروده على الحس وحال هذين الأصلين واضح ومن أن الشيء مع ما يناسبه أقرب
حصولاً منه مع ما لا يناسبه فالحمام مع السطل أقرب حصولاً منه مع السجل
وقد سبق تقريره في باب الفصل والوصل ومن أن استحضار الأمر الواحد أيسر
من استحضار غير الواحد وحاله أيضاً مكشوف ومن أن ميل النفس إلى الحسيات
أتم منه إلى العقليات وأعني بالحسيات ما تجرده منها بناءً على امتناع النفس
من إدراك الجزئيات على ما بنيت عليه وزيادة ميلها إلى الحسيات دون غيرها من المعقولات
لزيادة تعلقها بسبب تجريدها إياها بقوة العقل ونظمها إياها في سلك ما
عداها ولزيادة إلفها أيضاً لكثرة تأديها إليها من أجل كثرة طرقه وهي الحواس
المختلفة المؤدية إليها وإنما قيل من أن إلف النفس مع الحسيات أتم منه مع
العقليات لتقدم إدراك الحس على إدراك العقل فيه تقدير أن إدراك النفس
إنما يكون للمجردات وأن مدرك النفس غير مدرك الحس شيء كما ترى عن إفادة

المطلوب

المطلوب لمعرفة وعن عقبى المقصود بألف منزلة ومن أن النفس لما تعرف أقبل
منها لما لا تعرف لمحبة العلم طبعاً ومن أن تجدد صورة عندها أحب إليها
وألذ عندها من مشاهدة معاد وإنه من القبول بحيث يغني أن تستغاث فيه
بتلاوة الكريم من معاد ولكل جديد لذة ولعمري إن التوفيق بين حكم الإلف وبين
حكم التكرار راجع شيء إلى التأمل في الفعل لأن الإلف مع الشيء لا يحصل إلا بتكرره
على النفس ولو كان التكرار يورث الكراهة لكان المألوف أكره شيء عند النفس
وامتنع إذ ذاك نزاعها إلى المألوف والوجدان يكذب ذلك وإذ قد تقدم إليك
ما ذكرنا فنقول ـــــــ من أسباب قرب التشبيه وكونه نازل الدرجة
أن يكون وجهه أمراً واحداً كالسواد في قولك هندي كالفحم أو كالبياض في قولك
شهد كالثلج أو أن يكون المشبه به مناسباً للمشبه كما إذا شبهت الجرة
الصغيرة بالكوز أو الجرة الضخمة المستطيلة بالنخل أو العنبة الكبيرة السوداء
بالإجاصة أو أن يكون المشبه به غالب الحضور في خزانة الصور لجهة من الجهات
كما إذا شبهت الشعر الأسود بالليل أو الوجه الجميل بالبدر أو المحبوب بالروح
ومن أسباب بعده وغرابته أن يكون وجه التشبيه أموراً كثيرة كما في تشبيه
سقط النار بعين الديك أو تشبيه الثريا بعنقود الكرم المنور أو تشبيه نحو
قوله كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه ۵
أو أن يكون المشبه به بعيد المناسبة عن المشبه كالخنفساء عن الإنسان
قبل تشبيه أحدهما بالآخر في اللجاج أو البنفسج عن النار والكبريت قبل
تصور التشبيه بين الطرفين أو أن يكون المشبه به نادر الحضور في الذهن
لكونه وهمياً وهمياً كما في قوله ومسنونة زرق كأنياب أغوال ۵
أو مركباً خيالياً كما في قوله ـــــــ

وكأن محمرّ الشقيق إذا تصوّب أو تصعّد أعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد
أو منه كما عقلياً كما في قوله تعالى إنما مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط
به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت
وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً
كأن لم تغن بالأمس وكلما كان التركيب خيالياً كان أو عقلياً من أمور أكثر كان
في البعد والغرابة أقوى وأما كون التشبيه مقبولاً فالأصل فيه هو
أن يكون الشبه صحيحاً وقد تقدم معنى الصحة وأن يكون كاملاً في تحصيل
ما علق به من الغرض وأن يكون سليماً عن الابتذال مثل أن يكون المشبه به
أعرف شيء بأمر لون محسوس أو شكل أو مقدار أو غير ذلك إذا كان الغرض من
التشبيه بيان حال المشبه من جهة ذلك الأمر أو بيان مقداره على ما هو عليه
فالنفس إلى الأعرف عندها أسكن وله متى صادفته أقبل لاستئناسها به أكثر
لكن يجب في الثاني كون المشبه به مع ما ذكر على حد مقدار المشبه في وجه الشبه
لا أزيد ولا أنقص وكلما كان أدخل في السلامة من الزيادة والنقصان كان أدخل
في القبول أو مثل أن يكون المشبه به أتم محسوس في أمر حسي وهو وجه الشبه
إذا قصدت تنزيل المشبه الناقص منزلة الكامل أو قصد زيادة تقرير المشبه
عند السامع لمثل ما تقدم أو مثل أن يكون المشبه به مسلّم الحكم معروفة فيما تقصد
من وجه التشبيه إذا كان الغرض من التشبيه بيان إمكان الوجود أو محاولة التزيين
أو التشويه فقبول النفس لما تعرف فوق قبولها لما لا تعرف أو مثل أن يكون المشبه به في
التشبيه الاستطرافي نادر الحضور مع المشبه لبعد نسبته إليه فالنفس تسرع
إلى قبول نادر يطلع عليها لما تستلذه من لذة الجدة وتستميل من غرابة عن كراهة
معاده هذا وإنك متى تفطنت لأسباب قرب التشبيه وتقارب مسلكه

وكذا

وكذا الأسباب الخاطة من القبول في سلكه تفطنت لأسباب بعده وغرابته
ولأسباب رده لرداءته ولن يذهب عليك أن مقرب التشبيه متى كان أقوى
كان التشبيه أقرب وكذا مبعده متى كان أقوى كان أغرب وجرى لذلك
في شأن قبوله ورده على نحو مجراه في شأن قربه وبعده واعلم أن ليس
من الواجب في التشبيه ذكر كلمة التشبيه بل إذا قلت زيد أسد
واكتفيت بذكر الطرفين عد تشبيهاً مثله إذا قلت كأن زيداً أسد اللهم
إلا في كونه أبلغ ولا ذكر المشبه لفظاً بل إذا كان محذوفاً مثله إذا قلت أسد
وأنت تستجاعلا المشبه به خبراً مفتقراً إلى المبتدأ لكن تقصر المسافة بين
الملفوظ به في الكلام والمحذوف منه بتشبيه يطلب في قوة الإفادة وإنما الواجب
في التشبيه إذا ترك المشبه أن لا يكون منصوباً بما عنده صريحاً مثله إذا
قلت عندي أسد أو رأيت أسداً أو نظرت إلى أسد فإنه لا يعد تشبيهاً
وشأنك بيان حاله وإنما يعد نحو زيد أسد ونحوه المحذوف المبتدأ تشبيهاً
لأنك حين أوقعت أسداً وهو مفرد غير جملة خبراً لزيد أسندته على أن يكون
هو إياه مثله في زيد منطلق في أن الذي هو زيد هو بعينه منطلق وإلا كان
زيد أسد مجرد تعديد نحو جبل فرس لا إسناداً لكن العقل يأبى أن يكون
الذي هو إنسان هو بعينه أسد فيلزم لامتناع جعل اسم الجنس وصفاً
حتى يصح إسناده إلى المبتدأ المصير إلى التشبيه بحذف كلمته قصداً
إلى المبالغة وإذا عرفت أن وجود طرفي التشبيه يمنع عن حمل الكلام على
غير التشبيه عرفت أن فقد كلمة التشبيه لا يؤثر إلا في الظاهر وعرفت
أن نحو رأيت بفلان أسداً ولقيني منه أسد وهو أسد في صورة إنسان
وإذا نظرت إليه لم تر إلا أسداً وإن رأيته عرفت جبهة الأسد ولئن

لقيته ليلقينك منه الاسد وان اردت اسداً فعليك بفلان وانما هو اسد
وليس هو آدمياً بل هو اسد حل للتشبيهات لا وقف الا في شأن المبالغة
فالخيط الابيض والخيط الاسود بعد ان ~~من باب التشبيه~~ في قوله تعالى حتى
يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود بعد ان من باب التشبيه حيث
بينا بقوله من الفجر ولولا ذلك لكانا من باب الاستعارة والحاصل من مراتب
التشبيه ثمان احدها ذكر الاركان الاربعة وهي المشبه والمشبه به
وكلمة التشبيه ووجه التشبيه كقولك زيد كالاسد في الشجاعة ولا
قوة لهذه المرتبة وثانيها ترك المشبه كقولك كالاسد في الشجاعة
وهي كالاولى في عدم القوة وثالثها ترك كلمة التشبيه كقولك زيد اسد في
الشجاعة وفيها نوع قوة ورابعها ترك المشبه وكلمة التشبيه كقولك اسد
في الشجاعة في موضع الخبر عن زيد وهي كالثالثة في القوة وخامسها ترك وجه الشبه
كقولك زيد كالاسد وهي ايضاً قوية لعموم وجه الشبه وسادسها ترك
المشبه ووجه الشبه كقولك كالاسد في موضع الخبر عن زيد وحكمها كحكم
الخامسة وسابعها ترك كلمة التشبيه ووجه الشبه في الذكر كقولك
زيد اسد وهي اقوى الكل وثامنها افراد المشبه به في الذكر كقولك اسد
في الخبر عن زيد وهي كالسابعة واعلم ان الشبه قد ينتزع من نفس التضاد
نظراً الى اشتراك الضدين فيه من حيث اتصاف كل واحد منهما بالمضادة للآخر
ثم ينزل منزلة شبه التناسب بواسطة تمليح او تهكم فيقال للجبان ما اشبهه
بالاسد وللبخيل انه حاتم ثان

الاصل الثاني من علم البيان في المجاز

ويتضمن التعرض للحقيقة والكلام في ذلك مفتقر الى تقديم التعرض لوجه
دلالات الكلم على معانيها ولمعنى الوضع والواضع فمن المعلوم ان

دلالة

دلالة اللفظ على مسمى دون مسمى مع استواء نسبته اليهما ممتنع فيلزم الاختصاص
باحدهما ضرورة والاختصاص لكونه امراً ممكناً يستدعي في تحققه مؤثراً مخصصاً
وذلك المخصص بحكم التقسيم اما الذات او غيرها وغيرها اما الله تعالى وتقدس
او غيره ثم ان في السلف من يحكى عنه اختيار الاول وفيهم من اختار الثاني وفيهم
من اختار الثالث واطبق المتأخرون على فساد الرأي الاول ولعمري
انه فاسد فان دلالة اللفظ على مسمى لو كانت لذاته كدلالته على اللافظ
وانك لتعلم ان ما بالذات لا يزول بالغير لكان يمتنع نقله الى المجاز وكذا
الى جعله علماً ولو كانت دلالته ذاتية لكان يجب امتناع ان لا تدلنا على
معاني الهندية كلماتها وجوب امتناع ان لا تدل على اللافظ لامتناع انفكاك
الدليل عن المدلول ولكان يمتنع اشتراك اللفظ بين متنافيين كالناهل
للعطشان والريان على ما تسمعه من الاصحاب لا مني لما تقدم لي ان ذكرت
وكالجون للاسود والابيض وكالقرء للحيض والطهر وامثالها لاستلزامه ثبوت المعنى
مع انتفائه متى قلت هو ناهل او جون ووجوه فساده اظهر من ان تخفى
واكثر من ان تحصى ما دام محمولاً على الظاهر ولكن الذي يدور في خلدي منه
انه رمز وكأنه تنبيه على ما عليه ائمة علمي الاشتقاق والتصريف ان للحروف
في انفسها خواص بها تختلف كالجهر والهمس والشدة والرخاوة والتوسط بينهما
وغير ذلك مستدعية في حق المحيط بها علماً ان لا يسوي بينها واذا اخذ
في تعيين شيء منها لمعنى ان لا يهمل التناسب بينهما قضاء لحق الحكمة مثل ما
ترى في الفصم بالفاء الذي هو حرف رخو لكسر الشيء من غير ان يبين والقصم
بالقاف الذي هو حرف شديد لكسر الشيء حتى يبين وفي الثلم بالميم الذي
هو حرف ما ينبني للخلل في الجدار والثلب بالباء الذي هو شديد للخلل في

العرض وفي الزفير بالفاء لصوت الحمار وفي الزئير بالهمزة الذي هو شديد الصوت
الاسد وما شاكل ذلك وان التركيبات كالفعلان والفعلى بتحريك العين فيهما
مثل النزوان والحيدى وفعل مثل شرف وغير ذلك خواص ايضا فيلزم فيها
ما يلزم في الحروف وفي ذلك نوع تأثير لانفس الكلم في اختصاصها بالمعاني هذا والحق
بعد اما التوقيف والالهام فقولا بان المخصص هو الله تعالى وتقدس واما الوضع
والاصطلاح فقولا باسناد التخصيص الى العقلاء والمرجع بالاخرة فيهما الى واحد
وهو الوضع لكن الواضع اما الله عز وجل واما غيره فالوضع عبارة عن تعيين اللفظ
بازاء معنى بنفسها وقولي بنفسها احتراز عن المجاز اذا عينته بازاء ما اردته بقرينة
فان ذلك التعيين لا يسمى وضعا واذا عرفت ان دلالة الكلمة على المعنى موقوفة
على الوضع وان الوضع تعيين الكلمة بازاء معنى بنفسها وعندك علم ان دلالة معنى
على معنى غير ممتنعة عرفت صحة ان تستعمل الكلمة مطلوبا بها نفسها تارة معناها
الذي هي موضوعة له ومطلوبا بها اخرى معنى معناها بمعونة قرينة وتسمى الكلمة
الكلمة حقيقة ومجازا على ذا فالحقيقة هي الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة
له من غير تأويل في الوضع كاستعمال الاسد في الهيكل المخصوص فلفظ الاسد موضوع
له بالتحقيق ولا تأويل فيه وانما ذكرت هذا القيد ليحترز به عن الاستعارة ففي
الاستعارة تعد الكلمة مستعملة فيما هي موضوعة له على اصح القولين ولا نسميها
حقيقة بل نسميها مجازا لغويا لبناء دعوى المستعار موضوعا للمستعار له على
ضرب من التأويل كما ستحيط بجميع ذلك علما في موضعه باذن الله تعالى ولك ان تقول
الحقيقة هي الكلمة المستعملة فيما تدل عليه بنفسها دلالة ظاهرة كاستعمال
الاسد في الهيكل المخصوص او القرء في ان لا يتجاوز الطهر والحيض غير مجموع بينهما
فهذا ما يدل عليه بنفسه ما دام منتسبا الى الوضعين اما اذا خصصته بواحد

اما مجازا

اما مجازا مثل ان تقول القرء بمعنى الطهر واما التشكيك فمثل ان تقول القرء
لا بمعنى الحيض فانه حينئذ ينتصب دليلا دالا لا بنفسه وانه لمظنة فضل تامل
منك فاحفظ وقولي دلالة ظاهرة احتراز عن الاستعارة وستعرف وجه الاحتراز
في باب الاستعارة ولك ان تقول الحقيقة هي الكلمة المستعملة في معناها بالتحقيق
والحقيقة تنقسم عند العلماء الى لغوية وشرعية وعرفية والسبب في انقسامها
هذا هو ما عرفت ان اللفظ يمتنع ان يدل على مسمى من غير وضع فمتى رأيتها
دالة لم تشك في ان لها وضعا وان لوضعها صاحبا فالحقيقة لدلالتها على المعنى
تستدعي صاحب وضع قطعا فمتى تعين عندك نسبت الحقيقة اليه فقلت
لغوية ان كان صاحب وضعها واضع اللغة وقلت شرعية ان كان صاحب وضعها
الشارع ومتى لم يتعين قلت عرفية وهذا المأخذ يعرفك ان انقسام الحقيقة
الى اكثر مما هي منقسمة اليه غير ممتنع في نفس الامر واما المجاز فهو الكلمة
المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالا في الغير بالنسبة الى نوع
حقيقتها مع قرينة مانعة عن ارادة معناها في ذلك النوع وقولي بالتحقيق
احتراز عن ان لا تخرج الاستعارة التي هي من باب المجاز نظرا الى دعوى استعمالها
فيما هي موضوعة له وقولي استعمالا في الغير بالنسبة الى نوع حقيقتها احتراز
عما اذا اتفق كونها مستعملة فيما تكون موضوعة له لا بالنسبة الى نوع حقيقتها
كما اذا استعمل صاحب اللغة لفظ الغائط مجازا فيما يفضل عن الانسان من منهضم
متناولاته او كما اذا استعمل صاحب الحقيقة الشرعية الصلوة للدعاء او صاحب
العرف الدابة للحمار والمراد بنوع حقيقتها اللغوية وان كانت اياها او الشرعية
او العرفية ايتها كانت وقولي مع قرينة مانعة عن ارادة معناها في ذلك النوع احتراز عن
الكناية فان الكناية كما ستعرف تستعمل ويراد بها المكنى عنه فتقع مستعملة

في غير ما هي موضوعة له مع أنا لا نسميها مجازا لعرائها عن هذا القيد ولك أن تقول
المجاز هو الكلمة المستعملة في غير ما تدل عليه بنفسها دلالة ظاهرة استعمالا
في الغير بالنسبة الى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن ارادة ما تدل عليه بنفسها
في ذلك النوع ولك أن تقول المجاز هو الكلمة المستعملة في معنى معناها بالتحقيق
استعمالا لا في ذلك بالنسبة الى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن ارادة معناها
في ذلك النوع واعلم أنا لا نتوقف في عرفنا استعمال الكلمة فيما تدل عليه أو في
غير ما تدل عليه حتى يكون الغرض الاصلي طلب دلالتها على المستعمل فيه ومن حق
الكلمة في الحقيقة التي ليست بكناية أن تستغني في الدلالة على المراد منها بنفسها
عن الغير لتعينها له بجهة الوضع وأما ما يظن بالمشترك من الاحتياج الى القرينة في
دلالته على ما هو معناه فقد عرفت أن منشأ هذا الظن عدم تحصيل معنى المشترك
الدائر بين وضعين ومن حق الكلمة في المجاز أن لا تستغني عن الغير في الدلالة على ما
يراد منها لتعيينها له ذلك الغير وسميت الحقيقة حقيقة لمكان التناسب وهو
أن الحقيقة إما فعيل بمعنى مفعول من حققت الشيء أحقه إذا أثبته ومعناه
المثبت والكلمة متى استعملت فيما كانت موضوعة له دالة عليه بنفسها كانت ثابتة
في موضعها الاصلي وإما فعيل بمعنى فاعل من حق الشيء يحق إذا وجب فمعناها الواجب
وهو الثابت والكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له ثابتة في موضعها الاصلي
واجب لها ذلك وأما التاء فهي عندي للتأنيث في الوجهين لتقدير لفظ الحقيقة
قبل التسمية صفة مؤنث غير مجراة على الموصوف وهو الكلمة وكذلك المجاز
سمي مجازا لجهة التناسب لأن المجاز مفعل من جاز المكان يجوزه إذا تعداه
والكلمة إذا استعملت في غير ما هي موضوعة له وهو ما لا تدل عليه بنفسها
فقد تعدت عن موضعها الاصلي واعتبار التناسب في التسمية منزلة اقدام
نها

ربما شاهدت فيها من اللدد لما تحققت فما بال والتسوية بين تسمية انسان له
حمرة بأحمر وبين وصفه بأحمر أن تترك فإن اعتبار المعنى في التسمية لترجيح
الاسم على غيره حال تخصيصه بالمسمى واعتبار المعنى في الوصف لصحة اطلاقه
عليه فأين أحدهما من الآخر وإن كنتم استوائهم سمعونا نقول للشيء عند تسميته سمي
لشيء لكونه مجاز عقول اشتقاقا من كذا أو لكونه معنى في الشيء اشتقاقا من كذا فظنونا
أسأنا فأخذوا ايرمون والرمي حيث بايتوا وضلوا الله الحاكم غفرا وحد الحقيقة
والمجاز عند أصحابنا في هذا النوع بغير ما ذكرت يحدون الحقيقة هكذا كل كلمة
أريد بها ما وقعت له في وضع واضع وقوعا لا تستند فيه الى غيره وإنما يقولون
واضع بالتنكير دون التعريف ليعم واضع اللغة وغيره من أصحاب الأوضاع المتأخرة
عن وضع اللغة والضمير في فيه يعود الى الوقوع وفي غيره يعود الى الوضع وإنما يذكرون
هذا القيد لتعيين المعنى الاول مثل أن يقولوا كل كلمة أريد بها ما وقعت له
في وضع واضع لا ما وقعت له في غير وضع واضع والذي تقع الكلمة له في غير الوضع
هو ما بيننا وله عقلا لا بواسطة الوضع كما إذا وقعت العشرة مثلا في الوضع
فإنها تكون واقعة لخمسة وخمسة إلا أن وقوعها لخمسة وخمسة تستند
الى غير الوضع وهو العقل ويحدون المجاز هكذا كل كلمة أريد بها غير ما وقعت
له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والاول فتأمل قولي وقولهم واعلم أن
الكلمة حال وضعها اللغوي لما عرفت من أن الحقيقة ترجع الى اثبات الكلمة
في موضعها وأن المجاز يرجع الى اخراج الكلمة عن موضعها حقها أن لا تسمى حقيقة
ولا مجازا كالجسم حال الحدوث لا يسمى ساكنا ولا متحركا وأما حال الوضعين
فيعرفها لك الحد الاول بالاطلاق وفي الاخيرين تقييد الحقيقة بنوعها مثل
أن يقال لا تكون حقيقة شرعية ولا مجازها ولا تكون حقيقة عرفية ولا مجازها

وان كان الاطلاق قد يحتمل واذ قد تقدم اليك ما احاطت به معرفتك فبالحري
ان نسمي الذيل لتلخيص ما عند السلف في الاصلين وتلخيصه مما يتبع من الحشو في
البين وان نسوقه اليك مرتبا ترتيبا يقيد اوابد موائدهم ومقررا انتزاع المبتدا
التام عن وجه فوائدهم فاعلين ذلك لنطلعك على كنه ما اجتهدوا ونعثرك على
شاو ما قد اناخوا الذيل منه بين في اثناء المساق على ما يرونه وما نحن نراه
فاذا استاناخا من كمال تاملك في حوصلة دراية آنست عن استطلاع طلعهما
ايما شئت اعلم ان المجاز عند السلف من علماء هذا الفن قسمان لغوي وهو ما تقدم
ويسمى مجازا في المفرد وعقلي وستاتيك تعريفه ويسمى مجازا في الجملة والكلام
واللغوي قسمان قسم يرجع الى معنى الكلمة وقسم يرجع الى حكم لها في الكلام
والراجع الى معنى الكلمة قسمان خال عن الفائدة ومتضمن لها والمتضمن للفائدة
قسمان خال عن المبالغة في التشبيه ومتضمن لها وانه يسمى الاستعارة ولها
انقسامات اخر ستعرفها فهذه فصول خمسة مجاز لغوي راجع الى المعنى خال من
الفائدة مجاز لغوي معنوي مفيد خال عن المبالغة في التشبيه استعارة مجاز
لغوي راجع الى حكم الكلمة مجاز عقلي ونتلوه الكلام في الحقيقة العقلية
وانا اسوق اليك هذه الفصول بعون الله تعالى

الفصل الاول

المجاز اللغوي الراجع الى معنى الكلمة غير المفيد هو ان تكون الكلمة موضوعة
لحقيقة من الحقائق مع قيد فيستعملها لتلك الحقيقة لا مع ذلك القيد بمعونة القرينة
مثل ان يستعمل المرسن وانه موضوع لمعنى الانف مع قيد ان يكون انف مرسون
لاستعمال الانف من غير زيادة قيد بمعونة القرائن كقول العجاج
وفاحما ومرسنا مسرجا ٥ يعني انفا يبرق كالسراج او مثل المشفر وهو
موضوع للشفة مع قيد ان تكون شفة بعير لاستعمال الشفة فيقول
فلان

فلان غليظ المشفر في ضمن قرينة دالة على ان المراد هو الشفة لا غير او مثل
ان تستعمل الجحافل وانه موضوع للرجل مع قيد ان تكون رجل فرس او حمار استعمال
الرجل بالاطلاق اعتمادا على دلالة القرائن على ذلك سمي هذا القبيل مجازا لتعديه
عن مكانه الاصلي ومعنويا لتعلقه بالمعنى لا بالحكم كالذي سياتيك ولغويا
لاختصاصه بمكانه الاصلي بحكم الوضع وغير مفيد لقيامه مقام احد المترادفات
من نحو ليث واسد وحبس ومنع عند المصير الى المراد منه

الفصل الثاني

المجاز اللغوي الراجع الى المعنى المفيد الخالي عن المبالغة في التشبيه وهو ان تعدى
الكلمة عن مفهومها الاصلي بمعونة القرينة الى غيره لملاحظة بينهما ونوع تعلق
نحو ان تراد النعمة باليد وهي موضوعة للجارحة المخصوصة لتعلق النعمة بها
من حيث انها تصدر عن اليد ومنها تصل الى المقصود بها وكذا اذا اريدت القوة او
القدرة بها لان القدرة اكثر ما يظهر سلطانها في اليد وبها يكون البطش والضرب
والقطع والاخذ والدفع والوضع والرفع وغير ذلك من الافاعيل التي تخبر فضل
اخبار عن وجوه القدرة وتنبئ عن مكانها اتم انباء ولذلك تجدهم لا يريدون
باليد شيئا لا ملابسة بينه وبين هذه الجارحة ونحو ان تراد المزادة بالراوية
وهي في الاصل اسم للبعير الذي يحملها للعلاقة الحاصلة بينها وبينه بسبب
حمله اياها او ان يراد البعير بالحفض وهو متاع البيت لحمله اياه من الجهة المذكورة ونحو
ان يراد الرجل بالعين اذا كان ربيئة من حيث ان العين لما كانت المقصودة
في كون الرجل ربيئة صارت كانها الشخص كله ونحو ان يراد النبت بالغيث كانوا
رعينا غيثا لكون الغيث سببا فيه ونحو ان يراد الغيث بالسماء لكونه من جهتها
يقولون اصابتنا السماء اي الغيث ونحو ان يراد الغيث بالنبات كقوله امطرت
السماء نباتا لكون الغيث سببا فيه او بالسنام كقول عمرو في السنمة الابل في سحابه

ومن هذا يعرف وجه تفسير من فسر انزال الازواج الانعام في قوله تعالى وانزل
لكم من الانعام ازواج بانزال الماء لاسيما اذا نظر الى ما ورد من ان كل ما في
الارض فهو من السماء ينزله جل وعلا الى الصخرة ثم تقسمه وقيل هذا معنى
قوله المنزل ان الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ومما يجري فيه قوله
وينزل لكم من السماء رزقا اي مطرا هو سبب الرزق وقوله وفي السماء رزقكم وقد
ينخرط في هذا السلك هداه الله اي لطف به واضله الله اي خذله لمنع الطافه
لكونها عبثا في حقه وقوله عز سلطانه فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار
اي العناد المستلزم للنار وقوله انما ياكلون في بطونهم نارا لاستلزام اموال
اليتامى اياها وقول القائل ياكل كل ليلة اكافا اي علفا بثمن اكاف
للتعلق بين العلف وبين الاكاف وقولهم اكل فلان الدم اي الدية للتعلق
بينهما ومن امثلة المجاز قوله تعالى فاذا قرات القرآن اي اردت القراءة لكون القراءة
مسببة عن ارادتها استعمالا للمجاز لا بقرينة الفاء في فاستعذ والسنة
المستفيضة بتقديم الاستعاذة ولا يلتفت الى من يؤخر الاستعاذة وذاك
لضيق العطن وقوله ونادى نوح ربه في موضع اراد نداء ربه بقرينة فقال رب وقوله
وكم من قرية اهلكناها في موضع اردنا اهلاكها بقرينة انهم لا يرجعون اي عن معاصيهم
المخذلات ومنه ما امنت قبلهم من قرية اهلكناها افهم يؤمنون اي اردنا اهلاكها
لم يؤمن احد منهم افهؤلاء يؤمنون وما ادل نظم الكلام على الوعيد بالاهلاك انما
نرى الانكار في افهم يؤمنون لا يقع في المحز الاسعد بروعي على ان نهلكهم وما
حملت عمار كثيرة على ضيق العطن لانه متى جرى فيما هو ابعد جريا مستفيضا يكاد
يزيل من اخاف الكلام بخلافه كمن صلى العيد قبله النبي كل احد يقول للحمار متى
من المراكبة وعليه فقس والضيق كما تسمعه عقلك الراجح هو التعب.

من الشفقة الى الضيق ولا سعة هناك انما الذي هناك هو تجوز مجرد ان يريد
الحفار التوسعة فيترك تجوز مراده منزلة الواقع ثم يامره بتغييره الى الضيق
اما بعد ان يكون في الاول اجري واجري وامثال ذلك مما تعدى الكلمة معنى ته
الغير عن معناها الاصلي الى غيره لتعلق بينهما بوجه قويا كان او ضعيفا
واضحا او خفيا وللتعلق بين الصارف عن فعل الشيء وبين الداعي الى تركه يحتمل
عندي ان يكون منعك في قوله علت كلمته ما منعك ان تسجد مرادا به ما دعاك
الى ان لا تسجد وان تكون لا غير صلة قرينة للمجاز ونظيره ما منعك اذ رايتهم ضلوا
ان لا تتبعني ومن امثلة المجاز المستثنى منه في باب الاستثناء وتحقيق الكلام
في ذلك مفتقر الى التعرض لمستثنا فمن وسيتشعب من علم المعاني شعبة تتهيأ
المصير اليها وعليه فاتني اي ان تؤخر الكلام في الاستثناء الى الفراغ من تلك
الشعبة وهي شعبة علم الاستدلال وتسميته مجازا لغويا ومعنويا لما تقدم
ومبنى المضمنة شبه شاهد يحقق ما لست تريد به وسيأتيك تقرير هذا
المعنى في الامثل الثالث بإذن الله تعالى واما معنى كونه خاليا عن المبالغة
في التشبيه فوجهه الفصل الذي يليه

الفصل الثالث

في الاستعارة هي ان تذكر احد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعيا
دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك باثباتك للمشبه ما يخص
المشبه به كما تقول في الحمام اسد وانت تريد به الشجاع مدعيا انه من جنس
الاسود فتثبت للشجاع ما يخص المشبه به وهو اسم جنسه مع سد طريق التشبيه
بافراده في الذكر او كما تقول ان المنية انشبت اظفارها وانت تريد بالمنية
السبع بادعاء السبعية لها وانكار ان تكون شيئا غير سبع فتثبت لها ما
يخص المشبه به وهو الاظفار وتسمي هذا النوع من المجاز استعارة لمكان التناسب

بينه وبين معنى الاستعارة وحاصله انا متى ادعينا في المشبه كونه داخلا في حقيقة
المشبه به فردا من افرادها برز فيما صادف من جانب المشبه به سواء كان اسم
جنسه او حقيقته او لازما من لوازمه برزا في معرض نفس المشبه به نظرا الى ظاهر الحال
من الدعوى فالشجاع حال دعوى كونه فردا من افراد حقيقة الاسد يكتسي اسم الاسد
اكتساء الهيكل المخصوص اياه نظرا الى الدعوى والمنية حال دعوى كونها
داخلة في حقيقة السبع اذا انتشب اظفارها او انيابها ظهرت مع ذلك ظهور نفس
السبع معه فانه كذلك يتبع وكذلك الصورة المتوهمة على شكل المخالب او
الانياب مع المنية المدعى انها سبع تبرز في تسميتها باسم المخالب بروز الصورة
المحققة المسماة باسم المخالب من غير فرق نظرا الى الدعوى وهذا شان العارية
فان المستعير يبرز معها في معرض المستعار منه لا يتفاوتان الا في ان احدهما
اذا فتش عنها مالك والاخر ليس كذلك وههنا سؤال وجواب نسمعهما في فصل الاستعارة
بالكناية ويسمى المشبه به سواء كان هو المذكور او المتروك مستعارا منه ويسمى اسمه
مستعارا والمشبه مستعارا له والذي قرع سمعك من ان الاستعارة تعتمد
ادخال المستعار له في جنس المستعار منه هو السبب في امتناع دخول الاستعارة
في الاعلام اللهم الا اذا تضمنت نوع وصفية بسبب خارج نحو اسم حاتم المجرد
ومادر البخل وما جرى مجراهما واما عد هذا النوع لغويا فعلى احد القولين وهو
المنصور كما ستقف عليه وكان شيخنا الحاتمي تغمده الله برضوانه اسدا ما
مال لهم فيه قولين احدهما انه لغوي نظرا الى استعمال الاسد في غير ما هو له عند
التحقيق فانا وان ادعينا للشجاع الاسدية فلا ننكر حديث الشجاعة حتى
ندعي للرجل صورة الاسد وهيبته وعبالة عنقه ومخالبه وانيابه وما له من سائر
ذلك من الصفات البادية لحواس الابصار ولو كانت الشجاعة من اخص اوصاف

الاسد

الاسد وامكنها لكن اللغة لم تضع الاسم لها وحدها بل لها في مثل تلك الجثة
وتلك الصورة والهيبة وهاتيك الانياب والمخالب الى غير ذلك من القوده
الخاصة في جوارحه جمع ولو كانت وضعته لتلك الشجاعة التي تعرفها لكان
صفة لا اسما ولكان استعماله فيمن كان على غاية من قوة البطش وشراهة جراءة
المقدام من جهة التحقيق لا من جهة التشبيه ولما صرت تعرف في الاستعارة
اذا كان البتة ولا تعلل المطلوب بنصب القرائن وهو منع الكلمة عن حملها
على ما هي موضوعة له الى جانب حملها على ما هي موضوعة له وثانيهما انه ليس بلغوي
نظرا الى الدعوى فان كونه لغويا يستدعي كون الكلمة مستعملة في غير ما هي
موضوعة له ويمتنع مع ادعاء الاسدية ولذا مع ادعاء كون الصبح الواضح
انه شمس وانه قمر وليس البتة شيئا غيرهما ان يكون اطلاق اسم الاسد على ذلك
عن اعتراف بانه رجل او اطلاق اسم الشمس والقمر على هذا عن اعتراف بانه ادمي
لقدح ذلك في الدعوى وقولي مع الاعتراف بانه ادمي غير شمس وغير قمر في
المعنقة اي يكون موضع تعجب قوله قامت تظللني من الشمس نفس اعز علي من نفسي ۵
قامت تظللني ومن عجب شمس تظللني من الشمس ۵
او موضع نهي عن التعجب قوله لا تعجبوا من بلى غلالته قد زر ازراره على القمر ۵
وقوله ترى الثياب من الكتان يلمحها نور من البدر احيانا فيبليها ۵
فكيف تنكر ان تبلى معاجرها والبدر في كل وقت طالع فيها ۵
ومع الاصرار على دعوى انه اسد وانه شمس وانه قمر يمتنع ان يقال لم تستعمل الكلمة
فيما هي موضوعة له ومدار نحو هذا الامام عبد القاهر قدس الله روحه لهذا النوع
بين اللغوي تارة وبين العقلي اخرى على هذين الوجهين جزاه الله افضل الجزاء وهو
الذي لا يزال ينبه القلوب في مستودعات لطائف نظره لا يألو تعليما وارشادا

لديك اذا وقفت على وجه التوفيق بين اصرار المستعير على ادعاء الاسدية للرجل
وبين نصبه في ضمن الكلام قرينة دالة على انه ليس بالهيكل المخصوص مهدت قدمة عندك
كشف لك الغطاء اعلم ان وجه التوفيق هو ان تبني دعوى الاسدية للرجل
على ادعاء ان افراد جنس الاسد قسمان بطريق التأويل متعارف وهو الذي له
غاية جراءة المقدم ونهاية قوة البطش مع الصورة المخصوصة وغير متعارف
وهو الذي له تلك الجراءة وتلك القوة لا مع تلك الصورة بل مع صورة اخرى على ما
ارتكب المتنبي هذا الادعاء في عد نفسه وجماعته من جنس الجن وعد جماله من
جنس الطير حين قال ⁂ نحن قوم ملجن في زي ناس فوق طير لها شخوص الجمال ⁂
متمشهد الدعوى هاهنا بالمخيلات العرفية والتأويلات المناسبة من
حكمهم اذا رأوا الاسد هرب من حيث انه ليس باسد واذا رأوا انسانا لا
يقاومه احد انه ليس بانسان وانما هو اسد او اسد في صورة انسان وان
تجعل نصب القرينة بنفي المتعارف الذي يسبق الى الفهم لتعيين ما انت
تستعمل الاسد فيه ومن المبني على هذا التأويل قوله ⁂
تحية بينهم ضرب وجيع ⁂ وقولهم عتابك السيف ⁂ وقوله عز وعلا يوم لا ينفع مال
ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم على ما ستسمع هذه الآية في فصل المستثنى
منه ان شاء الله تعالى ومنه قوله وبلدة ليس بها انيس الا اليعافير والا العيس ⁂
والاستعارة لبناء الدعوى فيها على التأويل تفارق الدعوى الباطلة فان صاحبها
يتبرأ من التأويل وتفارق الكذب بنصب القرينة المانعة عن اجراء الكلام على ظاهره
فان الكاذب لا ينصب دليلا على خلاف زعمه واني ينصب وهو لترويج ما يقول
راكب كل صعب وذلول واذ قد عرفت ما كان يتعلق ببيان معنى الاستعارة
ووجه تسميتها استعارة وتقرير استنادها الى اللغة ومفارقتها الدعوى

الباطلة

الباطلة والكذب فاعلم ان الاستعارة تنقسم الى مصرح بها ومكني عنها والمراد
بالاول هو ان يكون الطرف المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه به والمراد
بالثاني ان يكون الطرف المذكور هو المشبه والمصرح بها تنقسم الى تحقيقية
وتخييلية والمراد بالتحقيقية ان يكون المشبه المتروك شيئا متحققا اما حسيا
واما عقليا والمراد بالتخييلية ان يكون المشبه المتروك شيئا وهميا محضا لا تحقق
له الا في مجرد الوهم ثم تنقسم كل واحدة منهما الى قطعية وهي ان يكون المشبه المتروك
متعين الحمل على ما له تحقق حسي او عقلي او على ما لا تحقق له البتة الا في الوهم والى
احتمالية وهي ان يكون المشبه المتروك صالح الحمل تارة على ما له تحقق واخرى على
ما لا تحقق له فهذه اقسام اربعة الاستعارة المصرح بها التحقيقية مع القطع ⁂
الاستعارة المصرح بها التخييلية مع القطع الاستعارة المصرح بها مع الاحتمال
للتحقيق والتخييل الاستعارة بالكناية ثم ان الاستعارة تتم قسمتها الى اصلية
وتبعية والمراد بالاصلية ان يكون معنى التشبيه داخلا في المستعار دخولا
اوليا والمراد بالتبعية ان لا يكون داخلا دخولا اوليا وربما الحقوا التجريد فسموها
مجردة والترشيح فسموها مرشحة فيجب ان نتكلم في هذه الانقسامات وهي
ثمانية القسم الاول في الاستعارة المصرح بها التحقيقية مع القطع
هي اذا وجدت وصفا مشتركا بين ملزومين مختلفين في الحقيقة كالانسان والاسد
هو في احدهما اقوى منه في الآخر وانت تريد الحاق الاضعف بالاقوى على وجه
التسوية بينهما ان تدعي ملزوم الاضعف من جنس ملزوم الاقوى باطلاق اسمه
عليه وتسلك طريق التشبيه بافراده في الذكر توصلا بذلك الى المطلوب لوجوب
تساوي اللوازم عند تساوي ملزوماتها فاعلا ذلك في ضمن قرينة مانعة عن حمل
المفرد بالذكر على ما يسبق منه الى الفهم كيلا يحمل عليه فيبطل الغرض التشبيهي بانيا

دعواك على التاويل المذكور ليمكن التوفيق بين دلالة الافراد بالذكر وبين دلالة
القرينة المتمانعتين ولتمتاز دعواك عن الدعوى الباطلة مثال ذلك ان يكون
عندك شجاع ولست تريد ان تلحقه جراءته وقوته بجراءة الاسد وقوته فتدعي الاسدية
له باطلاق اسمه عليه مفردا له في الذكر فتقول رايت اسدا الا في جراءته دون جراءة الاسد
وقوته مع نصب قرينة مانعة عن ارادة الهيكل المخصوص بل كيرمي او يتكلم او في الحمام او
ان يكون عندك وجه جميل وانت تريد ان تلحقه وضوحه واشراقه وملاحة استدارته
بما للبدر فتدعيه بدرا باطلاق اسمه عليه مع افراده في الذكر قائلا نظرت الى بدر
يبتسم او ان يكون عندك عالم وانت تريد الحاق الشرع فوائده بعد ما جرت العادة
على تشبيه فوائد العلماء بالفوائد بكثرة فوائد البحر فتدعيه بحرا سائلا في حال المسائل
المعهود او ان تريد الحاق عدل عادل في اثبات التفاوت بالميزان او بالقسطاس
في ذلك فتدخله في جنس الميزان او القسطاس قائلا ان ميزانا او قسطاسا لا
يعدل التفاوت ومن امثلة الاستعارة اسم الاسد الغضنفر او السيف
للاخر بواسطة انتزاع شبه التضاد والحاقه بشبه التناسب بطريق التهكم او التمليح
على ما سبق في باب التشبيه ثم ادعاء احدهما من جنس الاخر والافراد بالذكر ونصب
القرينة كقولك ان فلانا تواترت عليه البشارات بقتله ونهب امواله وسبي
اولاده ويعبر هذا النوع باسم الاستعارة التهكمية او التمليحية واعلم ان
قرينة الاستعارة ربما كانت معنى واحدا كالذي رايت في الامثلة المذكورة
وربما كانت معاني مربوطا بعضها ببعض كما في قوله

وصاعقة من نصله تنكفي بها ... على ارؤس الاقران خمس سحائب

انظر حين اراد استعارة السحاب لانامل الممدوح الخمس تفريعا على ما جرت
العادة من تشبيه الجواد بالبحر الفياض تارة وبالسحاب الهطال اخرى ما ادعى

ذكر ان هناك صاعقة ثم قال من نصله فبين ان تلك الصاعقة من نصل سيفه
ثم قال على ارؤس الاقران ثم قال خمس فذكر العدد الذي هو عدد انامل اليد
فجعل ذلك كله قرينة لما اراد من احدى صورتين منتزعتين من امور لوصف الاخرى
مثل ان تجد انسانا قد استفتي في مسألة فيهم تارة باطلاق اللسان ليجيب ولا
يهم اخرى فتاخذ صورة تردده هذا فتشبهها بصورة تردد انسان قام ليذهب
في امر فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلا وتارة لا يريده فيؤخر اخرى ثم تدخل
صورة المشبه في جنس صورة المشبه به روما للمبالغة في التشبيه فتكسوها
وصف المشبه به من غير تغيير فيه بوجه من الوجوه على سبيل الاستعارة قائلا
اراك ايها المفتي تقدم رجلا وتؤخر اخرى وهذا هو الذي نسميه التمثيل
على سبيل الاستعارة ولكون الامثال كلها تمثيلات على سبيل الاستعارة لا تجد
التغيير اليها سبيلا واعلم القسم الثاني في الاستعارة المصرح بها
التخييلية مع القطع هي ان تسمي باسم صورة متخيلة صورة عندك وهمية محضة
تقدرها مشابهة لها مفردا في الذكر ضمن قرينة مانعة عن حمل الاسم على ما
يسبق منه الى الفهم من كون مسماه شيئا متحققا وذلك مثل ان تشبه المنية بالسبع
في اغتيال النفوس وانتزاع ارواحها بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفاع وضرار
ولا رقة لمرحوم ومساس تقيا على ذي فضيلة تشبيها بليغا حتى كانها سبع من
السباع فياخذ الوهم في تصويرها بصورة السبع واختراع ما يلازم صورته ويتم
بها شكله من ضروب هيئات وفنون جوارح واعضاء وعلى الخصوص ما يكون
قوام اغتيال النفوس بها وتمام افتراسه للفرائس بها من الانياب والمخالب
ثم تطلق على مخترعات الوهم عندك اسامي المحققة على سبيل الافراد
في الذكر وان تضيفها الى المنية قائلا مخالب المنية او انياب المنية المشبهة

بالسبع لتكون اضافتها اليها قرينة مانعة عن اجرائها على ما يسبق الى الفهم منها
من تعلق مشتبه بها او مثل ان تشبه الحال اذا وجد بها دالة على امر من الامور
بالانسان الذي يتكلم فيبعث الوهم في الاختراع للحال معنى قائم مقام كلام المتكلم به
وهو تصوير صورة اللسان ثم تطلق عليه اسم اللسان المحقق وتضيفه الى
الحال قائلا لسان الحال الشبيه بالمتكلم ناطق بكذا او مثل ان تشبه حكما
من احكامك اذا صادفته وافقا لمشتهى اميرك وتابعا لرايه كيف شاء بالناقة
المنقادة التابعة لمستتبعها كيف اراد فتثبت له في الوهم ما قوام ظهور
انقياد الناقة به واتباعها للمستتبع وهو صورة الزمام فتطلق عليها اسم
الزمام المحقق قائلا زمام الحكم الشبيه بالناقة في اتباع المستتبع في يد فلان
القسم الثالث في الاستعارة المصرح بها المحتملة للتحقيق والتخييل
هي كما ذكرنا ان يكون المشبه المتروك صالح الحمل على ما له تحقق من وجه وعلى
ما لا تحقق له من وجه آخر ونظيره قول زهير
صحا القلب عن سلمى واقصر باطله وعري افراس الصبا ورواحله
اراد ان يبين انه امسك عما كان يرتكب اوان الصبا ومنع النفس عن التلبس
بذلك معرضا الاعراض الكلي عن المعاودة لسلوك سبيل الغي وركوب مراكب
الجهل فقال وعري افراس الصبا ورواحله اي ما تعبث الهم من آلاتها المحتاج
اليها في الركوب والارتكاب فانه كما يتنوع وصف من الانواع حرفة او غيرها
متى وطنت النفس على اجتنابه ورفع القلب راسا عن ذوق بابه وقطع العزم
عن معاودة لزاوله به فتقل العناية بحفظ ما قوام ذلك النوع به من الآلات
والادوات فتراه بيد التعطيل يستولي عليها فتهلك شيئا فشيئا حتى
لا تكاد تجد في ادنى مدة اثرا منها ولا عينا فقيل اذا لا معراة لا آلة

ولا

ولا اداة فحق قوله افراس الصبا ورواحله ان تعد استعارة تخييلية لما يسبق الى
الفهم ويتبادر الى الخاطر من تنزيل افراس الصبا ورواحله منزلة انياب المنية ومخالبها
وان كان يحتمل احتمالا بالتكلف ان تجعل الافراس والرواحل عبارة عن دواعي النفوس
وشهواتها والقوى الحاصلة لها في الاستيفاء للذات او عن الاسباب التي قلما
تتاخذ في اتباع الغي وجر اذيال البطالة الا اوان الصبا وكذلك قوله علت
كلمته فاذاقها الله لباس الجوع الظاهر من اللباس عند اصحابنا الحمل على التخييل
وان كان يحتمل عندي ان يحمل على التحقيق وهو ان يستعار لما يلبسه الانسان
عند جوعه من انتقاع اللون ورثاثة الهيئة القسم التابع في الاستعارة
بالكناية هي كما عرفت ان تذكر المشبه وتريد به المشبه به دالا على ذلك بنصب
قرينة تنصبها وهي ان تنسب اليه وتضيف من لوازم المشبه به المساوية
مثل تشبيه المنية بالسبع ثم تفردها بالذكر مضيفا اليها على سبيل الاستعارة
التخييلية من لوازم المشبه به ما لا يكون الا له ليكون قرينة دالة على المراد فتقول
مخالب المنية نشبت بفلان طاويا لذكر المشبه به وهو قولك الشبيهة بالسبع
او مثل ان تقول لسان الحال ناطق بكذا تاركا لذكر المشبه به وهو قولك الشبيهة
بالمتكلم او تقول زمام الحكم في يد فلان بترك ذكر المشبه به وقد ظهر ان
الاستعارة بالكناية لا تنفك عن الاستعارة التخييلية هذا ما عليه مساق كلام
الاصحاب وستقف اذا انتهينا الى اخر هذا الفصل على تفصيل ههنا وكان
بقي لما قدمت ان الاستعارة تستدعي ادعاء ان المستعار له من جنس المستعار
منه دعوى اصرار وادعاء انه كذلك مع الاصرار بالاعتراف بحقيقته والاستعارة
بالكناية مبناها على ذكر المشبه باسم جنسه ومع الاعتراف بحقيقة الشيء المستعار احترازا من
الشيء به باسم جنسه تجمع في ضمن ان الجمع بين الادعاء البليغ وبين الاعتراف

الكامل التي ينبغي فالوجه في ذلك هو انا نفعل ههنا باسم المشبه ما نفعل
في الاستعارة بالتصريح بمسمى المشبه كما انا ندعي هناك الشجاع مسمى لفظ
الاسد بارتكاب تأويل على ما سبق حتى تهيأ لنا التفصي من التناقض في الجمع بين ادعاء
الاسدية وبين نصب القرينة المانعة عن ارادة الهيكل المخصوص ندعي ههنا اسم
المنية اسما للسبع مرادفا له بارتكاب تأويل وهو ان المنية تدخل في جنس
السباع لاجل المبالغة في التشبيه بالطريق المعهود ثم نذهب على سبيل التخييل
الى ان الواضع كيف يصح منه ان يضع اسمين لحقيقة واحدة وان لا يكونا مترادفين
فيتهيأ لنا بهذا الطريق دعوى السبعية للمنية مع التصريح بلفظ المنية
القسم الخامس في الاستعارة الاصلية هي ان يكون المستعار اسم
جنس كرجل واسد وكقيام وقعود ووجه كونها اصلية هو ما عرفت ان الاستعارة
مبناها على تشبيه المستعار له بالمستعار منه وقد تقدم في باب التشبيه ان
التشبيه ليس الا وصفا للمشبه بكونه مشاركا للمشبه به في وجه والاصل
في الوصفية هي الحقائق ولما انك لا تعقل الوصف الا للحقيقة فقصر المسافة
حيث تقول في نحو شجاع باسل وجواد فياض وعالم نحرير ان باسلا وصف
لشجاع وفياضا وصف لجواد ونحريرا وصف لعالم القسم السادس
في الاستعارة التبعية هي ما تقع في غير اسماء الاجناس كالافعال والصفات المشتقة
منها وكالحروف بناء على ان الاستعارة تعتمد التشبيه والتشبيه يعتمد كون
المشبه موصوفا والافعال والصفات المشتقة منها والحروف عن ان توصف
بمعزل وانما المحتمل لها في الافعال والصفات المشتقة مصادرها وفي الحروف
متعلقات معانيها فتقع الاستعارة هناك ثم تسري فيها واعني بمتعلقات
معاني الحروف ما يعبر عنها عند تفسيرها مثل قولنا من معناه ابتداء الغاية

والى

والى معناها انتهاء الغاية وكي معناها الغرض فابتداء الغاية وانتهاء الغاية والغرض
ليست معانيها اذ لو كانت هي معانيها والابتداء والانتهاء والغرض اسماء لكانت
هي ايضا اسماء لان الكلمة اذا سميت اسما سميت لمعنى الاسمية لها وانما هي
متعلقات معانيها اي اذا افادت هذه الحروف معاني رجعت الى هذه بنوع
استلزام فلا نستعيرها بالفعل لا نقدر استعارة مصدريه ولا نقول نطقت الحال
بكذا لكنا لا نقدر استعارة نطق الناطق لدلالة الحال على الوجه الذي
عرفت من ادخال دلالة الحال في جنس نطق الناطق لقصد المبالغة في التشبيه
والحاق ايضاح دلالة الحال للمعنى بايضاح نطق الناطق له وكذا اذا قلت الحال
ناطقة بكذا بدلالة الحال كذا وكذا ومن قوله عز سلطانه فبشرهم بعذاب
اليم في الاستعارة التهكمية بدل فانذرهم وقولهم شعبت عليهم ان لات الحليم
الترشيد بدل التسفيه الغوي لغلبة احوالهم وتمام ذلك فيه قولهم للشمس جونة لشدة
ضوءها والجون الاسود والعذب اعجمي لحدة لفرح وعلى هذا الاستعير الحروف
لا بعد تقدير الاستعارة في متعلق معناها فاذا اردت استعارة لعل لغير
معناها قدرت الاستعارة في معنى الترجي ثم استعمل هناك لعل مثل
ان تبني على اصول العدل ذاهبا الى ان الصانع جل اسمه تعالى وتقدس ان تكون
افعاله عبثا بل كل حكمة وصواب مفعول لغرض صحيح ما خلق الانسان الا
لغرض الاحسان وحين ركبت فيه الشهوة الحاملة على فعل ما يجب تركه والنزوع
الحاملة على ترك ما يجب فعله واودع عقله المضادة لحكمهما حتى تنازعته
ايدي الدواعي والصوارف فوقفت به حيث الحيرة لا مستقدم له عنه ولا متاخر
تخلية الحيرة ما لا يورثه الا العناء اذا اتبع العقل وقع من النفس المشتهية
التافة في عناء واذا اتبع النفس وقع من العقل الناهي الآمر في عناء لا محالة

هناك ما انفقه في مرضاته تلك المعيشة شعرا ولا عنانا تعالى عن ذلك علوا كبيرا
وانما فعل ذلك لغرض الاحسان وهو التكليف المتمكن من اكتساب ما لا يحسن فعله
في حقه ابتداء من التعظيم العظيم مع الدوام في ضمن التمتع من انواع المستلذات
بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على بال احد محكمته ان يشق لها منقص
ما يلتبسه ان شاء الا بالتشبيه ولذلك وضع زمام الاختيار في يده ممكنا
اياه من فعل الطاعة والمعصية مريدا منه ان يطيع باختياره بحال المرتجى
مختارا ما يثمر له تلك السعادة الابدية من تجافى ذلك جميع عليه فتشبه حال
المكلف الممكن من فعل الطاعة والمعصية مع الارادة منه ان يطيع باختياره
بحال المرتجى المخير بين ان يفعل وان لا يفعل ~~وان لا يفعل~~ ثم تستعير للجانب
المشبه لعل جاعلا قرينة الاستعارة علم العالم الذات الذي لا يخفى عليه
خافية يعلم ما كان وما هو كائن وما سيكون فلا يحتمل كلمة الخالق لعلهم يعبدون
او لعلهم يتقون وعليه قول رب العزة علام الغيوب يا ايها الناس اعبدوا ربكم
الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الا ونظائره واذا اردنا استعارة
لام الغرض قدرت الاستعارة في معنى الغرض ثم تستعمل لام الغرض هناك مثل
ان يكون عندك ترتب وجود امر على امر من غير ان يكون الثاني مطلوبا بالاول
ويكون الاول غرضا فيه فتشبه ترتب وجود امرين مطلوب بالاول
منهما الثاني ثم تستعير للترتب المشبه كلمة اللام ترتب المشبه به
في ضمن قرينة مانعة من حملها على ما هي موضوعة له فتقول اذا رأيت عاملا قد
احسن الى انسان ثم آذاه فلك انه قد احسن اليه ليؤذيه ومن ذلك قوله
علت كلمته فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقد ظهر مما عرفته ان
ربما في قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حقها ان تعد من باب الاستعارة

التهكمية

التهكمية وان تعد تبعية على قول سيبويه في رب واصلية على قول الاخفش وقد
سبق ذكر هذا الخلاف في علم النحو واعلم ان مدار قرينة الاستعارة التبعية
في الافعال وما يتصل بها على نسبتها الى الفاعل كقولك نطقت الحال او الى المفعول
كقول ابن المعتز قتل البخل واحيى السماحا او الى الثاني المنصوب كقول الآخر
صبحنا الخزرجية مرهفات وقول الآخر نقريهم لهذميات او الى المجرور
كقوله علت كلمته فبشرهم بعذاب اليم او الى الجمع كقوله تقري الرياح رياض الحزن
مزهرة اذا سرى النوم في اجفان ايقاظا ه هذا ما امكن من تلخيص كلام الاصحاب
في هذا الفصل ولو انهم جعلوا قسم الاستعارة التبعية من قسم الاستعارة
بالكناية بان قلبوا فجعلوا في قولهم نطقت الحال بكذا الحال التي ذكروها عندهم
قرينة الاستعارة بالتصريح استعارة بالكناية عن المتكلم بواسطة المبالغة
في التشبيه على مقتضى المقام وجعلوا نسبة النطق اليه قرينة الاستعارة
كما تراهم في قوله واذا المنية انشبت اظفارها يجعلون المنية استعارة
بالكناية عن السبع ويجعلون اثبات الاظفار لها قرينة الاستعارة وهكذا لو
جعلوا البخل استعارة بالكناية عن حي ابطلت حياته بسيف او غير سيف
فالتحق بالعدم وجعلوا نسبة القتل اليه قرينة الاستعارة ولو جعلوا ايضا
اللهذميات استعارة بالكناية عن المطعومات اللطيفة الشهية على سبيل
التهكم وجعلوا نسبة لفظ القرى اليها قرينة الاستعارة لكان اقرب الى
الضبط فتدبره واذ قد عرفت ما ذكرت فلا باس ان نحكي لك ما عند السلف
في تعريف الاستعارة حدها عند بعضهم تعليق العبارة على غير ما وضعت له في
اصل اللغة على جهة النقل للابانة وعند الاكثر جعل الشيء الشيء لاجل المبالغة
في التشبيه كقولك لسان الحال (للنطق) وزمام الحكم ولا مزيد على الحكاية ه ه

رايت ابعد الاعلام وجعل الشيء للشيء لاجل المبالغة في التشبيه كتوكل ح

القسم السابع والقسم الثامن في تجريد الاستعارة وترشيحها

اعلم ان الاستعارة في نحو عندي اسد اذا لم تعقب بصفات او تفريع كلام لا تكون مجردة ولا مرشحة وانما يحصل التجريد والترشيح اذا عقبت بذلك ثم ان الضابط هنالك اصل واحد وهو انك قد عرفت ان الاستعارة لا بد لها من مستعار له ومستعار منه فمتى عقبت بصفات ملائمة للمستعار له او تفريع كلام ملائم له سميت مجردة ومتى عقبت بصفات او تفريع كلام ملائم للمستعار منه سميت مرشحة مثالها في التجريد ان تقول ساورت اسدا شاكي السلاح طويل القناة صقيل العضب وجاورت بحرا ما اكثر علومه وما اجمعه للحقائق وما اوقفه على الدقائق وامثالها في الترشيح ان تقول ساورت اسدا هصورا عظيم اللبدتين وافي البراثن منكر الزئير وجاورت بحرا زاخرا لا يزال تتلاطم امواجه ولا يغيض فيضه ولا يدرك قعره ولا اعني بالصفات الصفات النحوية بل الوصف المعنوي كيف كان ومبنى الترشيح على تناسي التشبيه وصرف النفس عن توهمه حتى لا يبالي ان يبني على علو القدر وسمو المنزلة بناءه على العلو المكاني والسمو كما فعل ابو تمام اذ قال

ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء

وابن الرومي اذ قال

اعلم الناس بالنجوم بنو نوبخت علما لم يأتهم بالحساب

بل شاهدوا السما سموا بترق في المرقيات الصعاب

مبلغ لم يكن ليبلغه الطالب الا بتلكم الاسباب

وكما قال ايضا

يا آل نوبخت لا عدمتكم ولا تبدلت بعدكم بدلا

ان صح علم النجوم كان لكم حقا اذا ما سواكم انتحلا

كم عالم فيكم وليس بان قاس ولكن بان رقي فعلا

اعلاكم في السما مجدكم فلستم تجهلون ما جهلا

شافهتم البدر بالسؤال عن الامر الى ان بلغتم زحلا

ويلزم المستعار له ما يلزم المستعار منه من التعجب او غير التعجب فيما لا يليق الا بالمستعار منه كما فعل من قال

قامت تظللني ومن عجب شمس تظللني من الشمس

ومن قال

لا تعجبوا من بلى غلالته قد زر ازراره على القمر

ومن قال

ابني الشمس زائرة ولم تك تبرح الفلكا

ومن قال

ولم ار قبلي من مشى البدر نحوه

او ما ترى هؤلاء فيما فعلوا كيف نبذوا امر التشبيه وراء ظهورهم وكيف نسوا حديث الاستعارة كأن لم يخطر منهم على بال ولا راوها ولا طيف خيال واذا كان نوابع التشبيه والاعتراف بالاصل يشق عليهم ان لا يبنوا الا على الفرع ويقولوا

هي الشمس مسكنها في السماء فعز الفؤاد عزاء جميلا

فلن تستطيع اليها الصعود ولن تستطيع اليك النزولا

او يقولوا

وعد البدر بالزيارة ليلا فاذا ما وفى قضيت نذوري

قلت يا سيدي ولم تؤثر الليل على طلعة الصباح المنير

قال لي لا احب تغيير رسمي هكذا الرسم في طلوع البدور

او يقولوا

قلت زوري فارسلت انا آتيك سحره

قلت فالليل كان اخفى وادنى مسره

فاجابت بحجة زادت القلب حسره

انا شمس وانما تطلع الشمس بكره

فهم الى تسويغ ذلك مع جحد الاصل في الاستعارة اقرب واذ قد عرفت اقسام الاستعارة فاعلم ان الاستعارة لها شروطا في الحسن ان صادفتها حسنت والا عريت عن الحسن وربما قبحت وتلك الشروط رعاية جهات حسن التشبيه

التشبيه التي سبق ذكرها والاصل الاول بين المستعار له والمستعار منه
في الاستعارة بالتصريح الحقيقية والاستعارة بالكناية وان لا تشم رائحة
من جانب اللفظ لئلا يخفى التشبيه ولذلك يوصى في الاستعارة بالتصريح ان يكون
الشبه بين المستعار له والمستعار منه جليا بنفسه او معروفا سائرا
بين الاقوام والا خرجت الاستعارة عن كونها استعارة ودخلت في باب التعمية
والالغاز كما اذا قلت رأيت عودا مستقيما اوان المغرس واردت انسانا مؤدبا
في صباه او قلت رأيت ابلا مائة لا تجد فيها راحلة واردت الناس واما
حسن الاستعارة التخييلية فبحسب حسن الاستعارة بالكناية متى
كانت تابعة لها كما في قولك فلان بين انياب المنية ومخالبها ثم اذا انضم اليها
المشاكلة كما في قوله عليه السلام يد الله فوق ايديهم كانت احسن واحسن وقلما
تحسن الحسن البليغ غير تابعة لها ولذلك استهجنت في قول الطائي
لا تسقني ماء الملام فانني صب قد استعذبت ماء بكائي
ولما ان الاستعارة مبناها على التشبيه تتنوع الى خمسة انواع تنوع التشبيه
الى استعارة محسوس لمحسوس والاستعارة محسوس لمعقول واستعارة معقول
بوجه حسي او بوجه عقلي والاستعارة معقول لمعقول واستعارة محسوس
لمعقول والاستعارة معقول لمحسوس من النوع الاول قوله عز اسمه واشتعل
الرأس شيبا فالمستعار وهو النار والمستعار له هو الشيب والجامع بينهما
هو الانبساط ولكنه في النار اقوى فالطرفان حسيان ووجه التشبيه حسي
ومن الثاني قوله عز اسمه اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم فالمستعار له الريح
والمستعار منه المرأة والجامع من ظهور النتيجة والاثر فالطرفان حسيان
ووجه التشبيه عقلي وكذلك قوله وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فالمستعار

المنع

له ظهور النهار من ظلمة الليل والمستعار منه ظهور المسلوخ من جلدته والطرفان
حسيان والجامع هو ما يعقل من ترتب احدهما على الآخر وكذلك قوله فجعلناها
حصيدا كأن لم تغن بالامس فالمستعار له الارض المزخرفة المتزينة والمستعار
منه هو النبات وهما حسيان والجامع هو الهلاك وهو امر معقول وكذلك قوله
حصيدا خامدين فاصل الخمود للنار ومن الثالث قوله عز اسمه من بعثنا من مرقدنا
فالرقاد مستعار للموت وهما امران معقولان والجامع عدم ظهور الافعال
وقوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فالقدوم وهو مجيء المسافر بعد مدة مستعار
للاخذ في الجزاء بعد الامهال وهما امران معقولان والجامع وقوع المدة في البين
وقوله سنفرغ لكم ايها الثقلان فالفراغ هو الخلاص عن المهام والله عز سلطانه
لا يشغله شان عن شان وقع مستعارا للاخذ في الجزاء وحده وذلك امر عقلي
والطرفان عقليان وقوله تكاد تميز من الغيظ وكذا قوله سمعوا لها تغيظا
فالغيظ والتغيظ مستعاران من الحالة الوجدانية التي تدعو الانسان الى
الانتقام للحالة المتوهمة من نار الله اعاذنا الله منها برحمته وفضله وقوله
ولما سكت عن موسى الغضب فالمستعار منه هو امساك اللسان عن الكلام وانه
امر معقول والمستعار له تفاوت الغضب عن اشتداده الى السكون وانه
ايضا امر وجداني عقلي والجامع هو الانسان مع الغضب اذا اشتد وجد
حالة الغضب كأنها تغريه واذا سكن وجد كأنه قد امسك عن الاغراء ومن
الرابع قوله عز اسمه بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاصل استعمال القذف
والدمغ في الاجسام ثم استعير القذف لايراد الحق على الباطل والدمغ لاذهاب
الباطل فالمستعار منه حسي والمستعار له عقلي وقوله مستهم البأساء
والضراء فاصل المس في الاجسام ثم وقع مستعارا لمقاساة الشدة وقوله

وضربت عليهم الذلة فالمستعار منه ضرب الخيمة وما شاكلها وانه امر حسي
والمستعار له التثبت وانه امر عقلي وكذا قوله ولما زلزلوا فاصل الزلزال
التحرك العنيف ثم وقع مستعارا للشدة بما نالهم وقوله فاصدع بما تؤمر فالصدع
هو كسر الزجاجة ببذل الامكان وانه امر حسي مستعار للتبليغ الرسالة
ببذل الامكان وانه امر عقلي وقوله اذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاصله
الخوض في الماء ثم وقع مستعارا للذكر الايات وكل خوض ذكره الله تعالى في القران فهو
من هذا القبيل وقوله الم تر انهم في كل واد يهيمون فالوادي مستعار للامر
والهيمان للاشتغال به على سبيل الحيرة فالمستعار منه في هذه الامثلة حسي
والمستعار له عقلي ومن الخامس قوله عز اسمه انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية
فالمستعار منه التكبر وهو عقلي والمستعار له كثرة الماء وهو حسي والجامع
الاستعلاء المفرط وقوله بريح صرصر عاتية فالعتو هنا مستعار استعارة
الطغيان في المثال الاول وقوله فنبذوه وراء ظهورهم فالنبذ وراء
الظهر وهو ان يلقى الشيء خلفك امر حسي ثم وقع مستعارا للتعرض للغفلة
وانه امر عقلي والجامع الزوال عن المشاهدة وقوله فاحيينا به بلدة ميتا فالاحياء
امر عقلي ثم وقع مستعارا للمعرض للخضرة لاظهار النبات والاشجار والثمار
وانه امر حسي وكذلك قوله فانشرنا به بلدة ميتا اي احييناها ولتعلم ان الكلام
في جميع ما ذكرنا من الامثلة في انواع الخمسة قول الاصحاب ولعل لي فيه نظرا

الفصل الرابع من فصول الباب في المجاز اللغوي الراجع الى حكم الكلمة

في الكلام وهو عند السلف رحمهم الله ان تكون الكلمة منقولة عن حكم لها اصلي الى
غيره كما في قوله عز اسمه وجاء ربك فالاصل وجاء امر ربك فالحكم الاصلي في الكلام
لقوله ربك هو الجر واما الرفع فمجاز وفي قوله واسأل القرية فالاصل واسأل اهل

القرية

القرية فالحكم الاصلي للقرية في الكلام هو الجر والنصب مجاز وفي قوله ليس كمثله شيء فالاصل
ليس مثله شيء بنصب مثله والجر مجاز ومدار هذا النوع على حرف واحد وهو
ان تكتسي الكلمة حركة لاجل حذف كلمة لا بد من معناها او لاجل اثبات كلمة مستغنى
عنها استغناء واضحا كالكاف في قوله عز اسمه ليس كمثله شيء او الباء في حسبك
ان تفعل كذا او في كفى بالله دون الباء في نحو ليس زيد منطلقا او ما زيد بقائم
ورايي في هذا النوع ان يعد ملحقا بالمجاز ومشبها به لما بينهما من الشبه وهو
اشتراكهما في التعدي عن الاصل الى غير الاصل لا ان يعد مجازا وبسبب هذا
لم اذكر الحد شاملا له ولكن العهدة في ذلك على السلف

الفصل الخامس في المجاز العقلي

المجاز العقلي هو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم
من الحكم فيه لضرب من التأول افادة للخلاف لا بواسطة وضع كقولك انبت الربيع
البقل وشفى الطبيب المريض وكسى الخليفة الكعبة وهزم الامير الجند وبنى
الوزير القصر وانما قلت خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه دون ان اقول خلاف
ما عند العقل لئلا يمتنع طرده بما اذا قال الدهري عن اعتقاد جهل او جاهل
غيره انبت الربيع البقل رائيا انبات البقل من الربيع فانه لا يسمى كلامه
مجازا وان كان على خلاف العقل في نفس الامر ولذلك لا تراهم يحملون نحو اشاب الصغير
وافنى الكبير كر الغداة ومر العشي على المجاز ما لم يعلموا او يغلب في ظنهم
ان قائله ما قاله عن اعتقاد او ما تراهم كيف لم يحملوا قول ابي النجم

قد اصبحت ام الخيار تدعي ۞ علي ذنبا كله لم اصنع ۞
من ان رات راسي كراس الاصلع ۞ ميز عنه قنزعا عن قنزع ۞
جذب الليالي ابطئي او اسرعي ۞ يا بنت عما لا تلومي واهجعي ۞
المرء يبقى ان لم يقطع ۞

حتى نسب انشاد الشعر المراس الى الزمان فالامية عنه فنزعا فنزع
جذب الليالي لكونه مجازا انما انبعه من قوله
امناه قيل لمته للشمس الطالع حتى اذا وارآك افق فارجعي
الشاهد لنزاهته ان يريد حمل كلامه السابق على الظاهر ولذلك يمتنع عليه
لمثل كسى الخليفة الكعبة وهزم الامير الجند فليس في العقل امتناع ان
يكسو الخليفة نفسه الكعبة ولا امتناع ان يهزم الامير وحده الجند
ولا يقدح ذلك في كونهما من المجاز العقلي وانما قلت لهما من التاويل يعتذر
به عن الكذب فانه لا يسمى مجازا مع كونه كلاما مفيدا لخلاف ما عند المتكلم وانما
قلت افادة للخلاف لا بواسطة وضع لتحترز به عن المجاز اللغوي في صورة وهي
اذا ادعى ان انبت موضوع لاستعماله في القادر المختار او وضع لذلك فان المجاز
حينئذ يسمى لغويا وضعيا لا عقليا وانما قلت لا بواسطة وضع على التكلم دون
ان اقول الوضع ليشمل وضع اللغة ان ادعى وضع غيرها ان لم يثبت ولاجل
هذه الصورة لا ترى علماء هذا الفن عالمون على نحو انبت الربيع البقل بكونه مجازا
عقليا الا بعد بيان ان صيغ الافعال في معنى تستند الى الفاعل لا تثبت تدل على
معنى سوى صدورها عن شيء ما فاما ان ذلك الشيء قادر ام غير قادر فليس
بداخل في مفهومها وضعا او يثبتون ذلك بوجوه منها ان وضعها لاستعمالها
في القادر فيه ما نقل عن احد من رواة اللغة ونقل حكم التقييد لا يدرك العرف
على الاطلاق وحكم العقل بان لا بد لها من شيء قادر ان لم يجعل دليلا في
ترك تقييدها بذلك في الوضع لعدم الحاجة اليه من اجل شهادة العقل
فلا اقل من ان لا يجعل دليلا في التقييد لا سيما والعقل يجوز في احيا واشاب
وانبت وامثالها صدورها عن القادر بواسطة موثر لا يكون موصوفا بالقدرة

منها

ومنها ان فعل في قولهم فعل الربيع النور لو كان موضوعا لاستعماله في القادر
ومن المعلوم ان الفاعل وتمييز الفعل في مصدره لا يكون الا بمجرد الاقتران بالزمان
لكان يلزم ان يكون قولنا فعل النار في كذا كذا او فعل الماء في كذا كذا او فعل الدواء
الفلاني كذا مجازا معلوما لعلى الاول ان ادعى هذا عن الانصاف لمعزل ومنها
ان نحو خلق ولحيي واشاب وانبت لو كانت موضوعة لاستعمالها في القادر بناء
على حكم العقل بانها لا توجد الا باختيار مختار لكان نحو شغل الحيز ومثل العرض
وما في الضد موضوعة لاستعمالها في غير القادر بناء على حكم العقل بان شغل الحيز
وقبول العرض ومنافاة الضد ليست بالاختيار ودعوى كونها موضوعة لذلك
دعوى غير مسموعة من السلف ويسمى هذا النوع مجاز المتعدي الحاكم فيه
عن مكانه الاصلي فالحاكم في انبت الربيع البقل يكون الانبات فعلا للربيع مكانه الاصلي
عند العقل كونه فعلا لله عز وجل وفي هزم الامير الجند يكون هزم الجند فعلا
للامير مكانه الاصلي عند العقل كونه فعلا لعسكر الامير ويسمى عقليا لا لغويا
لعدم رجوعه الى الوضع وكثيرا ما يسمى حكميا لان الحاكم كالثوب ومجازا في الاثبات
لتعلقه بالاثبات وليس من واجبات هذا المجاز ان يكون مكان الحاكم الاصلي
معلوما بنفس العقل كما في انبت الربيع البقل بل ان لا يستغنى في علمه بذلك بامر
غير الوضع كما في هزم الامير الجند وكسا الخليفة الكعبة جاز ولم يخرجه عن
كونه عقليا لان الاليق اطلاق اسم العقلي على الاول واسم الحكمي او الاثباتي
على الثاني واعلم ان هذا المجاز لرجوعه الى الحكم واستدعاء الحاكم محكوما
به ومحكوما له واحتمال كل واحد منهما الحقيقة الوضعية والمجاز الوضعي لا يزال
يتردد بين اربع صور لا مزيد عليهن اما ان يكون المحكوم به والمحكوم له حقيقتين
وضعيتين واما ان يكونا مجازين وضعيين واما ان يكون المحكوم به حقيقة وضعية

والمحكوم له مجازاً وضعيّاً وامّا بالعكس من هذا فمثال الاولى قولك انبت الربيع
البقل وشفى الطبيب المريض وكسا الخليفة الكعبة وهزم الامير الجند
فالمحكوم له وهو الربيع والطبيب والخليفة والامير كلّ منها حقيقة
وضعيّة مستعملة في مكانها الوضعي والمحكوم به وهو انبات البقل وشفاء المريض
وكسوة الكعبة وهزم الجند كلّ من ذلك حقيقة ايضاً وضعيّة مستعملة في
مكانها الوضعي لا مجاز الا في مسند الحكم كما ترى ومثال الثانية
قولك احيا الارض شباب الزمان وكست الكعبة البحر الفيّاض فالمحكوم
له وهو شباب الزمان والبحر الفيّاض مجازان وضعيّان ونفس الحكم
في المثالين مجاز عقلي ومثال الثالثة انبت البقل شباب الزمان
وكسا الكعبة البحر الفيّاض ومثال الرابعة احيى الربيع الارض وكست
الخليفة الكعبة واعلم انّ هذا المجاز الحكمي كثير الوقوع في كلام
ربّ العزّة قال عزّ من قائل فما ربحت تجارتهم وقال واذا تليت عليهم
آياته زادتهم ايماناً وقال فمنهم من يقول ايّكم زادته هذه ايماناً وقال
تؤتي اكلها وقال حتى تضع الحرب اوزارها وقال واخرجت الارض
اثقالها باسناد الافعال في هذه كلها الى غير ما هي لها عند العقل كما



ترى زالا الحكم العقلي فيها عن مكانه الاصلي اذ مكانه الاصلي اسناد
الربح الى صاحب التجارة واسناد زيادة الايمان الى العلم بالآيات واسناد
ايتاء اكل الاشجار الى الخالق واسناد وضع اوزار الحرب الى اصحاب الحرب
واسناد اخراج اثقال الارض الى خالق الارض ولا تظنّنّ في ذهنك
بعد ان اتضح لك كون المجاز فرع اصل تحقق مجاز اينما كان بدون حقيقة تكون
متعدّية بامتناع الامتناع تحقق فرع من غير اصل ولا تخفى في نحو سرّتني رؤيتك

الشجرة

ونحو

ونحو اقدمني بلدك حقّ لي على فلان ونحو صيّرني هواك وبي الحبيب يضرب
المثل ونحو يزيدك وجهه حسناً اذا ما زدته نظراً ان لا يكون لكل
من هذه الافعال فاعل في التقدير اذا انت اسندت الفعل اليه وجدت
الحكم واقعاً في مكانه الاصلي عند العقل ولكن حكم العقل فيها فانما شيء ارتضاه
لصحّة اسنادها فهو ذاك فاذا ارتضى في نحو سرّتني رؤيتك صحّة اسناد
السرور الى الغير في رؤيتك واتاحها لله وهو الله عزّ وعلا فقل
اصل الكلام سرّني الله وقت رؤيتك كما تقول في انبت الربيع البقل
اصل الكلام انبت الله البقل وقت الربيع وفي شفا الطبيب المريض
اصل الكلام شفى الله المريض عند علاج الطبيب واذا ارتضى في اقدمني بلدك
حقّ لي على فلان صحّة اسناد اقدمني الى نفسك على معنى اقدمني نفسي لاجل
حقّ لي على فلان اي قدمت لذلك كما تفرح بذلك فتقول حملتني نفسي
على الطاعة اي اطعت وحاصله يرجع الى معنى اقدمني قدرني على القدوم
والداعي اليه الخالق فالفعل في وجوده لا يحتاج الا الى ما دري داع له
اليه خالق ونظيره محبّتك جاءت بي اليك الاصل جاءت بي نفسي اليك
لمحبّتك ووجد المجيء اليك من نفسي لمحبّتك واياك والظنّ باقدمني بلدك
حقّ لي على فلان ومحبّتك جاءت بي اليك كونهما حقيقتين فالفعلان فيهما
مسندان كما ترى الى مصدر الداعي والعقل لا يقبل الداعي فاعلاً وانّما يقبله
محرّكاً للفاعل اعني المتّصف بالقدرة وتمام تحقيق هذا المعنى يستدعي
نوعاً من العلوم غير نوع علم البيان فليقتنع بهذا القدر واذا ارتضى
في صيّرني هواك وبي الحبيب يضرب المثل صحّة اسناد صيّرني الى الله
تعالى على معنى اهلكني الله ابتلاني بسبب اتباعي هواك واذا ارتضى في

يزيدك وجهه حسنا اذا ما زدته نظرا عمد لاسناد يزيد الى الله عز وجل
على معنى يزيدك الله حسنا في وجهه لما اودعه من دقايق الحسن والجمال
بحال قدرته متى تاملت وتانقت فعل فاعل اقدمني خلك وما على صبيتي
وبين هذا واما الحقيقة العقلية وتسمى حكمية ايضا واثباتية
فهي الكلام المفاد به ما عند المتكلم من الحكم فيه كقولك انبت الله البقل وشفى
الله المريض وكسا الخليفة الكعبة وهزم عسكر الامير الجند وبنى
عمله الوزير القصر وانما قلت ما عند المتكلم من الحكم فيه دون ان اقول
ما في العقل من الحكم فيه ليتناول كلام الدهري اذا قال انبت الربيع البقل
رائيا اثبات البقل من الربيع وكلام الجاهل اذا قال شفى الطبيب المريض
رائيا شفاء المريض من الطبيب حيث عدا منهما حقيقتين مع كونهما غير
مطابقين لما في العقل من الحكم فيهما ومن اراد تصحيحه ذاهبا فيه الى ان يعنى
بعقل المتكلم استتبع هنات ومن حق هذا المجاز الحكمي ان يكون فيه
للمسند اليه المذكور نوع تعلق وشبه بالمسند اليه المتروك فانه لا
يرتكب الا لذلك مثل ما ترى للربيع في انبت الربيع البقل من نوع شبه
بالفاعل المختار من دوران الانبات معه وجودا وعدما نظرا الى عدم
الانبات بدونه وقت الشتاء ووجوده مع مجيئه دوران الفعل
مع اختيار القادر وجودا وعدما ومثل ما ترى ايضا للدواء في شفاء
الدواء المريض من دوران الشفاء مع تناوله وجودا وعدما وما ترى
للخليفة في كسا الخليفة البيت من دوران كسوة البيت مع امره وجودا
وعدما فان لم يكن هذا الشبه بين المذكور والمتروك كما لو قلت
انبت الرضيع البقل وشفى الدواة المريض نسبت الى ما تراه ولما تسمع

من

من علم هذا الفن خبيرا في المجاز العقلي انه يكون مجازا في الاثبات ربما اوهم
اختصاصه بالخبر ولا اختصاص به وقل في مثل ما اذا املنا ان بعدما اقتنعت
بالميسور من الدنيا وطبت نفسا من زخارفها وبحوث وساوس الفضول عن
دمنة الخاطر وليبس بهمني الآن غير التلافي لما فرط فليفعل الدهر ما شاء
وليختلف الفصول اختلافها وليبنت الربيع ما احب ولتثمر الاشجار اثمار
اشتهت وليصنع الخريف ما ادرك فلست ابالي ان هذه الاوامر باسرها
من باب المجاز الحكمي واذا تاملت المجاز العقلي وجدت الحاصل منه يرجع
الى ايقاع نسبة في غير موضعها عند المومع لا من حيث اللغة لضرب من التاويل
مثل النسبة بين انبات البقل والربيع في الخبر والامر والنهي والاستفهام
وبين الوزير وبناء القصر في كل هذا كله تعرف الكلام في هذا
الفصل بحسب رأي الاصحاب من تقسيم المجاز الى لغوي وعقلي والا فالذي
عندي هو نظم هذا النوع في سلك الاستعارة بالكناية بجعل الربيع استعارة
بالكناية عن الفاعل الحقيقي بواسطة المبالغة في التشبيه على ما عليه مبنى
الاستعارة كما عرفت وجعل نسبة الانبات اليه قرينة للاستعارة وبجعل
الامير المدبر لاسباب هزيمة العدو استعارة بالكناية عن الجند الهازم
وجعل نسبة الهزم اليه قرينة للاستعارة وانني بناء على قولي هذا
هاهنا وقولي ذلك في فصل الاستعارة التبعية وقولي في المجاز الراجع عند
الاصحاب الى الحكم الكلمة على ما سبق اجعل المجاز كله لغويا وينقسم عندي
هكذا الى مفيد وغير مفيد والمفيد الى استعارة وغير استعارة والاستعارة
الى مصرح بها ومكنى عنها والمصرح بها الى تحقيقية وتخييلية والمكنى
عنها الى ما قرينتها امر مقدر وهمي كالانياب في قولك انياب المنية وكنطقت

في قولك نطقت الحال بكذا او امر محقق كالانبات في قولك انبت الربيع البقل
وكالهزم في قولك هزم الامير الجند والحقيقية والتخييلية كلتاهما الى
قطعية واحتمالية للتحقيق والتخييل يحتمل اقسام ثلاثة من ذلك تحقيقية
بالقطع وتخييلية بالقطع وتحقيقية او تخييلية بالاحتمال واعلم ان حد
الحقيقة الكلامية والمجاز الكلامي عند اصحابنا رحمهم الله غير ما ذكرت حد
الحقيقة الكلامية عندهم كل جملة وضعتها على ان الحكم المفاد بها على ما هو عليه
في العقل واقع موقعه وحد المجاز الكلامي كل جملة اخرجت الحكم المفاد بها
عن موضعه في العقل لضرب من التاويل واذ قد عرفت ما ذكرت وما ذكروا فاختر
ايهما شئت **الاصل الثالث** من علم البيان في الكناية الكناية هي ترك
التصريح بذكر الشيء الى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور الى المتروك كما تقول
فلان طويل النجاد لينتقل منه الى ما هو ملزومه وهو طول القامة وكما تقول
فلانة نؤوم الضحى لينتقل منه الى ما هو ملزومه وهو كونها مخدومة غير
محتاجة الى السعي بنفسها في اصلاح المهمات وذلك ان وقت الضحى وقت
سعي نساء العرب في امر المعاش وكفاية اسبابه وتحصيل ما يحتاج اليه في
تهيئة المتناولات وتدبير اصلاحها فلا تنام فيه من نسائهم الا من يكون لها
خدم ينوبون عنها في السعي لذلك وسمي هذا النوع كناية لما فيه من
اخفاء وجه التصريح ودلالة كنى على ذلك لان ك ن ي كيف ما تركبت
دارت مع تادية معنى الخفاء من ذلك كنى عن الشيء يكني اذا لم يصرح به ومنه
الكنى وهي ابو فلان وابن فلان وام فلان وبنت فلان سميت كنى لما فيها
من اخفاء وجه التصريح باسمائهم الاعلام ومن ذلك تكنى في العدو يكنى اذا وصل
اليه مضار من حيث لا يشعر بها ومنه كنايات الزمان لحوادثه الملمة

بما يثبته من حيث لا يشعرون ومن ذلك الكين للحمة المستبطنة في قبل المراة
لخفائها ومن ذلك مقلوب الكين قلب الكمل لاخفاء الناس اياه واحترازهم
ان يصرحوا بلفظه فضلا عن ان يرتكبوا معناه جهارا ثم ان الكناية تتفاوت
الى تعريض وتلويح ورمز وايماء واشارة ومساق الحديث يحسن لك الكلام عن
ذلك والفرق بين المجاز والكناية يظهر من وجهين احدهما ان الكناية لا تنافي
ارادة الحقيقة بلفظها فلا يمتنع في قولك فلان طويل النجاد ان تريد طول
نجاده من غير ارتكاب تاويل مع ارادة طول قامته وفي قولك فلانة نؤوم
الضحى ان تريد انها تنام ضحى لا عن تاويل يرتكب في ذلك مع ارادة كونها
مخدومة مرفهة والمجاز ينافي ذلك فلا يصح في نحو رعينا الغيث ان تريد
معنى الغيث وفي نحو قولك في الحمام اسد ان تريد معنى الاسد من غير
تاويل وانى والمجاز ملزوم قرينة معاندة لارادة الحقيقة كما عرفت
وملزوم معاند الشيء معاند لذلك الشيء والثاني ان مبنى الكناية على
الانتقال من اللازم الى الملزوم ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم
الى اللازم كما سنعود الى هذا المعنى عند ترجيح الكناية على التصريح
واذ قد سمعت ان الكناية ينتقل فيها من اللازم الى الملزوم فاسمع
ان المطلوب بالكناية لا يخرج عن اقسام ثلاثة احدها طلب نفس
الموصوف وثانيها طلب نفس الصفة وثالثها تخصيص الصفة بالموصوف
والمراد بالوصف هاهنا كالجود في الجواد والكرم في الكريم والشجاعة
في الشجاع وما جرى مجراها القسم الاول في الكناية المطلوب
بها نفس الموصوف الكناية في هذا القسم تقرب تارة وتبعد اخرى
فالقريبة هي ان يتفق في صفة من الصفات اختصاص بموصوف معين عارض

فتذكرها متوصلا بها الى ذلك الموصوف مثل ان تقول جاء المضياف وتريد
زيدا لعارض اختصاص للمضياف بزيد والبعيدة هي ان تتكلف اختصاصها
بان تضم الى لازم آخر وآخر فتلفق مجموعا وصفيا مانعا عن دخول كل
ما عدا مقصودك فيه مثل ان تقول في الكناية عن الانسان حي مستوي القامة
عريض الاظفار القسم الثاني في الكناية المطلوب بها نفس الصفة
ان الكناية في هذا القسم ايضا تقرب تارة وتبعد اخرى فالقريبة هي
ان تنتقل الى مطلوبك من اقرب لوازمه اليه مثل ان تقول فلان طويل
نجاده او طويل النجاد متوصلا به الى طول قامته ومثل ان تقول فلان
كثير اضيافه او كثير الاضياف واعلم ان بين قولنا طويل نجاده
وقولنا طويل النجاد فرقا وهو ان الاول كناية ساذجة والثاني كناية
مشتملة على تصريح فتامل واستعن في درك ما قلت بالبحث عن تذكير
الوصف في نحو فلانة حسن وجهها وعن تانيثه في نحو فلانة حسنة الوجه
وباستحضار ما تقدم لي في حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود
من الفجر في باب التشبيه وان هذا النوع القريب تارة يكون واضحا كما
في المثالين المذكورين وتارة خفيا كما في قولهم عريض القفا كناية عن الابله
وفي قولهم عريض الوسادة كناية عن هذه الكناية واما البعيدة فهي
ان تنتقل الى مطلوبك من لازم بعيد بوساطة لوازم متسلسلة
مثل ان تقول كثير الرماد فتنتقل من كثرة الرماد الى كثرة الجمر ومن
كثرة الجمر الى كثرة احراق الحطب تحت القدور ومن كثرة احراق الحطب
الى كثرة الطبائخ ومن كثرة الطبائخ الى كثرة الاكلة ومن كثرة الاكلة الى
كثرة الضيفان ثم من كثرة الضيفان الى انه مضياف فانظر بين الكناية
وبين

وبين المطلوب بها كم ترى من لوازم او مثل ان تقول جبان الكلب او مهزول
الفصيل متوصلا بذلك الى كونه مضيافا كما قال

وما يك في من عيب فاني جبان الكلب مهزول الفصيل

فان جبن الكلب عن الهرير في وجه من يدنو من دار من هو بمرصد لان يعس دونها
مع كون الهرير بدله والنباح في وجه من لا يعرف امرا طبيعيا مركوزا
في جبلته مشعر باستمرار تاديب له لامتناع تغير الطبيعة وتفاوت
الجبلة بموجب لا يقوى واستمرار تاديبه ان لا ينبح مشعر باستمرار
موجب نباحه وهو اتصال مشاهدته وجوها اثر وجوه واتصال مشاهدته
لذلك مشعر بكون ساحته مقصد ادان واقاص وكونه كذلك مشعر بكمال
شهرة صاحب الساحة بحسن قرى الاضياف فانظر لزوم جبن الكلب
للمضيافية كيف تجده بوساطة عدة لوازم وكذلك هزال الفصيل
يلزم فقد الام وفقدها مع كمال عناية العرب بالنوق لا سيما بالمتليات
لقيام اكثر مجاري امورهم بالابل يلزم كمال قوة الداعي الى نحرها واذ لا داعي
الى نحر المتليات اقوى من صرفها الى الطبائخ ومن صرف الطبائخ الى قرى الاضياف
فهزال الفصيل كما ترى يلزم المضيافية بعدة وسائط ومن هذا النوع
ايضا قول نصيب لعبد العزيز على قومه منن ظاهره

فبابك اسهل ابوابهم ودارك ماهولة عامره
وكلبك آنس بالزائرين من الام بالابنة الزائره

فانه حين اراد ان يكني عن وفور احسان عبد العزيز الى الخاص والعام
واتصال اياديه لدى القريب والبعيد جعل كلبه انسا بالزائرين ذلك
الانس وذلك لمعنى انسه ذلك بالزائرين على انهم عنده معارف

فالكلب لا يأنس إلا بمن يعرف ودل بمعنى كونهم معارف عنده على اتصال
مشاهدته إياهم ليلا ونهارا أو دل بمعنى ذلك على لزوم سدته على
العزيز ودل بمعنى لزوم سدته على تشتي مباغيهم هنالك تسببا
بالاتصال لا ينقطع ثم دل بمعنى ذلك على ما أراد فانظر كيف لوح مع بعد
المسافة بين أنس الكلب بالزائرين وبين إحسان عبد العزيز الوافر
ونظير قول نصيب مع زيادة لطف قول الآخر

تراه إذا ما أبصر الضيف مقبلا * يكلمه من حبه وهو أعجم

ومنه قول ابن هرمة * لا أمتع العوذ بالفصال ولا أبتاع إلا قريبة الأجل

دل بقوله لا أمتع العوذ بالفصال على أنه لا يبقي لها فصالها فتنتفع بها من جهة
استئناسها بها وحصول الفرح الطبيعي لها في مشاهدتها إياها وما
تستملح من حركاتها لديها ويحتمل أن يريد لا أبقي العوذ بسبب فصالها
بطلب الفصال لها فتسلم عن النحر فتنتفع بالفصال من هذه الجهة ودل بمعنى
أنه لا يبقيها على أنه ينحرها ودل بمعنى نحرها على أنه ينحرها إلى القرى
الضيفان وكذا بقوله قريبة الأجل على أنها لا تلبث عنده حية ودل
بذلك على أنه ينحرها ثم دل بنحرها على معنى أضيف القسم
الثالث في الكناية المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف هي أيضا تتفاوت
في اللطف فتارة تكون لطيفة وأخرى ألطف وأنا أورد عدة أمثلة
منها قول زياد الأعجم وهو لطيف

إن السماحة والمروءة والندى * في قبة ضربت على ابن الحشرج

فإنه حين أراد أن لا يصرح بتخصيص السماحة والمروءة والندى بابن الحشرج
فيقول السماحة لابن الحشرج والمروءة له والندى له فإن الطريق
بالا

إلى تخصيص الصفة بالموصوف بالتصريح إما الإضافة أو معناها وإما الإسناد
أو معناه فالإضافة كقولك سماحة ابن الحشرج أو سماحته مظهرا كان المضاف
إليه أو مضمرا ومعناها كقولك السماحة لابن الحشرج أو السماحة له
والإسناد كقولك سمح ابن الحشرج أو حصل السماحة ومعناها كقولك
ابن الحشرج سمح بتقدير ضمير ابن الحشرج في سمح العائد إليه ثم هو أعني
تخصيص الصفة بالموصوف مصرح به في جميع ما تقدم من الأمثلة أو ما ترى
الوصف المكني عنه وهو طول القامة بعد له طويل النجاد كيف تجده مضافا
إلى ضمير موصوفه في قولك زيد طويل نجاده وهو الراجع في نجاده العائد إلى زيد
المطلوب تخصيص طول القامة به أو مسندا إلى ضمير موصوفه في قولك
طويل النجاد وهو الضمير في طويل العائد إلى الموصوف أو الوصف المكني
عنه وهو وفور الإحسان بأنس الكلب بالزوار كيف تجده مضافا إلى
ضمير موصوفه وهو عبد العزيز المخاطب المطلوب تخصيص وفور الإحسان
به أو الوصف المكني عنه وهو المضيافية بلا أمتع العوذ بالفصال وأبتاع
قريبة الأجل كيف تجده مسندا إلى ضمير موصوفه وهو ضمير الحكاية الراجع
إلى ابن هرمة المطلوب تخصيص المضيافية به فما ذا أمتع جمع السماحة والمروءة
والندى في قبة تنبيها بذلك أن محلها ذو قبة محل ولا بذلك اختصاصها
بابن الحشرج ثم لما عرضه ما كان يتم بذلك لوجود ذوي قباب في الدنيا
كثيرة من جعل القبة مضروبة على ابن الحشرج حتى تم غرضه ومنها
قولهم المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه وقد نظر هذا من يتم زيد طويل
نجاده وليس بذاك فطويل نجاده بإسناد الطويل إلى النجاد تصريح بإثبات
الطول للنجاد وطول النجاد كما تعرف قائم مقام طول القامة فإذا صرح

من بعد باثبات النجاد الطويل لزيد بالاضافة كان ذلك تصريحا باثبات الطول لزيد
فتامل ومنها قوله وهو الطف والمجد يدعو ان يدوم لجيده عقد مساعي
ابن العميد نظامه ٥ انظر حين اراد ان يثبت المجد لابن العميد لا على سبيل
التصريح ماذا صنع اثبت لابن العميد مساعي وجعلها نظام عقد وبين ان
مناط ذلك العقد هو جيد المجد فنبه بذلك على اعتناء ابن العميد بتزيين
المجد ونبه بتزيينه اياه على اعتنائه بشانه اعني بشان المجد وعلى محبته
له ونبه بذلك على انه ماجد ولم يقنعه ذلك حتى جعل المجد المعرف
تعريف الجنس داعيا ان يدوم ذلك العقد لجيده فنبه بذلك على طلب
حقيقة المجد دوام بقاء ابن العميد ونبه بذلك على ان تزيينه وحسن الاعتناء
بشانه مقصور على ابن العميد حتى احكم تخصيص المجد بابن العميد واكد
ابلغ تاكيد وحاصله ان الشاعر جعل المجد مثبتا في المآل بابن العميد وجعل
تزيينه به تخصيصا له به على نحو ما يقال تزينت الوزارة بفلان اذا اخلصت
له ومنها قول الشنفرى الازدي في وصف امراة بالعفة
يبيت بمنجاة من اللوم بيتها اذا ما بيوت بالملامة حلت ٥
فانه حين اراد ان يثبت عفافها وبراءة ساحتها من التهمة وكمال نجابتها
عن ان تلام بنوع من الفجور على سبيل الكناية قصد الى نفس النجاة من اللوم ثم
لما راها غير مختصة بتلك العفيفة لوجود عفائف في الدنيا كثيرة نسبها
الى بيت يحيط بها تخصيصا للنجاة عن اللوم بها فقال يبيت بمنجاة من اللوم
بيتها ولم تقل يظل قصدا الى زمان له مزيد اختصاص بالفواحش وهو الليل
وقول ابن هاني فما جازه جود ولا حل دونه ولكن يصير الجود حيث يصير ٥
فانه حين اراد ان يثبت الجود لا على سبيل التصريح ونسبته للممدوح لا على

سبيل

سبيل التصريح ايضا فعمد الى نفس الجود فنفى ان يكون متوزعا على القوم بينه
جزءا بهذا وجزءا بذاك فنكر الجود قصدا الى عموم افراد الحقيقة ونفى
ان يجوز ممدوحه وقال فما جازه جود بالتنكير كما ترى تنبيها بذلك على
ان لو جازه لكان قائما بمحل هناك لامتناع قيامه بنفسه ثم لمثل هذا قال
ولا حل دونه كناية بذلك عن عدم توزعه وتقسمه ثم خصصه من بعد
بجهة تلك الجهة لممدوحه بعد ان عرفه باللام الاستغراقية فقال
ولكن يصير الجود حيث يصير كناية عن ثبوته له ومنه قولهم مجلس
فلان مظنة الجود والكرم وقد ظن ان ههنا قسما رابعا وهو ان يكون
المطلوب بالكناية الوصف والتخصيص معا مثل ما يقال يكثر الرماد في
ساحة عمرو في الكناية عن ان عمرا مضياف فليس بذلك اذ ليس ما ذكره
بكناية واحدة بل هما كنايتان واستدلال من لازم الى ملزوم ومن احد اللازمين
كثرة الرماد والثاني تعينها وهو قولك في ساحة عمرو واعلم
ان الكناية في القسم الثاني والثالث تارة تكون مسوقة لاجل الموصوف
المذكور كما تقول فلان يصلي ويزكي وتتوصل بذلك الى انه مؤمن وفلان
يلبس الغيار وتريد انه يهودي وكالامثلة المذكورة وتارة تكون مسوقة
لاجل موصوف غير مذكور كما تقول في عرض من يؤذي المؤمنين المؤمن هو الذي
يصلي ويزكي ولا يؤذي اخاه المسلم وتتوصل بذلك الى نفي الايمان عن المؤذي
وكقوله علت كلمته في عرض المنافقين هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب
اذا فسر الغيب بالغيبة بمعنى يؤمنون مع الغيبة عن حضرة النبي اذ عن جماعة
المسلمين على معنى هدى الذين يؤمنون عن اخلاص لا الذين يؤمنون عن نفاق
واذ قد عرفت ما املي عليك فنقول متى كانت الكناية عرضية

على ما عرفت كان اطلاق اسم التعريض عليها مناسبا واذا لم تكن كذلك نظر فان
كانت ذات مسافة بينها وبين المكنى عنه متباعدة لتوسط اللوازم
كما في كثير الرماد واشباهه كان اطلاق اسم التلويح عليها مناسبا لان
التلويح هو ان تشير الى غيرك عن بعد وان كانت ذات مسافة قريبة
مع نوع من الخفاء كعريض القفا وعريض الوسادة كان اطلاق اسم الرمز
عليها مناسبا لان الرمز هو ان تشير الى قريب منك على سبيل الخفية قال

رمزت الي مخافة من بعلها من غير ان تبدي هناك كلاما ◊

وان كانت لا مع نوع الخفاء كقول ابي تمام

ابين فما يزرن سوى كريم وحسبك ان يزرن ابا سعيد ◊

فانه في افادة ان ابا سعيد كريم غير خاف كان اطلاق اسم الاشارة والايماء
عليها مناسبا وكقول البحتري اوما رأيت المجد القى رحله في آل طلحة ثم لم يتحول ◊
فانه في افادة ان آل طلحة امجاد ظاهر وكقول الآخر

اذا الله لم يسق الا الكرام فسقى وجوه بني حنبل ◊
وسقى ديارهم باكر من الغيث في الزمن الممحل ◊

فانه في افادة كرم بني حنبل كما ترى وكقول الاخر

متى تخلو تميم من كريم ومسلمة بن عمرو من تميم ◊

فانه في افادة كرم مسلمة ظاهر من الجميع واما قوله

سألت الندى والمجد مالي اراكما تبدلتما لا بعد عز مؤبد ◊
وما بال ركن المجد امسى مهدما فقالا اصبنا بابن يحيى محمد ◊
فقلت فهلا متما عند موته فقد كنتما عبديه في كل مشهد ◊
فقالا اقمنا كي نعزي بفقده مسافة يوم ثم نتلوه في غد ◊

والجود خ — ذلا بعز خ

في افادة جود ابن يحيى ومجده فعلى ما ترى من الظهور واعلم ان
التعريض تارة يكون على سبيل الكناية واخرى على سبيل المجاز فاذا قلت
آذيتني وستعرف واردت المخاطب ومع المخاطب انسانا آخر معتمدا
على قرائن الاحوال كان من القبيل الاول وان لم ترد الا غير المخاطب كان
من القبيل الثاني فتأمل وعلى هذا فقس وفرع ان شئت فقد نبهتك واعلم
ان ارباب البلاغة واصحاب الصياغة للمعاني مطبقون على ان المجاز ابلغ من
الحقيقة وان الاستعارة اقوى من التصريح بالتشبيه وان الكناية اوقع
من الافصاح بالذكر والسبب في ان المجاز ابلغ من الحقيقة هو ما عرفت ان
مبنى المجاز على الانتقال من الملزوم الى اللازم فانت في قولك رعينا الغيث
ذاكر للملزوم النبت مريدا به لازمه بمنزلة مدعي الشيء ببينة فان
وجود الملزوم شاهد لوجود اللازم لامتناع انفكاك الملزوم عن
اللازم لاداء انفكاكه الى كون الشيء ملزوما وما غير ملزوم باعتبار واحد وفي
قولك رعينا النبت مدع للشيء لا ببينة ولا يخفى ادعاء الشيء ببينة
وادعاؤه لا بها والسبب في ان الاستعارة اقوى من التصريح بالتشبيه امران
احدهما ان في التصريح بالتشبيه اعترافا بكون المشبه به اكمل من المشبه
والثاني ان نزل التصريح بالتشبيه الى الاستعارة التي هي مجاز محض من الفائدة
التي سمعت في المجاز انتقال دعوى الشيء ببينة والسبب في ان الكناية
عن الشيء اوقع من الافصاح بذكره نظير ما تقدم في المجاز بل عينه سبق لك ان
مبنى الكناية كما عرفت على الانتقال من اللازم الى ملزوم معين ومعلوم
عندك ان الانتقال من اللازم الى ملزوم معين يعتمد مساواته اياه لكنهما
عند التساوي يكونان متلازمين فيصير الانتقال من اللازم الى الملزوم اذ ذاك

بمنزلة الانتقال من الملزوم الى اللازم فيصير حال الكناية كحال المجاز
في كون الشيء معها مدعى ببينة وهذا الطريق غريط نحو امطلت
السماء ونباتا في سلك رعينا الغيث فافهم هذا ما امكن من تقرير
كلام السلف رحمهم الله في هذين الاصلين ومن ترتيب الانواع فيهما وتذييلها
بما كان يليق بها وتطبيق البعض منها بالبعض وتوفية كل من ذلك حقه على موجب
مقتضى الصناعة وسيجد ما اورثت ذوو البصاير واتى اوصيهم ان
اوثرهم كلامي نوع استمالة وما تم ذلك في كلام السلف اذا انصفوا لا
يجدوا اذلك معشر السلف او فضلا لي عليهم وغير مستبدع في انما
نوع فرض ان يترك عن اصحابه ما هو اشد بذلك النوع في بعض الاصول
او التنويع او التطبيق للبعض بالبعض متى كانوا المحنز عن له وانما يستبدع
ذلك ممن رحى عمرهم رانعا في نابذيهم تلك ثم لم يبق ان يتسدد وعلماء هذا
الفن وقليل ما هم كانوا في اختراعه واستخراج اصوله وتمهيد قواعده
واحكام ابوابها وفصولها والنظر في تفاريعها ولتسنغرق امثلتها اللائقة
بها وتلقطها من حيث يجب تلقطها واتعاب الخاطر في التفتيش والتنقير
عن ملاقطها وكثر التعثر والتروح في ركوب المسالك المتوعرة الى الظفر
بها مع تشعب هذا النوع الى شعب بعضها ادق من البعض وتفسيرها افانين
بعضها اغمض من بعض كما عسى ان يقرع سمعك طرف من ذلك فعلوا ما وفت
به القوة البشرية اذ ذاك ثم وقع عند افتقيها منهم ما هو لازم التنويع
واما بعد فان خلاصة الاصلين هي ان الكلمة لا تفيد الشيء
الا بالوضع والاستلزام بواسطة الوضع واذا استعملت فاما ان يراد
معناها وحده او غير معناها وحده او معناها وغير معناها معا

فلها الاول

فالاول هو الحقيقة في المفرد وهي تستغني في الافادة بالنفس عن الغير
والثاني هو المجاز في المفرد وانه مفتقر الى نصب دلالة مانعة عن ارادة
معنى الكلمة والثالث هو الكناية ولابد لها من دلالة حالية والحقيقة في
المفرد والكناية تشتركان في كونهما حقيقتين وتفترقان في التصريح وعدم
التصريح وغير معناها في المجاز اما ان تقدر قائما مقام معناها بواسطة
المبالغة في التشبيه او لا تقدر والاول هو الاستعارة والثاني
هو المجاز المرسل والمذكور في الاستعارة اما ان يكون هو المشبه به
او المشبه والاول هو الاستعارة بالتصريح والثاني هو الاستعارة
بالكناية وقرينتها ان تثبت للمشبه او تنسب اليه ما هو مختص بالمشبه به
والمشبه به المذكور في الاستعارة بالتصريح اما ان يكون مشبها به المتروك
شيئا له تحقق او شيئا لا تحقق له فالاول الاستعارة التحقيقية والثاني
التخييلية والكلمة اذا اسندت فاسنادها بحسب راي الاصحاب دون
راينا اما ان يكون على وفق عقلك وعلمك او لا يكون والاول هو الحقيقة
في الجملة والثاني هو المجاز فيها ثم ان الحقيقة في الجملة اما ان تكون معروفة
بافادة مستلزم او لا تكون والاولى داخلة في الكناية والثانية
داخلة في التصريح واذ قد عرفنا الحقيقة في المفرد وفي الجملة وعرفنا فيهما
التصريح والكناية وعرفنا تنويع الكناية الى تعريض وتلويح ورمز وايماء
واشارة وعرفنا المجاز في المفرد وفي الجملة وعرفنا فيهما التصريح والكناية
وتنويع المجاز الى المرسل مفيد وغير مفيد والى الاستعارة مصرح بها ومكنى
عنها وعرفنا ما يتصل بذلك من الحقيقية والتخييلية والقطعية والاحتمالية
ومن الاصلية والتبعية على راي الاصحاب دون راينا على ما تقدم والمجردة

والمرشحة وحصل لنا العلم بتفاوت التشبيه في باب المبالغة
الى القوة والضعف والى كونه تشبيها مرسلا وكونه تمثيلا ساذجا
وكونه تمثيلا بالاستعارة وكونه مثلا وقضينا الوطر عن كمال
الاطلاع على هذه المقاصد فنقول البلاغة هي بلوغ
المتكلم في تادية المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب
حقها وايراد انواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها ولها
اعني البلاغة طرفان اعلى واسفل متباينان تباينا لا يتراءى له
ناراهما وبينهما مراتب تكاد تفوت الحصر متفاوتة فمن الاسفل
تبتدئ البلاغة وهو القدر الذي اذا انقص منه شيء التحق ذلك
الكلام بما شبهناه به في صدر الكتاب من اصوات الحيوانات ثم تاخذ
في التزايد متصاعدة الى ان تبلغ حد الاعجاز وهو الطرف الاعلى وما
يقرب منه واعلم ان شان الاعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه
كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة ومدرك الاعجاز
عندي هو الذوق ليس الا وطريق اكتساب الذوق طول خدمة هذين
العلمين نعم للبلاغة وجوه ملتثمة ربما تيسرت اماطة اللثام عنها
لتجلي عليك اما نفس وجه الاعجاز فلا واما الفصاحة فهي قسمان
راجع الى المعنى وهو خلوص الكلام عن التعقيد وراجع الى اللفظ
وهو ان تكون الكلمة عربية اصلية وعلامة ذلك ان تكون
على السنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم ادور واستعمالهم
لها اكثر لا مما احدثها المولدون ولا مما اخطات فيه العامة
وان تكون اجرى على قوانين اللغة وان تكون سليمة عن التنافر

اماطة

والمراد بتعقيد الكلام هو ان يعثر صاحبه فكرك في متصرفه ويشيك
طريقك الى المعنى ويوعر مذهبك نحوه حتى يقسم فكرك ويشعب
ظنك الى ان لا تدري من اين تتوصل وباي طريق معناه يتحصل كقول
الفرزدق   وما مثله في الناس الا مملكا ابو امه حي ابوه يقاربه
او كقول ابي تمام   ثانيه في كبد السماء ولم يكن كاثنين ثان اذ هما في الغار
وغير المعقد هو ان يفتح صاحبه لفكرك الطريق المستوي ويمهده
وان كان فيه معاطف نصب عليه المنار واوقد الانوار حتى تسلكه
سلوك المتبين لوجهته وتقطعه قطع الواثق بالنجح في طيته واذ
قد وقفت على البلاغة وعلى الفصاحة المعنوية واللفظية فانا اذكر
على سبيل الانموذج اية اكشف لك فيها عن وجوه البلاغة والفصاحتين
ما عسى يستترها عليك ثم ان ساعدك الذوق ادركت منها ما
قد ادرك من تحدوا بها وهي قوله علت كلمته وقيل يا ارض
ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي
وقيل بعدا للقوم الظالمين والنظر في هذه الاية من اربع جهات من
جهة علم البيان ومن جهة علم المعاني وهما مرجعا البلاغة ومن
جهة الفصاحة المعنوية ومن جهة الفصاحة اللفظية اما النظر فيها
من جهة علم البيان وهو النظر فيما فيها من المجاز والاستعارة والكناية
وما يتصل بها فنقول انه عز سلطانه لما اراد ان يبين معنى
اردنا ان نرد ما انفجر من الارض الى بطنها فارتد وان نقطع طوفان
السماء فانقطع وان نغيض الماء النازل من السماء فغاض وان نقضي امر
نوح وهو انجاز ما كنا وعدناه من اغراق قومه فقضي وان نسوي السفينة

على الجودي فاستوت واقتبسا الطلعة عن قيناء الكلام على تشبيه
المراد بالمأمور الذي لا يتأتى منه لكمال هيبته العصيان وتشبيه
تكوين المراد بالامر الجزم النافذ في تكون المقصود تصويرا لاقتداره العظيم
وان السموات والارض وهذه الاجرام العظام تابعة لارادته ايجادا
واعداما ولمشيئته فيها تغييرا وتبديلا كانها عقلاء مميزون قد
عرفوه حق معرفته واحاطوا علما بوجوب الانقياد لامره والاذعان
لحكمه وتحتم بذل المجهود عليهم في تحصيل مراده وتصوروا مزيد
اقتداره فعظمت مهابته في نفوسهم وضربت سرادقها في افنية ضمائرهم
فكما تلوح لهم اشارته كان المشار اليه مقدما وكما يرد عليهم امره
كان المامور به متمما لا تلقي لاشارته بغير الامضاء والانقياد ولا
لامره بغير الاذعان والامتثال ثم بنى على تشبيهه هذا نظم
الكلام فقال جل وعلا قيل على سبيل المجاز عن الارادة الواقع بسببها قول
القائل وجعل قرينة المجاز الخطاب للجماد وهو يا ارض ويا سماء ثم قال
كما ترى يا ارض ويا سماء مخاطبا لهما على سبيل الاستعارة للشبه المذكور
ثم استعار لغور الماء في الارض البلع الذي هو اعمال الجاذبة في المطعوم
للشبه بينهما وهو الذهاب الى مقر خفي ثم استعار الماء للغذاء
استعارة بالكناية تشبيها له بالغذاء لتقوي الارض بالماء في الانبات للزروع
والاشجار تقوي الآكل بالطعام وجعل قرينة الاستعارة لفظة
ابلعي لكونها موضوعة للاستعمال في الغذاء دون الماء ثم امر على سبيل الاستعارة
للشبه المتقدم ذكره وخاطب في الامر ترشيحا لاستعارة النداء ثم قال
ماءك باضافة الماء الى الارض على سبيل المجاز تشبيها لاتصال الماء بالارض

باتصال

الملك بالمالك واختار ضمير الخطاب لاجل الترشيح ثم اختار لاحتباس المطر
الاقلاع الذي هو ترك الفاعل للشبه بينهما في عدم ما كان ثم امر على سبيل
الاستعارة وخاطب في الامر قائلا اقلعي لمثل ما تقدم في ابلعي ثم قال وغيض
الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا فلم يصرح بمن غاض الماء ولا
بمن قضى الامر وسوى السفينة وقال بعدا كما لم يصرح بقائل يا ارض ويا سماء
في صدر الآية سلوكا في كل واحد من ذلك سبيل الكناية ان تلك الامور العظام
لا تتأتى الا من ذي قدرة لا يكتنه قهار لا يغالب فلا مجال لذهاب الوهم
الى ان يكون غيره جلت عظمته قائلا يا ارض ويا سماء ولا غائض ما غاض ولا قاضي
مثل ذلك الامر الهائل او ان يكون تسوية السفينة واقرارها بتسوية
غيره واقراره ثم ختم الكلام بالتعريض تنبيها لسالكي مسلكهم في تكذيب الرسل
ظلما لانفسهم لا غير ختم اظهار لمكان السخط ولجهة استحقاقهم اياه
وان قيامة الطوفان وتلك الصورة الهائلة ما كانت الا لظلمهم واما
النظر فيها من جهة علم المعاني وهو النظر في فائدة كل كلمة فيها وجهة كل تقديم
وتاخير فيما بين جملها فذلك انه اختير يا دون سائر اخواتها لكونها اكثر في الاستعمال
وانها دالة على بعد المنادى الذي يستدعيه مقام اظهار العظمة وابداء شان
العزة والجبروت وهو تبعيد المنادى المؤذن بالتهاون به ولم يقل يا ارض
بالكسر لامداد التهاون ولم يقل يا ايتها الارض لقصد الاختصار مع الاحتراز
عما في ايتها من تكلف التنبيه غير المناسب للمقام واختير لفظ الارض دون سائر
اسمائها لكونه اخف وادور واختير لفظ السماء لمثل ما تقدم في الارض مع قصد
المطابقة وستعرفها واختير ابلعي على ابتلعي لكونه اخصر ولمجيء حظ التجانس
بينه وبين اقلعي اوفر وقيل ماءك بالافراد دون الجمع لما كان في الجمع من صيغة

الشعبه

الاستكبار المناسب عن مقام اظهار الكبرياء والجبروت وهو الوجه في افراد
الارض والسماء وانما لم يقل ابلعي بدون المفعول ان لا يستلزم تركه ما ليس بمراد
من تعميم الابتلاع للجبال والتلال والبحار وساكنات الماء باسرهن نظرا
الى مقام ورود الامر الذي هو مقام عظمة وكبرياء ثم اذ بين المراد اختصر
الكلام مع اقلعي احترازا عن الحشو المستغنى عنه وهو الوجه في ان لم يقل
قيل يا ارض ابلعي ماءك فبلعت ويا سماء اقلعي فاقلعت واختير غيض على
غيض المشدد لكونه اخصر وقيل الماء دون ان يقال ماء طوفان السماء
وكذا الامر دون ان يقال امر نوح وهو انجاز ما كان الله وعد نوحا من
هلاك قومه لقصد الاختصار والاستغناء بحرف التعريف عن ذلك ولم
يقل سويت على الجودي بمعنى اقرت على نحو قيل وغيض وقضي في البناء للمفعول
اعتبارا لبناء الفعل للفاعل مع السفينة في قوله وهي تجري بهم مع قصد
الاختصار في اللفظ ثم قيل بعدا للقوم دون ان يقال ليبعد القوم طلبا
للتأكيد مع الاختصار وهو نزول بعدا منزلة ليبعدوا بعدا مع فائدة اخرى
وهي استعمال اللام مع بعدا الدال على معنى ان البعد حق لهم ثم اطلق
الظلم ليتناول كل نوع حتى يدخل فيه ظلمهم انفسهم لزيادة التنبيه على
فظاعة سوء اختيارهم في تكذيب الرسل هذا من حيث النظر الى تركيب الكلم
واما من حيث النظر الى ترتيب الجمل فذلك انه قدم النداء على الامر فقيل
يا ارض ابلعي ويا سماء اقلعي دون ان يقال ابلعي يا ارض واقلعي يا سماء جريا
على مقتضى اللازم فيمن كان مأمورا حقيقة من تقديم التنبيه ليتمكن الامر
الوارد عقيبه في نفس المنادى قصدا بذلك لمعنى الترشيح ثم قدم امر
الارض على امر السماء وابتدئ به لابتداء الطوفان منها ونزولها لذلك

في القصة منزلة الاصل والاصل بالتقديم اولى ثم اتبعهما قوله وغيض الماء لاتصاله
بقصة الماء واخذه بحجزتها الا ترى اصل الكلام قيل يا ارض ابلعي ماءك فبلعت ماءها
ويا سماء اقلعي عن ارسال الماء فاقلعت عن ارساله وغيض الماء النازل من السماء
فغاض ثم اتبعه ما هو المقصود من القصة وهو قوله وقضي الامر اي انجز الموعود
من هلاك الكفرة وانجاء نوح ومن معه في السفينة وهو قوله واستوت على الجودي
ثم ختمت القصة بما ختمت هذا كله نظر في الآية من جانبي البلاغة واما النظر
فيها من جانب الفصاحة المعنوية فهي كما ترى نظم للمعاني لطيف وتأدية لها
ملخصة مبينة لا تعقيد يعثر الفكر في المراد ولا التواء يشيك الطريق الى
ملخصة
طلب
المرتاد بل اذا جربت نفسك عند استماعها وجدت الفاظها تسابق معانيها
ومعانيها تسابق الفاظها فما من لفظة في تركيب الآية ونظمها تسبق الى اذنك
الا ومعناها اسبق الى قلبك واما النظر فيها من جانب الفصاحة اللفظية
فالفاظها على ما ترى عربية مستعملة جارية على قوانين اللغة سليمة عن التنافر
بعيدة عن البشاعة عذبة على العذبات سلسة على الاسلات كل منها كالماء
في السلاسة وكالعسل في الحلاوة وكالنسيم في الرقة ولله در شأن التنزيل
لا يتأمل العالم آية من آياته الا ادرك لطائف لا تسع الحصر ولا تظنن الآية
مقصورة على ما ذكرت فلعل ما تركت اكثر مما ذكرت لان المقصود لم يكن الا مجرد
الارشاد لكيفية اجتناء ثمرات علمي المعاني والبيان وان لا علم في باب
التفسير بعد علم الاصول اقرأ منهما على المرء لمراد الله تعالى من كلامه ولا اعون
على تعاطي تأويل مشتبهاته ولا انفع في درك لطائف نكته واسراره ولا اكشف
للقناع عن وجه اعجازه وهو الذي يوفي كلام رب العزة من البلاغة حقه ويصون له
في مظان التأويل ماءه ورونقه ولكم آية من آيات القرآن تراها قد ضيمت حقها

واستلبت ما آتاها ورونقها ان وقعت الى من لم يتبوأ من اهل هذا العلم ما حذوا
برافي ما اخذ منه دوده وحملوها على محامل غير مقصودة وهم لا يدرون ولا يدرون
انهم لا يدرون فتلك الآن من مآخذهم في عويل ومن محاملهم في ويل طويل وهم يحسبون
انهم يحسنون صنعا ثم مع ما لهذا العلم من الشرف الطائل والفضل الباهر لا ترى
علما لقي من الضيم ما لقي ولا مني من شؤم المتعسف بما مني اين الذي مهد له القواعد
ورتب له الشواهد وبين له حدودا يرجع اليها وعين له رسوما يعرج عليها
ووضع له اصولا وقوانين وجمع له حججا وبراهين وشمر لضبط متفرقاته ذيله واستنهض
في استخلاصها من الايدي رجله وخيله علم نراه في ايادي سبا مجرجوحة الذيول
وجرحونه الصبا انظر باب التحديد فانه جزء منه في ايدي من هو انظر باب
الاستدلال فانه جزء منه في ايدي من هو بل تصفح معظم ابواب الفقه من اي
علم هي وممن يتولاها وعد وعد ولكن انه ثلث حكمته اذ وفق لتحريك عنه
عسى ان يعطي القوس باريها ويحول منه عن سلطانه وفيه ما الحول والقوة الا
به واذ قد تقرر ان البلاغة بمرجعيها وان الفصاحة بنوعيها مما يكسو
الكلام حلة التزيين ويرقيه اعلى درجات التحسين فههنا وجوه مخصوصة
كثيرا ما يصار اليها لقصد تحسين الكلام فلا علينا ان نشير الى الاعرف منها
وهي قسمان قسم يرجع الى المعنى وقسم يرجع الى اللفظ من القسم الاول
المطابقة وهي ان يجمع بين متضادين كقوله اما والذي ابكى واضحك والذي
امات واحيى والذي امره الامر ۞ وقوله علت كلمته قل اللهم مالك الملك
تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء وقوله
فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وقوله وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ومنه
المقابلة وهي ان يجمع بين شيئين متوافقين او اكثر وبين ضديهما ثم اذا شرطت
هنا

بلغ تصحيحا ١٥

شرطا شرطت هناك ضده كقوله عز وعلا فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى
فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى لما جعل
التيسير مشتركا بين الاعطاء والاتقاء والتصديق جعل ضده وهو التعسير مشتركا
بين اضداد تلك وهي المنع والاستغناء والتكذيب ومنه المشاكلة وهي ان تذكر
الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته كقوله قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه
قلت اطبخوا لي جبة وقميصا ۞ وقوله عز وعلا صبغة الله وقوله
فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقوله ومكروا ومكر الله
وقوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وقوله بل يداه مبسوطتان وقوله
وجزاء سيئة سيئة مثلها ومنه مراعاة النظير وهي عبارة عن الجمع بين المتشابهات
كقوله وحرف كنون تحت راء ولم يكن بدال يؤم الرسم غيره النقط ۞
ومنه المزاوجة وهي ان تزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء كقوله
اذا ما نهى الناهي فلج بي الهوى اصاخت الى الواشي فلج بها الهجر ۞
ومنه اللف والنشر وهو ان تلف بين شيئين في الذكر ثم تتبعهما كلاما مشتملا
على متعلق بواحد ومتعلق بآخر من غير تعيين ثقة بان السامع يرد كلا منهما
الى ما هو له كقوله عز وعلا ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه
ولتبتغوا من فضله ومنه الجمع وهو ان تدخل شيئين فصاعدا في نوع واحد
كقوله ان الشباب والفراغ والجده مفسدة للمرء اي مفسده
وقوله عز وعلا المال والبنون زينة الحيوة الدنيا ومنه التفريق
وهو ان تقصد الى شيئين من نوع فتوقع بينهما تباينا كقوله
ما نوال الغمام وقت ربيع كنوال الامير يوم سخاء ۞
فنوال الامير بدرة عين ونوال الغمام قطرة ماء ۞

ومنه التقسيم وهو أن تذكر شيئا ذا جزأين أو أكثر ثم تضيف إلى كل واحد
من أجزائه ما هو له عندك كقوله أديبان في بلخ لا يأكلان إذا صحبا المرء غير الكبد ۝
فهذا طويل كظل القناة وهذا قصير كظل الوتد ۝

ومنه الجمع مع التفريق وهو أن تدخل شيئين في معنى واحد وتفرق جهتي
الإدخال كقوله قد اسود كالمسك صدغا وقد طاب كالمسك خلقا
فإنه شبه الصدغ والخلق بالمسك ثم فرق بين وجهي المشابهة كما ترى
ومنه الجمع مع التقسيم وهو أن تجمع أمورا كثيرة تحت حكم ثم تقسم أو تقسم
ثم تجمع مثال الأول قول المتنبي الدهر معتذر والسيف منتظر وأرضهم
لك مصطاف ومرتبع ۝ للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا والنهب ما جمعوا
والنار ما زرعوا ۝ فإنه جمع في البيت الأول أرض العدو وما فيها في كونها
خالصة للممدوح وقسم في الثاني ومثال الثاني قول حسان
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا ۝
سجية تلك منهم غير محدثة إن الخلائق فاعلم شرها البدع ۝
فإنه قسم في البيت الأول حيث ذكر ضرهم للأعداء ونفعهم للأولياء ثم جمع
في الثاني فقال سجية تلك ومنه الجمع مع التفريق والتقسيم كما إذا قلت
فكالنار حرا محيا حبيبي وحرقة بالي ۝ فكالأمر صورته في الخيال وهذا مرحرقه
في اختلال ۝ وكذا إن اعتبر هذا التفصيل قوله عز سلطانه يوم يأتي لا تكلم نفس
إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها الآية وأما
الذين سعدوا ففي الجنة الآية ومنه الإيهام وهو أن يكون للفظة استعمالان
قريب وبعيد فتذكر لإيهام القريب في الحال إلى أن يظهر أن المراد به البعيد
كقوله حملناهم طرا على الدهم بعدما جعلنا عليهم بالطعان ملابسا ۝ اراد

بالحمل

بالحمل على الدهم تقييد العدى فأوهم أركابهم الخيل الدهم كما ترى وقوله
سبحانه الرحمن على العرش استوى وقوله والأرض جميعا قبضته يوم القيمة
والسموات مطويات بيمينه وأكثر المتشابهات من هذا القبيل ومنه
تأكيد المدح بما يشبه الذم كقوله هو البدر إلا أنه البحر زاخرا سوى أنه الضرغام
لكنه الوبل ۝ ومنه التوجيه وهو إيراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين كقول
من قال للأعور ليت عينيه سوى وللمتشابهات من القرآن مدخل في هذا
النوع باعتبار ومنه سوق المعلوم مساق غيره ولا أحب تسميته بالتجاهل
كقوله أذاك أم نمش بالوشي أكرعه أذاك أم خاضب بالسي مرتعه
وقولها أيا شجر الخابور ما لك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طريف ۝ وقوله سبحانه
وتعالى وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ومنه الاعتراض ويسمى
الحشو وهو أن تدرج في الكلام ما يتم المعنى بدونه كقول طرفة
فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهمي ۝
فأدرج غير مفسدها وكما قال النابغة لعمري وما عمري علي بهين ۝
وكما قال ابن المعتز إن يحيى لا زال يحيى صديقي وخليلي من دون هذا الأنام ۝
فأدرج لا زال يحيى وكما قال عز من قائل فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا
النار فقوله ولن تفعلوا اعتراض وكما قال فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم
لو تعلمون عظيم فقوله وإنه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض وقوله لو تعلمون
اعتراض في اعتراض ومنه الاستتباع وهو المدح بشيء على وجه يستتبع مدحا
آخر كقوله نهبت من الأعمار ما لو حويته لهنئت الدنيا بأنك خالد ۝ ألا ترى
كيف مدحه بالشجاعة على وجه استتبع مدحه بكمال السخاء وجلال
القدر من وجه آخر وبوضع للدنيا كثرت إذا استند إلى قولك نهبت من الأعمار

ما لو اجتمع لك لبقيت مخلّدًا ومنه الالتفات وقد سبق ذكره في علم المعاني
ومنه تقليل اللفظ ولا تقليله مثل ربا وهبا وغاض وغيض اذا اصاب فالموقع
ويتفرع عليهما الايجاز في الكلام والاطناب فيه وقد سبقا في الذكر ومن
القسم الثاني التجنيس وهو تشابه الكلمتين في اللفظ والمعتبر منه
في باب الاستحسان عدة انواع احدها التجنيس التام وهو ان لا يتفاوت
المتجانسان في اللفظ كقولك رحبة رحبة وثانيها التجنيس الناقص وهو
ان يختلفا في الهيئة دون الصورة كقولك البُرد يمنع البَرد وكقولك البدعة
شَرَك الشِرك وكقولك الجهول اما مُفْرِط او مُفَرِّط والمشدّد من هذا الباب
يقام مقام المخفف نظرا الى الصورة فاعلم وثالثها التجنيس المذيّل وهو
ان يختلفا بزيادة حرف كقولك مالي كمالي وجدّي جهدي وكاسٍ كاسب
ورابعها التجنيس المضارع او المطرف وهو ان يختلفا بحرف او حرفين
مع تقارب المخرج كقولك في الحرف الواحد دامس وطامس وحبس وحبست
وكتب وكتم وفي الحرفين كقولهم ما خصصتني وانما خسستني وخامسها
التجنيس اللاحق وهو ان يختلفا لا مع التقارب كقولك سعد بعيد وكانت
كادت وتعايد غابت والمختلفان في اللاحق اذا اتفقا كتابة كقولك غابت
غانيت سمّي تجنيس تصحيف والمتجانسان اذا وردا على قولهم من طلب
وجد وجدّ وقولهم من قرع بابا ولج ولجّ او على نحو المؤمنون هيّنون ليّنون
وحسبك من نشار بنشار او على نحو قولهم النبيذ بغير النغم غمّ وبغير الدسم سمّ
سمّي حينئذ مزدوجا ومكررا ومرددا وههنا نوع آخر يسمى تجنيسا مشوّشا
وهو مثل قولك بلاغة وبراعة واذا وقع احد المتجانسين في التام مركبا
ولم يكن مخالفا في الخط كقوله اذا ملك لم يكن ذا هبة فدعه فدولته ذاهبة

سمي

سمّي متشابها وان كان مخالفا في الخط كقوله كلّكم قد اخذ الجام ولا جام لنا
ما الذي ضرّ مدير الجام لو جاملنا سمّي مفروقا ومما يلحق بالتجنيس بطريق
قوله عز وجل قال اني لعملكم من القالين وقوله وجنى الجنتين وكثيرا
ما يلحق بالتجنيس الكلمتان الراجعتان الى اصل واحد في الاشتقاق مثل ما
في قوله عز اسمه فاقم وجهك للدين القيم وقوله فروح وريحان ومن جهات
الحسن رد العجز الى الصدر وهو ان تكون احدى الكلمتين المكررتين او
المتجانستين او الملحقتين بالمتجانسين في آخر البيت والاخرى قبلها في احد
المواضع الخمسة من البيت وهو صدر المصراع الاول وحشوه وآخره وصدر
المصراع الثاني وحشوه كما اذا قلت

مشتهر في علمه وحلمه وزهده وعهده مشتهر
في علمه مشتهر وحلمه وزهده وعهده مشتهر
في علمه وحلمه مشتهر وزهده وعهده مشتهر
في علمه وحلمه وزهده مشتهر وعهده مشتهر
في علمه وحلمه وزهده وعهده مشتهر مشتهر

والاحسن في هذا النوع ان لا يرجع العجز والصدر الى [illegible] ومن جهات الحسن
القلب كقوله حسامه فتح لاوليائه حتف لاعدائه وانه يسمى مقلوب الكل
وكقوله اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا وانه يسمى مقلوب البعض
واذا وقع احد المقلوبين قلب الكل في اول البيت والثاني في آخره سمي
مقلوبا مجنحا واذا وقع قلب الكل في كلمتين او اكثر شعرا او غير شعر كقولك
كبّر رملك وخان اذا اناخ وقوله اُسْ ارملا اذا عرا وارع اذا المرء اسا
سمي مقلوبا ومن جهات الاسجاع وهي في النثر كالقوافي في الشعر ومن جهاته

الحسن مسويا

الفواصل القرآنية والكلام في ذلك ظاهر ومن جملة الحسن التي صنع وهو
ان يكون الالفاظ مستوية الاوزان متفقة الاعجاز او متقاربة كقوله
عز اسمه ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم وقوله ان الابرار لفي نعيم
وان الفجار لفي جحيم وكقوله عز وعلا واتيناهما الكتاب المستبين
وهديناهما الصراط المستقيم واصل الحسن في جميع ذلك ان تكون
الالفاظ توابع للمعاني لا ان تكون المعاني لها توابع اعني ان لا تكون متكلفة
ويورد الاصحاب ههنا انواعا مثل كون الحروف منقوطة او غير
منقوطة او البعض منقوطا والبعض غير منقوط بالتسوية فلا ان نستخرج من هذا
القبيل ما شئت ونلقب كلام من ذلك بما احببت وقد تحققت ان علم المعاني
والبيان هو معرفة خواص تراكيب الكلام ومعرفة صياغات المعاني
ليتوصل بها الى توفية مقامات الكلام حقها وعندك علم ان مقامات
الاستدلال بالنسبة الى سائر مقامات الكلام جزء واحد من جملتها
وشعبة فردة من دوحتها علمت ان تتبع تراكيب الكلام الاستدلالي
ومعرفة خواصها مما يلزم صاحب علم المعاني والبيان وحين انتصبنا لاعادته
لزمنا ان لا نفرط بشيء هو من جملته وان نستمد لنستمد من الله التوفيق في تكملته ولله
الحمد اولا واخرا ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم

وقع الفراغ منه في يوم السبت
في شهر ربيع الآخر سنة
اثنين واربعين
وسبعمائة
٧٤٢